محمّد مظلوم

أصْحَابُ الوَاحِدَة

اليتِيْمَاتُ والمَشْهُوراتُ والمَنْسِيَّاتُ مِنَ الشِّعرِ العربيّ



منشورات الجمل

محمّد مظلوم: أصْحَابُ الوَاحِدَة

محمَّد مظلوم

أصْحَابُ الوَاحِدَة

اليتِيْمَاتُ والمَشْهُوراتُ والمَنْسِيَّاتُ
مِنَ الشعرِ العربيّ

منشورات الجمل

ولد محمد مظلوم في بغداد / منطقة الكرّادة ١٩٦٣ . تخرّجَ من قسم الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة ـ جامعة بغداد ١٩٨٧ . سِيْقَ مجنداً للخدمة العسكرية بعد تخرجه من الجامعة مباشرة. عَمِلَ بعد انتهاء حرب الخليج الأولى مدرساً للغة العربية في محافظة أربيل بكردستان العراق. غادرَ إلى دمشق عبر نهر الخابور خريف عام ١٩٩١ ، ولا يزال مقيماً فيها. من مؤلفاته الشعرية: غير منصوص عليه ـ ارتكابات (١٩٩٢)؛ المتأخِّرُ ـ عابراً بين مرايا الشبهات (١٩٩٤)؛ محمد والذين معه (١٩٩٦)؛ النّائمُ وسيرتُهُ معارك (١٩٩٨)؛ أندلسٌ لبغداد (٢٠٠٢)؛ اسكندرُ البرابرة (٢٠٠٤)؛ بازي النُّسوان (٢٠٠٨)؛ كتاب فاطمة (٢٠١٠). في النثر والدراسات: عبد الوهاب البياتي ـ كتاب المختارات (١٩٩٨)؛ ربيعُ الجنرالات ونيروز الحلاجين (٢٠٠٣)؛ عراقُ الكولونيالية الجديدة (٢٠٠٥)؛ الفتنُ البغدادية ـ فقهاء المارينز وأهل الشقاق (٢٠٠٦)؛ حطبُ إبراهيم أو الجيل البدوي ـ شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية.

محمّد مظلوم، أَصْحَابُ الوَاحِدَة،
اليَتِيْمَاتُ والمَشْهُوراتُ والمَنْسِيَّاتُ مِنَ الشِّعرِ العربيّ
الطبعة الأولى، جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس باللغة العربية
محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد ـ بيروت، ٢٠١٢
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣، بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ٠١ (٠٠٩٦١)

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a.N . Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

المقدمة

هل ثَمَّةَ شاعرٌ بقصيدةٍ واحدة؟

بمعنى «وحيدة» لم يكتبْ غيرها؟

وما أهميَّةُ أن يكتبَ شاعر ما، قصيدةً تبدو كبيضة الديك في الأساطير والأمثال العربية التي تضرب ولا تقاس؟

سيبدو سؤالٌ كهذا، ضرباً من الخوض في متاهاتٍ مُنغلقة المآل، قد لا يجد فيها الشعر ـ وهو نشاط إنساني، بل أكثرها إنسانية ـ طريقه للتأويل النقدي والمراجعة العلمية الرصينة.

فمع وجود عددٍ غيرِ مُحدَّدٍ من الشعراء الذين لا تُعرف لهم في كتب الأدب العربي سوى قصيدة واحدة، يبدو مصطلحُ أصحاب الواحدة مصطلحاً مُلتبساً، فمن حيث المبدأ لا يمكن التسليم بوجود شاعر لم يقل إلا قصيدة واحدة في حياته، ربما ثَمَّة من أنشد «بيتاً» أو «نُتْفةً» أو ارتجلَ أرجوزةً في معركة، أو ترك لنا «قطعة» لا تتجاوز أبياتها الثمانية أبيات على أقلِّ تقدير، لكن القصيدة بالمفهوم العربي للقصيدة، من حيث كونها ما تجاوزت أبياتها الثمانية، حسب معايير النقد العربي القديم، لا يمكن أن يصلَها الشّاعر إلا بعد تجاربَ عدَّة في قول الشعر

«بيتاً ونُتفةً وقطعة» وصولاً إلى البناء الكمي الذي يمنح شعرَهُ هويَّةَ «القصيدة»

إضافة إلى ذلك فإن معظم النماذج التي اختيرت هنا لا تعزز المفهوم المباشر بالمعنى الأوَّل الذي قد يرتسم في ذهن من يسمع بهذا المصطلح.

وعلى هذا المبدأ لا تكاد «واحدةٌ» من هذه القصائد الفذَّة إلا ووجدت من ينتحلُ منها بيتاً أو بيتين، أو قد تنسبُ القصيدةُ برمَّتها لشعراء آخرين ويجري تحقيقُها في دواوينهم، حتى أن القصيدة اليتيمة أو «الدعدية» التي يفترض أن شاعرها لم يقُلْ سواها، تُنسب في كتب الأدب العربي لعشرات الشعراء من أصحاب الدواوين الضخمة، وقد وردت فعلاً في دواوين ثلاثة منهم على الأقلّ.

من هنا فقد لا تقتصر «الواحدة» أن تكون هوية نهائية لشاعرها بل أن أغلب القصائد هنا يتنازع عليها شعراءُ عدَّة، وتُنسب بعضها إلى أكثر من شاعر وتتداخل فيها الأبياتُ الأصلية بالأبيات المنحولة.

من هنا تأتي أهمية فكُّ الالتباس الذي لحِقَ بهذا المفهوم، من أجل الدخول إلى مناقشته بوصفه مصطلحاً يجرى تداوُله أحياناً في غير المغزى الذي وُضِعَ من أجله في النقد العربي القديم، فمصطلح «أصحاب الواحدة» هو تعبيرٌ نقديٌّ وُلِدَ أساساً في سياق تطوُّر النقد العربي القديم في جهوده لإيجاد مفاهيم خاصة يشير بها إلى توصيف نموذج شعري محدَّدٍ لشاعر ما، اكتملت فيه شروط الجودة والفرادة وميَّزَتهُ عمَّا سواه من نماذج أخرى للشاعر نفسه.

ويعود هذا المصطلح: «أصحاب الواحدة» إلى ابن سلام الجُمَحيِّ «٢٣٢ هـ» حيث ورد، أوَّلَ ما ورد، في كتابه «طبقات فحول الشعراء» وكان يعني به الشعراء الذين أجادوا في قصيدة واحدة مع أنَّ لهم قصائدَ أخرى كثيرة أو قليلة. وعلى هذا المعيار الخاص جعل ابن سلام معلقة عنترة بن شداد «واحدته» لأنها نادرةٌ برأيه، على الرَّغم من أنَّ له «شعراً كثيراً» كما يقول، وعلى المعيار نفسه، رأى أنَّ طرفة بن العبد أشعرُ الناس «واحدة» بمعلقته المشهورة، بمعنى أن هذه القصيدة إذا ما قورنت بأفضل «واحدة» لأيِّ شاعر آخر غيره، لتقدَّمتْ عليها جودةً. ونقل ابن قتيبة الدينوري «٢٧٦ هجرية» في «الشعراء والشعراء» قولاً لأبي عبيدة قريباً من فكرة ابن سلام حيث قال: «قال أبو عُبيدة: طرفة أجودُهم واحدةً ولا يلحق بالبحور، يعني امرأ القيس وزهيراً والنابغة، ولكنه يوضع مع أصحابه: الحارث بن حِلزة وعمرو بن كلثوم وسُويد بن أبي كاهل».

ولنلاحظ في تفسير هذا المعنى ما تمتاز به قصيدةُ طرفة عن سواها من أصحاب المعلقات.

فأولاً: هي الأطول من بين تلك المعلقات فقد بلغت في جمهرات القرشي، مائة وعشرين بيتاً[1]، وهي تشكِّلُ أكثرَ من رُبع شعر طرفة. وثانياً: هي قصيدة قالها وهو في العشرين من عمره، بمعنى إنها كانت وعداً شعرياً بشعر آتٍ وخرقاً واختلافاً مبكراً عن السائد والمعهود. إذ «بلغ بحداثة سنِّهِ ما بلغ القوم في طول أعمارهم»

---

(١) «جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام» لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي ـ دار نهضة مصر ١٩٨١ تحقيق: على محمد البجاوي.

وثالثاً: إن طرفة شاعر ذو أخبار قليلة إذا استثنينا تراجيديا مقتله، ولعلَّ شهرة قصيدته هذه توازي تلك التراجيديا في مصيره الإنساني، وجلُّ أخباره تشير إلى أنه مُنشَقٌّ ومتهكِّمٌ، وكانت قصائده تثير الحزازات بين القوم، وكثيراً ما كان المتباغضون يتهاجون بشعره، متمثّلين بأبيات لاذعة في هذا السياق، حتى أودى شعرُهُ بحياته، أو لسانه برأسه. كما تنبأ له المتلمس بقوله: «ويلٌ لِهَذَا مِنْ هَذَا»

والملاحظ هنا أن أغلب «أصحاب الواحدة» مِمَّنْ جرى اختيار نماذج لهم في هذا الكتاب، لم يعمِّروا كثيراً بعد تلك القصيدة، بل إنها كانت لدى البعض شهادة أخيرة، فهي آخر ما تفوَّهَ به قبل الموت.

أخيراً فإن ما يمكن تلخيصُهُ عن طبيعة شخصية طرفة بوصفه أقدم أصحاب الواحدة بمفهوم النقد العربي القديم، وتعميمه على شعراء هذه المختارات، إن أغلبهم من هوامش الناس، فهم خوارج وصعاليك ومُتصوِّفة ولصوصٌ ومجانين ومنفيون، وشعراء مغمورون، ومغامرون ومنبوذون، وعشاق مقهورون، ومن عوام الناس في عصرهم.

حتى أشراف القوم منهم، فأنَّ واحداتهم أو قصائدهم النادرة قِيْلتْ في لحظات حرجة من حياتهم، كأنها كانت أغنية البجع الأخيرة، كما هو الحال في قصيدة لقيط بن يعمر الأيادي، ومالك بن الريب، وعبد يغوث الحارثي وكذلك قصيدة هاشم الرفاعي بتمثُّلها المستعار.

هم ليسوا بشعراء «بلاطيين» ليذهب شعرهم في البلدان بفعل مدائح جرتْ بها ألسنتهم فجرت معها شهرتُهم في الآفاق.

من هنا نجد أنَّ أصحاب الواحدة عادةً ما تكون ظروفُ حياتِهم التي

عاشوها بما تحمله من تراجيديا، من موت مبكر، ونفي وابتعاد عن ثقافة المركز، هي السمةُ الْمميَّزةُ التي جعلت من أخبارِهمْ قليلةً وأسهمتْ فِي نُدرةِ أشعارِهم.

ولعلَّ هذا الحصار المركب الذي اتسمت به حياة هؤلاء هو الذي جعل من قصائدهم نماذجَ «فذَّة» في الحبِّ والحرب والموت ورثاء المدن وفي استبطان الذات ووحشتها وأسئلتها العميقة.

ملاحظة أخرى يمكن رصدها في خصوصية هذا المفهوم لدى ابن سلام، وهي إنه أورده في سياق الحديث عن شعراء الطبقة السادسة من شعراء الجاهلية، ونحن نعرف إن الشعر الجاهلي ظلَّ في جانب كثير منه، جزءاً من التراث الشفاهي العربي، وانحسر الكثير من نماذجه عن المدونات اللاحقة، فكثرت الواحدات في نماذج هذا الشعر، بفعل الانتقاء والذاكرة الشفاهيين للقصائد، ولعل هذا ما جعل المصطلح لدى ابن سلام مرتبطاً بهذا الزمن الشعري بالتحديد.

وبعد ابن سلام بأكثر من قرنين، ترسَّخَ مصطلحُ «أصحاب الواحدة» لدى ابن رشيق القيرواني «٤٦٣ هـ» في كتابه «العمدة في صناعة الشعر ونقده» فقال: «وأمَّا أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجُمَحيِّ، وهو الحكم الصواب» ومضى يضيف شعراء آخرين لقائمة «أصحاب الواحدة» من غير شعراء المعلقات لِتَتَّسعَ القائمة ولكنها بقيت في سياق نقد الشعر الجاهلي، ولم تذهب إلى أبعد من ذلك.

أما في العصر الحديث فقد دأب الشاعرُ العراقي نعمان ماهر الكنعاني على نهج ابن رشيق في إضافة شعراء آخرين إلى تلك القائمة، في كتابه

«شعراء الواحدة» الصادر في بغداد في العام ١٩٦٧»[1] فاختار «واحدات جديدة» لعددٍ إضافيٍّ من «أصحاب الواحدة» من عصور مختلفة: كالشنفرى، والسموأل، ومالك بن الريب، وديك الجن الحمصي، وقطري بن الفجاءة، وأبو الحسن التهامي، وابن زريق البغدادي، وسواهم. رغم أن لعدد من هؤلاء دواوينَ شعرية معروفة.

من هنا يمكن القول أن مصطلح «أصحاب الواحدة» لا يعني بالضرورة الشعراء الذين لم يكتبوا أو يقولوا إلا قصيدةً واحدةً طوال تجربتهم الشعرية والحياتية، ذلك أن هذا المفهوم للمصطلح ينطوي في نسيجه على خيوط من الأوهام كما أسلفت، لكنَّ «الواحدات» هنا تبدو بمثابة معلقات إضافية، حتى كأنها استدراكٌ نقديٌّ على فكرة المعلقات. بيد أنها تخصُّ هنا، بشكل أكثر دقة، أولئك الشعراء المقلِّين فقط.

أما «الحماسات» بوصفها من أقدمِ نماذج المختارات في الشعر العربي، إلى جانب «الأصمعيات» و«المفضليات» فهي التمثيل الواضح عن حضور مكثف لأصحاب الواحدة، والتعبير عن ذوق خاص، لمن اختاروا تلك المختارات من بين العشرات من قصائد الشعر العربي ومن نماذج عديدة للشعراء ذاتهم.

ومن هنا أيضاً تأسست شروط نقدية إضافية لاختيار «الواحدات» فأصحاب الواحدة ينبغي أن يكونوا مُقلِّين في الكمِّ، لكنَّهم مجيدون في

---

(١) يشير مير بصري في كتابه « أعلام الأدب في العراق الحديث» وفي ترجمته لمؤلفات الكنعاني، إلى أن تاريخ كتاب «شعراء الواحدة» في العام ١٩٤٥، ولعله يشير هنا إلى زمن التأليف، أو ربما صدرت طبعة أولى منه في ذلك التاريخ.

واحدة مشهورون بها. وهذا ينسحب على مفهوم القصيدة الواحدة: فهي ليست «الوحيدة» بالضرورة.

فأصحاب الواحدة بمفهوم النقد العربي الكلاسيكي وتأكيده المأثور على التصنيف النوعي للشعراء، هم شعراء «مُفْلِقُون» أي الشعراء الذين يأتون بالعجائب والفرائد من الشعر في قصيدة واحدة أو بضع قصائد، فأغلبهم ليسوا في عداد الشعراء الفحول، ولكنهم أجادوا إجادة لافتة في قصيدة معينة فذاعت شهرتهم بها.

وعلى هذا الأساس فثمة «واحدات» أنفق شعراؤها وقتاً طويلاً في صياغتها وإعادة بنائها حتى أصبحتْ ديوانَ حياتهم ومرآة شخصياتهم عبر أطوار شتى كما هو الحال في «يتيمة سويد بن أبي كاهل» التي «تخضرمت» بين العصرين الجاهلي والإسلامي، وواحدة «توبة بن الحمير» التي تؤكد كتب النقد العربي عن بدايات متعدِّدة لها، أو استرسالات وقصص لاحقة، ووقائع حادثة ومستجدَّة، دخلت على هذه القصيدة التي تحكي قصة حب في مراحله المختلفة وتحولاته التراجيدية.

وكذلك فلرَّبما كانت قوة هذه «القصيدة» أو تلك، وفرادتها الفنية بالذات قد طغت على ما سواها من شعر قليل لهذا الشاعر أو ذاك، شعر لم يكن بجودة «بيضة الديك» هذه فمحته.

تندرج في هذا السياق القصائد اليتيمات «كيتيمة دوقلة» و«يتيمة ابن زريق» و«يتيمة خالد القناص»

ولعل مفهوم اليتيمة يحتاج هو الآخر إلى مزيد من التدقيق والمقاربة

والمناقشة، فما المقصود باليتيمة؟ إذ أن ثمة مفهوماً متعدد الطبقات لكلمة «اليتيمة» حتى في جذرها اللغوي، فاليتم في معاجم اللغة هو فقدان الأب. وبهذا المعنى فالقصيدة اليتيمة هي من لا أب لها، والمفقودة النسب، لكنَّ اليُتم يعني أيضاً: الإنفراد، واليتيمة بهذا المعنى هي «القصيدة الفريدة» التي لا نظير لها، أو هي تلك التي لا تضاهيها قصيدة أخرى للشاعر نفسه.

ويرى ابن منظور في «لسان العرب» أن المرأة تسمى اليتيمة ما لم تتزوج فأن تزوجت زالت عنها صفة اليتم، والرجل يبقى يتيماً حتى يبلغ الحلم. فالقصيدة اليتيمة بمعناها هنا، هي عذراء غير مطروقة، في رمزها الأنثويِّ، وناضجة مكتملة التجربة في رمزها الذكوريِّ.

أما «المشهورات» من القصائد، فهي تلك التي طغت على ما عداها من قصائد الشاعر كمرثية الأندلس لأبي البقاء الرندي، ومرثية مالك بن الريب لنفسه، وأما القصائد المنسيَّة فهي التي ترد أبيات متناثرة منها في كتب الأدب على أنها مجهولة القائل كقصيدة «ماني المُوسوِس». ويجري تحقيقها هنا ونسبتها إلى شاعرها الحقيقي.

وهناك أيضاً قصائد في رثاء المدن بينها قصيدة ابن أبي اليسر في رثاء بغداد، وهي من القصائد النادرة في رثاء المدينة بعد سقوطها بيد المغول، ولا تعرف لصاحبها قصيدة أخرى، وكذلك قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء أشبيلية والتي اشتهرت بكونها مرثية للأندلس رغم وفاة شاعرها قبل سقوط الأندلس كاملة.

اخترت هنا شعراء الواحدة بمفهوم «ابنُ سلام الجُمَحيّ» وليس بما

أورده من نصوص معبرة عن ذلك المفهوم، وكذلك بمفهوم «الأصمعي» براوية «المظفر العلوي في نظرة الإغريض» بيد أني استثنيت منها قصائد شعراء المعلقات: طرفة، وعنترة، وعمر بن كلثوم، والحارث بن حلزة اليشكري، لكونها نالت فرادتها في مجال آخر.

كما استثنيت اللاميتين: «لامية العرب للشنفرى» و«لامية العجم للطغرائي» اللتين عرفتا بأنهما «واحدتا» شاعريهما لأنني رأيت للشاعرين قصائد أخرى لا تقلُّ أهميَّة عن هاتين القصيدتين اللتين اشتهرتا، ولأنني رأيتهما مليئتين بالحكم والأمثال أكثر من الشعر. كما أنني حاولت أن أبتعد قدر الإمكان عن تكرار بعض النماذج التي اختارها الكنعاني في كتابه، إلا ما كان حقًّاً من أصحاب الواحدة بالمفهوم الذي أراه.

إذن ثَمَّة «وَاحِدات» شاعت أو اتُّفِقَ عليها كالقصيدة الدعدية وعينية ابن زريق وثمة «واحدات» أخرى تخضع لذوقٍ خاصٍّ من بين عدد محدود من المقطوعات والنتف، وثمة «واحدات» مكتشفة لاحقاً وأخرى ضائعة نحاول إضاءتها هنا، وهكذا فإن مثل هذا الموضوع النادر في الشعر العربي كندرة قصائده يبقى قابلاً للاستكمال. ولهذا سيكون مهماً مثلاً إضافة «صواحب واحدات» وهنا «واحدة» تستحقُّ أن تقف بقامة مديدة بين «واحدات الفحول» وهي قصيدة الفارعة بنت طريف في رثاء أخيها الوليد بن طريف. وأخرى لقُتيلة بنت النضر، ولها قصة مشهورة في السيرة النبوية لابن هشام.

وقد يجد القارئ أن قصائد الرثاء غلبت على سائر الأغراض في قوة حضورها في هذه «الواحدات» ولعلَّ لهذا الأمر ما يبرره سواء في النقد العربي القديم أو في طبيعة شعر الرثاء وخصائصه، فابن سلام الجُمَحيّ

جعل شعراء الرثاء في طبقة مستقلة هي الطبقة الثانية بعد طبقات شعراء الجاهلية العشر وبينهم شعراء المعلَّقات، وهو الغرض الوحيد الذي خصه ابن سلام بطبقة، لا على أساس التوزيع الجغرافي: كشعراء القرى، ولا على أساس المعتقد أو الدين: كشعراء اليهود، ولا الزمني: كشعراء الجاهلية، وشعراء الإسلام. كما خصص لها القرشي في جمهراته باباً خاصة إلى جانب «المعلَّقات» و«المذهَّبات» و«المَشُوبات[1]» وسواها، وفي هذا ما يشير إلى أهمية شعر الرثاء وموقعه، وأن مجيديه هم فحولُ الأغراض.

وفي طبيعة شعر الرثاء وخصائصه نجد أنَّ أغراض الشعر العربي الأساسية الأخرى كالمديح والغزل والهجاء، تتوجَّهُ إلى شخص مقصود موجود، وبالتالي هي طامحة ومتطلعة نحو غايات ومآرب أياً كان نوعها أو مستواها. أما الرثاء فيتوجَّهُ هو الآخر إلى شخص لكنَّهُ مفقود، وعادة ما يتمتع هذا المفقود بأثر وتاريخ خاصين لدى الرَّاثي، مما يجعل القصيدة متنزِّهَةً كثيراً عن القصد الآني والغاية الملحَّة.

اعتمدت في هذه المختارات والمقدِّمات الخاصة بكلِّ شاعر وقصيدته، على كتب الحماسات والمختارات في المصادر العربية القديمة من بينها حماسات أبي تمام والبصري، والوحشيات، والمفضليات والأصمعيات، ومنتهى الطلب من أشعار العرب لابن المبارك، وجمهرة أبي زيد القرشي، ومختارات شعراء العرب لابن

---

(١) يقصد القرشي بالمشوبات: تلك القصائد التي شابها الكفر والإسلام، وهي هنا تقابل قصائد الشعراء المخضرمين.

الشجري، إضافة إلى كتب الأعلام والتراجم والوفيات، كما استأنست ببعض المصادر الحديثة كدراسة الدكتور عبد الكريم الأشتر أستاذ الأدب والنقد في جامعة حلب، عن ثلاثةٍ من شعراء الواحدة[1]

وكان مُستلٌ من هذا الكتاب قد نشر ضمن منشورات «كتاب في جريدة ـ عدد تموز ٢٠١٠» على وفق ما سمح بهِ حيِّزُ الإصدار وشروطه.

وكنت أعدُّ لإصدار المختارات في كتاب أشمل، عندما اقترح عليَّ الصديق والشاعر خالد المعالي صاحب دار الجمل، نشرها في كتاب يصدر عن الدار، وعكفت خلال الأشهر الماضية على إعادة مراجعة النصوص السابقة وضبطها، وتدارك مواضع الأخطاء والسهو التي لِحقت بِها، كما قمت بتوسيع دراسة مفهوم أصحاب الواحدة، وكذلك المقدِّمات التعريفية للشعراء، بِما يحيط أكثر بحياة الشاعر والتعريف بقصيدته ومكانتها في النقد العربي.

كما قمت بإضافة إحدى عشرة قصيدةً جديدة من مختلف العصور بينها «المزدوجة في العشق المثلي» لمدرك الشيباني، وأخرى في الغرض نفسه، وإن امتازت بتهتُّكٍ أوضح، وبلغة مكشوفة أكثر، وهي لشاعر عباسيٍّ مجهول لم يورد قصيدته إلا أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر».

كما رأيتُ أن هذا الموضوع يستحقُّ، أن يدفع خطوة أخرى باتجاه المعاصرة من خلال اختيار نماذج لشعراء معاصرين. ولذلك حاولتُ

---

(١) نشرت تلك الدراسة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد ٨٣ ـ الجزء الثاني.

دَفعهُ قليلاً إلى الإمام باختيار نموذجين لشاعرين من القرن العشرين هما: هاشم الرفاعي بقصيدته: «رسالة في ليلة التنفيذ» وعبد الأمير الحصيري في قصيدته: «إلى القلق».

وبهذا فقد شملتْ هذه المختارات جميع عصور الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، مُروراً بالعصور الإسلامية: عصر الرسالة والخلافة، والعصرين الأمويين والعباسي، وصولاً إلى العصور المتأخرة: الأيوبي والمملوكي، وانتهاء إلى العصر الحديث. كما تُغطّي هذه المختارات لأصحاب الواحدة، خريطةَ الشعر العربي التقليدية من بغداد شرقاً إلى الأندلس غرباً.

لم أعتمد في تخريج هذه القصائد من مصادر الأدب العربي، على ورود واحد، فقصائد الشعر العربي تردُ في تلك المصادر بصيغ ورود مختلفة، سواء من حيث عدد الأبيات، أو في نمطِ تسلسلها، أو لجهة اختلاف نصِّ البيت الشعري، كما قد تختلف نسبتُها بين أكثر من شاعر سابق أو لاحق، ولذلك فقد قارنت مختلف الروايات ببعضها، وأخذت ما رأيته أجملَ وأدقَّ وأكثر صلة بالشاعر وتجربته، وكانتْ تلك المقارنة لا تتمُّ على أساس القصيدة كاملة بل على أساس مقابلة «بيت ببيت» كما ورد في الروايات المُتعدِّدة، وقد أخذت بنظر الاعتبار مدى قُرب المصدر المنقول عنه من زمن الشاعر. ولذلك يمكن القول إن كثيراً من هذه القصائد هي تحقيقٌ شخصي يقوم على أساس تخريج موحَّد وجديد للقصيدة من تلك المصادر.

كما قمت بعنونة القصائد بما يناسبها ويلخِّصُها في جملة تكون مُستلَّة

عادة من بين أشطرها، أو بما اشتُهِرتْ به القصيدةُ نفسُها فاتخذته عنواناً لها لازمها عبر العصور.

كذلك قمتُ بشرح أكثر من ألف مفردة معجمية وردت في هذه القصائد استناداً إلى المعاجم والقواميس، أو اعتماداً على التحليل الشخصي لسياق المعنى العام للبيت، وتوزَّعتْ تلك المفردات على أكثر من خمسمائة بيت شعري، قمتُ بشرحها أو بتقريبها من فهم القارئ العادي، على إنني أعدُّ ما يرد من إشارات في الهوامش أحياناً متناً حَيويّاً لقراءة القصيدة والإحاطة بتجربة الشاعر بشكل عام.

وفي مطلق الأحوال تبقى هذه المختارات في النهاية، مختارات شعرية تعبر بشكل ما، عن «تجاسد» قرائي مع تلك النصوص، وعن ذائقة شخصية لعيون الشعر العربي، وإن التزمت بمنهج تحقيق نصي من مصادر التراث.

لَقِيْطُ بنُ يَعْمُرَ الإيَاديّ

رِسَالَةٌ لَمْ تَصِلْ!

شَاعِرٌ مِنْ أهْلِ الْحِيْرَةِ بِالْعِرَاقِ، سَبَقَ شُعَرَاءَ الْمُعَلَّقَاتِ زَمَنِيّاً بِحَوالَي الْقَرْنَيْنِ، كَانَ يُجِيْدُ الْفَارِسِيَّةَ. وَقَصِيْدَتُهُ هَذِهِ كِنَايَةٌ عَنْ رِسَالَةِ إنْذَارٍ وَتَحْرِيْضٍ أرْسَلَهَا مِنْ سِجْنِهِ، يُحَذِّرُ فِيْهَا قَوْمَهُ مِنْ غَزْوِ «سَابُورَ الثَّانِي ذِي الأكْتَافِ» وَيَحِثُّهُمْ عَلَى الاسْتِعْدَادِ لِقِتَالِهِ. وَسُمِّي سَابُورُ بِذِي الأكْتَافِ لأنَّهُ، كَمَا يَنْقُلُ الأبْشِيْهِيُّ فِي الْمُسْتَطْرَفِ، خَلَعَ أكْتَافَ سَبْعِيْنَ ألْفاً مِنَ الْعَرَبِ وَقَتَلَهُمْ «وَأَمَرَهُمْ حِيْنَئِذٍ بِإرْخَاءِ الشُّعُوْرِ وَلِبْسِ الْمُصَبَّغَاتِ، وَأنْ يَسْكُنُوا بُيُوْتَ الشَّعَرِ، وَأنْ لا يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إلا عُرَاةً».

وَيُقَالُ أنَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ وَقَعَتْ بَيْنَ أيْدِيْ كِسْرَى فَنَكَّلَ بِلَقِيْطَ بنِ يَعْمُرَ، فَقَطَعَ لِسَانَهُ وَمِنْ ثَمَّ قَتَلَهُ، لَكِنَّ قَصِيْدَتَهُ الْفَرِيْدَةَ هَذِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ عَنْ ألْسِنَةِ الرُّوَاةِ فِي تَارِيْخِ الأدَبِ الْعَرَبِيِّ.

وَيَرَى الدُّكْتُوْر جَوَاد عَلِي فِي «الْمُفَصَّلِ فِي تَارِيْخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الإسْلام» أنَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ رُبَّمَا تَعُوْدُ إِلَى زَمِنِ كِسْرَى أنوشِرَان أوْ كِسْرَى بن هُرْمُز، وَلَيْسَ سَابُور الثَّانِي.

عَنْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ قَالَ أَبُو هِلالِ الْعَسْكَرِيُّ فِي الأَوَائِلِ: «هَذِهِ أَجْوَدُ أَبْيَاتٍ قِيْلَتْ فِي صِفَةِ صَاحِبِ حَرْبٍ وَقَائِدِ جَيْشٍ، وَهْيَ أَجْوَدُ قَصِيْدَةٍ قِيْلَتْ فِي الإِنْذَارِ».

وَعَنْ شَاعِرِ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ قَالَ الأَصْفَهَانِيُّ: «لَقِيْطٌ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ قَدِيْمٌ مُقِلٌّ، لَيْسَ يُعْرَفُ لَهُ شِعْرٌ غَيْرَ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ وَقِطَعٍ مِنَ الشِّعْرِ لِطَافٍ مُتَفَرِّقَةٍ».

يَا دَارَ عَمْرَةَ مِنْ مُحْتَلِّهَا الْجَرَعَا
هَاجَتْ لَكَ الْهَمَّ وَالأَحْزَانَ وَالْوَجَعَا[1]

تَامَتْ فُؤَادِيْ بِذَاتِ الْجِزْعِ خَرْعَبَةٌ
مَرَّتْ تُرِيْدُ بِذَاتِ الْعَذْبَةِ الْبِيَعَا[2]

جَرَّتْ لِمَا بَيْنَنَا حَبْلَ الشَّمُوسِ فَلاَ
يَأْساً مُبِيْناً تَرَى مِنْهَا وَلا طَمَعَا[3]

فَمَا أَزَالُ عَلَى شَحْطٍ يُؤَرِّقُنِي
طَيْفٌ تَعَمَّدَ رَحْلِي حَيْثُمَا وُضِعَا[4]

إِنِّي بِعَيْنَيَّ إِذْ أَمَّتْ حُمُولُهُمُ
«بَطْنَ السَّلَوْطَحِ» لا يَنْظُرْنَ مَنْ تَبِعَا[5]

---

(١) الجرعُ: موضعٌ، وقِيْلَ هي الرملةُ المستويةُ التي لا تنبت.

(٢) تامتْ: تيمتْ: عبدتْ وذللتْ، ومنهُ «تيم اللّه» كأنه عبد اللّه، والجزعُ: منعطفُ الوادي. والخرعبةُ: الشابةُ الحسنةُ القوام، والبِيَعَا: الكنيسةُ المسيحيةُ، وقيل: معبد اليهود.

(٣) الشَّموسُ: الناقةُ أو الفرسُ التي تكون صعبةَ القياد والرُّكوب.

(٤) الشَّحطُ: البعدُ، وتعمَّدَهُ: اتكأ عليه.

(٥) بطنُ السَّلوطح: مكانٌ في الجزيرة.

طَـوْرَاً أَرَاهُـم وَطَـوْراً لا أُبِـيـنُـهُـمُ
إِذَا تَـوَاضَـعَ خِـدْرٌ سَـاعَـةً لَـمَـعَـا

بَـلْ أَيُّـهـا الـرَّاكِـبُ الْـمُـزْجِـي عَـلَـى عَـجَـلٍ
نَـحْـوَ الْـجَـزِيـرَةِ مُـرْتَـاداً وَمُـنْـتَـجِـعَـا[1]

أَبْـلِـغْ إِيَـاداً، وخَـلِّـلْ فِـي سَـرَاتِـهِـمُ
إِنِّـي أَرَى الـرَّأْيَ، إِنْ لَـمْ أُعْـصَ قَـدْ نَـصَـعَـا

يَـا لَـهْـفَ نَـفْـسِـيَ إِنْ كَـانَـتْ أُمُـورُكُـمُ
شَـتَّـى، وأُحْـكِـمَ أَمْـرُ الـنَّـاسِ فـاجْـتَـمَـعَـا

أَلاَ تَـخَـافُـونَ قَـوْمَـاً لا أَبَـا لَـكُـمُ
أَمْـسَـوا إِلَـيْـكُـمْ كـأَمْـثَـالِ الـدَّبـا سِـرَعَـا[2]

أَبْـنَـاءُ قَـوْمٍ تَـأَوَّوكُـمْ عَـلَـى حَـنَـقٍ
لا يَـشْـعُـرُوْنَ أَضَـرَّ الـلَّـهُ أَمْ نَـفَـعَـا[3]

أَحْـرَارُ فَـارِسَ أَبْـنَـاءُ الْـمُـلُـوكِ لَـهُـمْ
مِـنَ الْـجُـمُـوعِ جُـمُـوعٌ تَـزْدَهِـي الـقَـلَـعَـا[4]

فَـهُـمْ سِـرَاعٌ إِلَـيْـكُـمْ بَـيْـنَ مُـلْـتَـقِـطٍ
شَـوْكَـاً وَآخَـرَ يَـجْـنِـي الـصَّـابَ وَالـسَّـلَـعَـا[5]

---

(١) مرتادًا: الذي يبحثُ عن مواضع العشب، والمنتجع: الذي ينزل تلك المواضع.
(٢) الدَّبا: الجراد.
(٣) تأووكم على حَنَقٍ: اجتمعوا عليكم بكراهية وغيظ شديدين.
(٤) القلعُ: السَّحاب العظيم.
(٥) الصَّاب والسَّلَعُ: شَجَرَانِ مُرَّانِ، كنى بذلك عن السلاح.

فِـي كُـلِّ يـوْمٍ يَـسُـنُّوْنَ الْـحِـرَابَ لَـكُـمْ
لا يَـهْـجَـعُـوْنَ إِذَا مَـا غَـافِـلٌ هَـجَـعَـا[1]

خُــزْرٌ عُــيـُـوْنُــهُــمْ كَــأَنَّ لَـحْـظَـهُـمْ
حَـرِيـقُ نَـارٍ تَـرَى مِـنْـهُ الـسَّـنَـا قِـطَـعَـا[2]

لاَ الْـحَـرْثُ يَـشْـغَـلُـهُـمْ بَـلْ لاَ يَـرَوْنَ لَـهُـمْ
مِـنْ دُوْنِ بَـيْـضَـتِـكُـمْ رِيَّـاً وَلاَ شِـبَـعَـا[3]

وأَنْـتُـمْ تَـحْـرُثُـوْنَ الأَرْضَ عَـنْ سَـفَـهٍ
فِـي كُـلِّ نَـاحِـيَـةٍ تَـبْـغُـوْنَ مُـزْدَرَعَـا

وتُـلْـقِـحُـوْنَ حِـيَـالَ الـشَّـوْلِ آوِنَـةً
وتَـنْـتِـجُـوْنَ بِـدَارِ الـقُـلْـعَـةِ الـرُّبُـعَـا[4]

أَنْـتُـمْ فَـرِيـقَـانِ هَـذَا لا يَـقُـوْمُ لَـهُ
هَـصْـرُ الْـلُـيُـوْثِ وَهَـذَا هـالِـكٌ صَـقَـعَـا[5]

وقَـدْ أَظَـلَّـكُـمُ مِـنْ شَـطْـرِ ثَـغْـرِكُـمُ
هَـوْلٌ، لَـهُ ظُـلَـمٌ، تَـغْـشَـاكُـمُ قِـطَـعَـا

مَـالِـيَ أَرَاكُـمْ نِـيَـامَـاً فِـي بُـلَـهْـنِـيَـةٍ
وَقَـدْ تَـرَوْنَ شِـهَـابَ الْـحَـرْبِ قَـدْ سَـطَـعَـا[6]

---

(١) الهجوعُ: النوْم الخفيف.

(٢) خزرُ العيون: ضيّقوا أجْفَانَهم ليُحدِّدوا النظر، والسَّنا: الضوء.

(٣) بيضةُ القوم: ساحتهم، وهي هنا كناية عن عقر الدار.

(٤) ناقةٌ حائل: اذا لَمْ تَحبلْ، والشَوْلُ: النُوقُ اللواقح.

(٥) صقعا: ذهب ومات حتف أنفه: يريد أن يقول أنتم فريقان منكم من سيموت في القتال، وآخرُ سيموت حتفَ أنفه: أي بلا قتال.

(٦) بُلَهْنِيَةٌ: سِعَةٌ وَرَفاهيةٌ.

فَاشْفُوا غَلِيلِيَ بِرَأْيٍ مِنْكُمُ حَسَنٍ
يُضْبِحْ فُؤَادِيَ لَهُ رَيَّانَ قَدْ نَقَعَا[1]
وَلاَ تَكُونُوا كَمَنْ قَدْ بَاتَ مُكْتَنِعاً
إِذَا يُقَالُ لَهُ: إِفْرِجْ غُمَّةً كَنَعَا[2]
صُونُوا جِيَادَكُمُ، واجْلُوا سُيُوفَكُمُ
وجَدِّدُوا لِلقِسِيِّ النَّبْلَ والشُّرَعَا[3]
وَاشْرُوا تِلادَكُمُ فِي حِرْزِ أَنْفُسِكُمْ
وحِرْزِ نِسْوَتِكُمْ، لا تَهْلِكُوا جَزَعَا[4]
وَلا يَدَعْ بَعْضُكُم بَعْضاً لِنَائِبَةٍ
كَمَا تَرَكْتُمْ بِأَعْلَى بِيشَةَ النَّخَعَا[5]
أَذْكُوا الْعُيُونَ وَرَاءَ السَّرْحِ، واحْتَرِسُوا
حتَّى تُرَى الْخَيلُ مِن تَعْدائِها رُجُعَا[6]

---

(١) نقعا: شفي غليله، وذهب عطشه.

(٢) مكتنعٌ: حاضرٌ، وقيلَ: هو المتجمع، وكنع: خضع ولان، والغمة: الكرب والحزن.

(٣) القِسِيُّ: الأقواس، وهي صيغة من جَمْعِ قوس، والشرع: أوتار الأقواس.

(٤) التلادُ: المال القديم، وقيل هو كلُّ ما يورثُ عن الآباء: من مالٍ وَحَيَوانٍ وغَيْرِهِمَا.

(٥) بيشةُ: قرية غناء في أحد أودية اليمن: والنخع اسم شخص، ينتسب له بطن من بطون العرب، يقول البلاذري في أنساب الأشراف: «كان النخع، وثقيف أخوين من إياد بن نزار ـ فخرجا ومعهما عنزٌ لَبون يشربان لبنَهَا، فعرضَ لَهُما مُصدِّق ملك اليمن، فأراد أخذها، فقالا: أنما نعيش بدرِّها، فرمى أحدُهما المصدق، فقتله، فقال أحدُهما لصاحبه: إنه لا يحملني وإياك أرضٌ، فأمَّا النخع فمضى إلى «بيشة» فأقام بها، ونزل ثقيف موضعاً قريباً من الطائف.»

(٦) السَّرحُ: الأشجارُ العالية، وتعدائها: عدوها، ورجعا: ترجع أيديها في السَّير، لسرعتها.

فَـلا تَـغُـرَّنَّـكُـم دُنْـيَـا وَلا طَـمَـعٌ

لَـنْ تَـنْـعَـشُوا بِـزِمَـاعٍ ذَلِـكَ الـطَّـمَـعَا[1]

يَـا قَـوْمِ بَـيْـضَـتَـكُـمْ لاَ تُـفْـجَـعُـنَّ بِـهَـا

إِنِّـي أَخَافُ عَـلَـيْـهَا الأَزْلَـمَ الْـجَـذَعَـا[2]

يَـا قَـوْمِ لا تَـأْمَـنُـوا، إِنْ كُـنْـتُـمُ غُـيُـرَاً

عَـلَـى نِـسَـائِـكُـمُ، كِـسْـرَى وَمَـا جَـمَـعَـا

هُـوَ الْـجَـلاءُ الَّـذِيْ تَـبْـقَـى مَـذَلَّـتُـكُـمْ

إِنْ طَـارَ طَـائِـرُكُـمْ يَـوْمَـاً وَإِنْ وَقَـعَـا

هُـوَ الْـفَـنَـاءُ الَّـذِيْ يَـجْـتَـثُّ أَصْـلَـكُـمُ

فَـمَـنْ رَأَى مِـثْـلَ ذَا رَأْيَـاً وَمَـنْ سَـمِـعَـا

فَـقَـلِّـدُوا أَمْـرَكُـمُ، لِـلَّـهِ دَرُّكُـمُ،

رَحْبَ الـذِّرَاعِ، بِأَمْـرِ الْـحَرْبِ مُـضْـطَـلِـعَـا

لا مُـتْـرَفَـاً إِنْ رَخَـاءُ الْـعَـيْـشِ سَـاعَـدَهُ

ولاَ إِذَا عَـضَّ مَـكْـرُوهٌ بِـهِ خَـشَـعَـا

مُـسَـهَّـدَ الـنَّـوْمِ، تَـعْـنِـيْـهِ أُمُـورُكُـمُ

يَـرُوْمُ فِـيْـهَـا إِلَـى الأَعْـدَاءِ مُـطَّـلَـعَـا

مَـا انْـفَـكَّ يَـحْـلُـبُ هَـذَا الـدَّهْـرَ أَشْـطُـرَهُ

يَـكُـوْنُ مُـتَّـبَـعَـاً يَـوْمَـاً وَمُـتَّـبِـعَـا[3]

---

(١) الزماعُ: العزم.

(٢) يا قومِ: منادى مُرخَّمٌ، أصله يا قومي وحذفت الياء للترخيم، الأزلَمُ الجذعُ: كناية عن الدهر.

(٣) حلبَ الدهر أشطره: إذا مرَّ به خيرٌ وشرٌّ، وشدَّة ورخاء، وهو مجاز.

وَلَـيْـسَ يَـشْـغَـلُـهُ مَـالٌ يُـثَـمِّـرُهُ

عَـنْـكُـمْ وَلاَ وَلَـدٌ يَـبْـغِـي لَـهُ الـرِّفَـعَـا

حـتَّـى اسْـتَـمَـرَّتْ عَـلَـى شَـزْرٍ مَـرِيـرَتُـهُ

مُسْتَحْكِمُ الرَّأْيِ، لا قَحْماً ولا ضَرَعا[1]

كَـمَـالِـكِ بـنِ قَـنَّـانٍ أَوْ كَـصَـاحِـبِـهِ

زَيـدِ الْـقَـنَـا يَـوْمَ لاقَـى الْـحَـارِثَـيْـنِ مَـعَـا

إِذ عـابَـهُ عـائِـبٌ يَـوْمَـاً فَـقَـالَ لَـهُ:

دَمِّثْ لِجَنْبِكَ قَبْلَ اللَّيلِ مُضْطَجَعا[2]

فَـسَـاوَرُوهُ فَـأَلْـفَـوْهُ أَخَـا عَـلَـلٍ

فِي الْحَربِ يَحْتَبِلُ الرِّئْبَالَ وَالسَّبُعَا[3]

عَـبْـلَ الـذِّرَاعِ أَبِـيًّـاً ذَا مُـزَابَـنَـةٍ

فِي الْحَرْبِ لا عَاجِزاً نِكْساً وَلا وَرَعَا[4]

مُـسْـتَـنْـجِـداً يَـتَـحَـدَّى الـنَّـاسَ كُـلَّـهُـمُ

لَـوْ قَـارَعَ الـنَّـاسَ عَـنْ أَحْـسَـابِـهِـم قَـرَعَـا

---

(١) الشزرُ: فتلُ الحبلِ جهةَ اليسار، وهو أشدُّ فتله، والقحْمُ: الكبير السنِّ، والضرع: الضعيف.

(٢) دَمِثْ لجنبك قبل النوم مضطجعاً، وفي رواية أخرى دَمِّثْ لنفسك: وهذا مَثَلٌ جاء به لقيط: يضرب للاستعداد للنوائب قبل حلولها، والتدميث: التليين، والدماثة والدَّمث: اللين.

(٣) ساوروه: واثبوه، ويحتبلُ: يصيد، والرِّئبال: من أسماء الأسد وقيل هو من أسماءِ الذِّئبِ كذلك.

(٤) عبلُ الذراعين: ضخمهما: والْمُزَابَنَةُ: التدافعُ والمصادمةُ، والنِّكسُ: المقصر عن النجدة، والورع: الضعيف الجبان.

لَقَدْ بَذَلْتُ لَكُمْ نُصْحِيْ بِلا دَخَلٍ
فاسْتَيقِظُوا، إِنَّ خَيرَ العِلْمِ مَا نَفَعَا[1]

هَذَا كِتَابِيْ إِلَيكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ
فَمَنْ رَأَى رَأيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا

بِمُقْلَتَي خَاذِلٍ أُدْمَاءَ طَاعَ لَهَا
نَبْتُ الرِّيَاضِ تُزَجِّي وَسْطَهُ ذَرَعَا[2]

وَواضِحِ أَشْنَبِ الأَنْيَابِ ذِيْ أُشُرٍ
كَالأُقْحُوَانِ إِذَا مَا نُورُهُ لَمَعَا[3]

إِنِّيْ أَرَاكُمْ وَأَرْضاً تُعْجَبُونَ بِهَا
مَثَلَ السَّفِينَةِ تَغْشَى الوَعْثَ وَالطَّبَعَا[4]

وتَلْبَسُونَ ثِيَابَ الأَمْنِ ضَاحِيَةً
لا تَجْمَعُونَ، وَهَذا الْجَيْشُ قَدْ جَمَعَا

يَسْعَىٰ وَيَحْسِبُ أَنَّ الْمَالَ مُخْلِدُهُ
إِذَا اسْتَفَادَ طَرِيفاً زَادَهُ طَمَعَا[5]

فَاقْنَوا جِيَادَكُمُ وَاحْمُوا ذِمَارَكُمُ
وَاسْتَشْعِروا الصَّبْرَ لا تَسْتَشْعِرُوا الْجَزَعا[6]

---

(١) بلا دخل: بلا ريبة، أي قدَّمْتُ لكم نُصْحي بوضوح.

(٢) خِذَالٌ أدماءُ: الظبيةُ التي تخلفت عن القطيع، وتزجي: تسوق برفق.

(٣) أشنبُ الأنياب: دقيقُها، والأشر: الأسنانُ الحادَّة.

(٤) الوعثُ: أرضٌ مسترخيةٌ رطبة، والطَّبعُ: الصدأُ الذي يكثرُ على السَّيف، والطبعُ: تدنس العِرْضِ وتلطُّخُهُ، وهو ما استعاره لقيط في البيت.

(٥) الطريفُ: المال الجديد الحادث والنامي.

(٦) اقنوا: اقتنوا: والاقتناء هو شراء للنفس وليس للتجارة.

فَإِنْ غُلِبْتُمْ عَلَى ضِنِّ بِدَارِكُمُ

فَقَدْ لَقِيتُمْ بِأَمْرٍ حَازِمٍ فَزَعَا[1]

لا تُلْهِكُمْ إِبِلٌ، لَيْسَتْ لَكُمْ إِبِلٌ

إِنَّ العَدُوَّ بِعَظْمٍ مِنْكُمُ قَرَعَا

لا تُثْمِرُوا الْمَالَ لِلأَعْدَاءِ إِنَّهُمُ

إِنْ يَظْهَرُوا يَحْتَوُوكُمْ والتِّلادَ مَعَا

هَيْهَاتَ لا مَالَ مِنْ زَرْعٍ وَلا إِبِلِ

يُرْجَى لِغَابِرِكُم إِنْ أَنْفُكُمْ جُدِعَا

هَيْهَاتَ مَا زَالَتِ الأَمْوَالُ مُذْ أَبَدِ

لأَهْلِهَا إِنْ أُجِيبُوا مَرَّةً تَبَعَا

مَاذَا يُرَدُّ عَلَيْكُم عِزُّ أَوَّلِكُمُ

إِنْ ضَاعَ آخِرُهُ أَو ذَلَّ وَاتَّضَعَا

قُومُوا قِيَاماً عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ

ثُمَّ افْزَعُوا، قَدْ يَنَالُ الأَمْرَ مَنْ فَزِعَا

لا يَطْعَمُ النَّومَ إِلاَّ رَيْثَ يَحْفِزُهُ

هَمٌّ، يَكَادُ حَشَاهُ يَحْطِمُ الضِّلَعَا[2]

يَا قَوْمِ إِنَّ لَكُمْ مِنْ إِرْثِ أَوَّلِكُمْ

مَجْداً قَدْ شَفِقْتُ أَنْ يَفْنَى وَيَنْقَطِعَا

---

(١) الضِّنُّ: هو ما يختصُّ به الشخص لنفسه ويَضَنُّ به: يبخل لِمكانهِ منهُ ومَوْقِعِه عِنْدَه.

(٢) إلا ريث ذلك: إلا قدر ذلك.

الأَسْعَرُ الْجُعْفِيُّ

مَقْصُوْرَةُ الْخَيْلِ

هَذِهِ قَصِيْدَةٌ غَضَبٍ، لَمْ يُعْرفْ لِشَاعِرِهَا سِوَاهَا مَا خَلا بَعْضَ النُّتَفِ وَالأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ الْمُتَفَرِّقَةِ، حَتَّى أَنَّ مَطْلَعَ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ ظَلَّ مَنْقُوْصَاً وَحَائِرَاً وَتَائِهَاً وَقَدْ «خَفِيَ عَلَى الناسِ مُذْ دَهْرٍ دَهِيْرٍ[1]»، وَقَد انْفَرَدَ ابْنُ رَشِيْق فِي «الْعُمْدَةِ» بِذِكْرِ مَطْلَعِهَا لَكِنَّهُ اكْتَفَى بِإِيْرَادِ الشَّطْرِ الأَوَّل مِنْهُ. قَالَ الأَسْعَرُ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ فِي هِجَاءِ قَوْمِهِ حتَّى بَلَغَ بِهِ الأَمْرُ أنْ فَضَّلَ فَرَسَهُ عَلَى أَهْلِهِ، وَلا يَكَادُ يُضَاهِيْهِ شَاعِرٌ فِيْ وَصْفِ الْخَيْلِ وَتَمْجِيْدِهَا، وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ أَنَّ الأَسْعَرَ «وَاسْمُهُ مَرْثَدُ بنُ أَبِيْ حَمْرَانَ الْجَعْفِيّ وهُوَ مِنْ فُرْسَانِ الْجَاهِلِيَّةِ» فَقَدَ أَبَاهُ وَهُوَ صَغِيْرٌ، فَأَخَذَ أَعْمَامُهُ الدِّيَّةَ وَأَكَلُوْهَا، وَبَاعُوا خُيُوْلَهُ، فَلَمَّا كَبِرَ الأَسْعَرُ اتَّخَذَ الْخَيْلَ أخِلاءً، دُوْنَ الأَهْلِ وَالأَصْدِقَاءِ. فَثَارَ لأَبِيْهِ، وَاسْتَعَادَ خُيُوْلَهُ، وَكَتَبَ مَقْصُوْرَتَهُ وَ«وَاحِدَتَهُ» النَّادِرَةَ هَذِه.

---

(١) تخريج مقصورة الأسعر الجعفي وواحدته: «مجلة التراث العربي ـ دمشق العدد ٨٦ ـ ٨٧ (أغسطس) ٢٠٠٢ السنة الثانية و العشرون ـ مقبل التام عامر الأحمدي»

هَلْ بَانَ قَلْبُكَ مِنْ سُلَيْمَى فَاشْتَفَى ... وَلَقَدْ غَنِيتَ بِحُبِّهَا فِيمَا مَضَى

بَلِّغْ أَبَا حُمْرَانَ أَنَّ عَشِيرَتِي ... نَاجَوا وَلِلنَّفَرِ الْمُنَاجِينَ التَّوَى[1]

بَاعُوا جَوَادَهُمُ لِتَسْمَنَ أُمُّهُمْ ... وَلِكَيْ يَبِيتَ عَلَى فِرَاشِهِمُ فَتَى

عِلْجٌ إِذَا مَا ابْتَزَّ عَنْهَا ثَوْبَهَا ... وتَخَامَصَتْ قَالَتْ لَهُ: مَاذَا تَرَى[2]

لَكِنْ قَعِيدَةُ بَيْتِنَا مَجْفُوَّةٌ ... بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا ولَهَا غِنَى[3]

تُقْفِي بِعِيشَةِ أَهْلِهَا مَلْبُونَةً ... أَوْ جُرْشُعًا عَبْلَ الْمَحَازِمِ وَالشَّوَى[4]

مَنْ كَانَ كَارِهَ عَيْشِهِ فَلْيَأْتِنَا ... يَلْقَ الْمَنِيَّةَ أَوْ يَؤُوبَ لَهُ غِنَى

ولَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَجَنُّبِيَ الرَّدَى ... أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لاَ مَدَرُ الْقُرَى[5]

رَاحُوا بَصَائِرُهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ ... وبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتِدٌ وَأَى[6]

نَهْدُ الْمَرَاكِلِ لاَ يَزَالُ زَمِيلُهُ ... فَوْقَ الرِّحَالَةِ مَا يُبَالِي مَا أَتَى[7]

أَمَّا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ فَتَسُوقُهُ ... رِجْلٌ قَمُوصُ الوَقْعِ عَارِيَةُ النَّسَا[8]

---

(١) أبو حُمْران: والد الشّاعر، والتّوى: الهلاك.

(٢) العِلْجُ: الشّديدُ الغليظُ، ابتزّ: انتزع بشدّة، وتَخَامَصَتْ: أي امتنعتْ وتباعدت.

(٣) الجناجنُ: عظامُ الصدر.

(٤) فرسٌ ملبونةٌ: تسقى اللبن، والجرشع: عظيمة الصدر منتفخة الجنبين، وعبل المحازم: غليظ محزمها، والشوى القوائم

(٥) الْمدَرُ: أسيجةُ الطين.

(٦) البصائرُ الأولى: التروس، والبصيرة الأخرى: الثأر، العتد: فرس معدّة للجري والوَأى: الفرس السريعة المقتدرة الخلق.

(٧) المراكلُ: المكانُ الذي يركل فيه الفارسُ الفرسَ ليحضها على السّير، والرّحالة: السّرج.

(٨) القموصُ: قمصت الفرس إذا رفعت يديها وطرحتهما معاً وعجنت برجليها، قال ابن قدامة في هذا البيت وأخويه التّاليين في «نقد الشعر»: إن هذا الشّاعر قد أتى=

أَمَّـا إِذَا اسْـتَـعْـرَضْـتَـهُ مُـتَـمَـطِّـراً فَتَقُولُ: هَذَا مِثْلُ سِرْحَانِ الْغَضَا[1]

أَمَّـا إِذَا اسْـتَـقْـبَـلْـتَـهُ فَـكَـأَنَّـهُ بَـازٌ يُكَفْكِفُ أَنْ يَطِيرَ وَقَدْ رَأَى

إِنِّـي وَجَـدْتُ الْـخَـيْـلَ عِـزًّا ظَـاهِـرًا تُنْجِي مِنَ الغُمَّى ويَكْشِفْنَ الدُّجَى

ويَبِتْنَ بِالثَّغْرِ الْمَخُوفِ طَوَالِعاً ويُثِبْنَ لِلصُّعْلُوكِ جُمَّةَ ذِي الغِنَى[2]

وَإِذَا رَأَيْـتَ مُـحَـارِبًـا وَمُـسَـالِـمـاً فَلْيَبْغِنِي عِنْدَ الْمُحَارِبِ مَنْ بَغَى

وَخَصَاصَةُ الْجُعْفِيِّ مَا صَاحَبْتَهُ لاَ تَنْقَضِي أَبَدًا وَإِنْ قِيلَ انْقَضَى[3]

إِخْـوَانُ صِـدْقٍ مَـا رَأَوْكَ بِـغِـبْـطَـةٍ فَإِنِ افْتَقَرْتَ فَقَدْ هَوَى بِكَ مَا هَوَى

مَسَحُوا لِحَاهُمْ ثُمَّ قَالُوا: سَالِمُوا يَالَيْتَنِي فِي القَوْمِ إِذْ مَسَحُوا اللِّحَى[4]

وكَـتِـيـبَـةٍ لَـبَّـسْـتُـهَـا بِـكَـتِـيـبَـةٍ حَتَّى تَقُولَ سَرَاتُهُمْ: هَذَا الفَتَى

لاَ يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ غَيْرَ تَغَمْغُمٍ حَكَّ الْجِمَالِ جُنُوبَهُنَّ مِنَ الشَّذَا[5]

يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا كَأَصَابِعِ الْمَقْرُورِ أَقْعَى فَاصْطَلَى[6]

= بجميع الأقسام، فلم يدعْ قِسْماً من أقسام النُّصْبة التي ترى في الفرس إذا رُئي عليها إلاّ أتى به.

(١) متمطّرٌ: مسرعٌ، وتَمَطَّرَتِ الخيلُ: ذهبتْ مُسرعةً، والسِّرحان: الذئب، والغضا: شجر، وذئاب الغضا من أخبث الذئاب.

(٢) مَخُوْف: يُقَال: هذا طَرِيقٌ مَخُوْفٌ إذا كان يُخَافُ فيه، ولا يُقَال: مُخِيْفٌ، لأَنَّ الطَّرِيقَ لاَ تُخِيفُ، وإِنَّمَا يُخَافُ قَاطِعُهَا، والْجُمَّة: القومُ الذين يطلبون الثأر.

(٣) الخصاصةُ: الفَقْرُ.

(٤) مَسَحُوا لِحاهُم: علامةُ الصلح.

(٥) التغمغمُ: أصواتُ الفرسان في القتال، والشَّذا: ذُبابُ الكلبِ يقعُ على الدَّواب فيؤذيها.

(٦) عوابسُ: غِضَاب، والمقرورُ: الباردُ، وهو الذي أصابه القرّ، وأقعى: جلس مُتساندًا إلى ما وراءه، واصطلى: استدفأ.

يَتَخَالَسُونَ نُفُوسَهُمْ بِنَوَافِذٍ فَكَأَنَّمَا عَضَّ الكُمَاةُ عَلَى الْحَصَى[1]
فَإِذَا شَدَدْتُ شَدَدْتُ غَيْرَ مُكَذِّبٍ وإِذَا طَعَنْتُ كَسَرْتُ رُمْحِي أَوْ مَضَى
مِنْ وُلْدِ أَوْدٍ عَارِضِي أَرْمَاحِهِمْ أَنْهَلْتُهُمْ بَاهَى الْمُبَاهِي وانْتَمَى[2]
يَا رُبَّ عَرْجَلَةٍ أَصَابُوا خَلَّةً دَأَبُوا وحَارَدَ لَيْلُهُمْ حَتَّى بَكَى[3]
بَاتَتْ شَآمِيَةُ الرِّيَاحِ تَلُفُّهُمْ حَتَّى أَتونَا بَعْدَمَا سَقَطَ النَّدَى
فَنَهَضْتُ فِي البَرْكِ الْهُجُودِ وَفِي يَدِيْ لَدْنُ الْمَهَزَّةِ ذُو كُعُوبٍ كَالنَّوَى[4]
أَحْذَيْتُ رُمْحِي عَائِطًا مَمْكُورَةً كَوْمَاءَ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ لَهَا خَلا[5]
فَتَطَايَرَتْ عَنِّي وَقُمْتُ بِعَاتِرٍ صَدْقِ الْمَهَزَّةِ ذُو كُعُوبٍ كَالنَّوَى[6]
بَاتَتْ كِلابُ الْحَيِّ تَسْنَحُ بَيْنَنَا يَأْكُلْنَ دَعْلَجَةً وَيَشْبَعُ مَنْ عَفَا[7]
ومِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةٌ مَزْؤُودَةٌ غَبْرَاءُ لَيْسَ لِمَنْ تَجَشَّمَهَا هُدَى[8]
كَلَّفْتُ نَفْسِي حَدَّهَا وَمِرَاسَهَا وَعَلِمْتُ أَنَّ القَوْمَ لَيْسَ بِهَا غَنَا
وَمُنَاهِبٍ أَقْصَدْتُ وَسْطَ جُمُوعِهِ وعِشَارِ رَاعٍ قَدْ أَخَذْتُ فَمَا تَرَى
ظَلَّتْ سَنَابِكُهَا عَلَى جُثْمَانِهِ يَلْعَبْنَ دُحْرُوجَ الوَلِيدِ وقَدْ قَضَى

---

(١) رماحٌ نوافذُ: مواضٍ مخترقات.
(٢) أودُ: أَوْدُ بن صَعْب بن سَعْد العَشِيرة وهو جد الأفوه الأودي الشاعر.
(٣) العرجلةُ: الجماعةُ الْمُشَاةُ، وحارد: غضب.
(٤) البَرْكُ: الإبل البُرُوك، أو الباركة، لَدْن الْمَهَزَّةِ: يقصد بهِ الرُّمحَ الذي يهتزُّ من لِيْنِهِ.
(٥) أحذيتُ: أعطيتُ، والعائطُ: الحائلُ، وهي الناقة التي بلغت في سنتها الأولى ولم تحملْ، الْمَمْكُورة: مُستديرةُ السَّاقينِ، الكوماءُ: عظيمةُ السَّنامِ طويلتُهُ.
(٦) رمحٌ عاترٌ: رُمحٌ مُضطربٌ.
(٧) الدَّعلجةُ: الأكلُ بنَهَم.
(٨) مزؤودةٌ: مِنَ الزؤدُ: وَهُوَ الفَزَعُ والذُّعْرُ.

ولَقَدْ ثَأَرْتُ دِمَاءَنَا مِنْ وَاتِرٍ	فَالْيَوْمَ إِنْ كَانَ الْمَنُونُ قَدِ اشْتَفَى
بَانَ الْخَلِيطُ ولَمْ أُفَارِقْ عَنْ قِلى	نَسِيَ الْحَبِيبَ وفَلَّ صَبْوَتَهُ الْقِلَى
والْهَمُّ مَا لَمْ تُمْضِهِ لِسَبِيلِهِ	لَيْسَ الْمُفَارِقُ يَا أُمَيمَ كَمَنْ نَأَى
أَمَلٌ تَبَوَّأَ فِي مَنَازِلِ ذِلَّةٍ	والْمَيْتُونَ شِرَارُ مَنْ تَحْتِ الثَّرَى
أَحْيَاؤُهُمْ عَارٌ عَلَى مَوْتَاهُمُ	ومَتَى تُفَارِقْهُمْ تُفَارِقْ عَنْ قِلَى
وإِذَا تُصَاحِبُهُمْ تُصَاحِبْ خَانَةً	وإِذَا عَوَى ذِئْبٌ بِصَاحِبِهِ عَوَى
لا يَفْزَعُونَ إِلَى مَخَافَةِ جَارِهِمْ	أَمْ هَلْ لِحَتْفٍ رَاصِدٍ مِنْ مُنْتَأَى؟
هَلْ فِي السَّمَاءِ لِصَاعِدٍ مِنْ مُرْتَقًى	سِيَّانِ فِيهِ مَنْ تَصَعْلَكَ واقْتَنَى
لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ سَبِيلٍ واضِحٍ	إِذْ لا ذَلِيلَ أَذَلُّ مِنْ وادِي الْقُرَى
عَجَبًا عَجِبْتُ لِمَنْ يُدَنِّسُ عِرْضَهُ	والعِرْضُ بَعْدَ ذَهَابِهِ لا يُشْتَرَى
والثَّوبُ يَخْلَقُ ثُمَّ يُشْرَى غَيْرُهُ	ويَصُونُ حُلَّتَهُ يُوَقِّيهَا الأَذَى
إِلا رَوَاكِدَ بَيْنَهُنَّ خَصَاصَةٌ	سُفْعَ الْمَنَاكِبِ كُلُّهُنَّ قَدِ اصْطَلَى (١)
ومُجَوَّفَاتٍ قَدْ عَلا أَجْوَازَهَا	أَسْآرُ جُرْدٍ مُتْرَصَاتٌ كَالنَّوَى (٢)

---

(١) الرّواكدُ: الأثافيّ مشتقٌّ من ثباتها، والخَصَاصةُ: الْفَتْحَةُ بين الأثَافِيّ، السَّفعُ: سَوَادٌ عَلَى حُمْرَةٍ، أي تَحَوَّلَتْ سَمراءَ على حُمْرَةٍ.

(٢) المجوّفاتُ: المُجَوَّفُ من الدَّواب: الذي يصعَد فيه البَلَقُ حتَّى يبلغَ البطنَ. علا أجوازَها: علا التّجويفُ أوساطَها، وأسآر: بقايا، والجرد: الخيل قصار الشعر، ومُتْرَصات: أي مُلتصقاتٌ ومُتماسكاتٌ، والنَّوى: جَمْعُ نواة أي صلبة كنواة التمر.

الأفْوَه الأوْدِي

الْحَيَاةُ ثَوْبٌ مُسْتَعَارٌ

اسْمُهُ صَلاءَةُ بِنُ عَمْرو، وَسُمِّيَ بِالأفْوَهِ لأنَّهُ كَانَ غَلِيْظَ الشَّفَتَيْنِ ظَاهِرَ الأَسْنَانِ. شَاعِرٌ جاهِلِيٌّ، كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ وَقَائِدَهُمْ وَشَاعِرَهُمْ، لَهُ شِعْرٌ قَلِيْلٌ. تُنْتَقَى قَصِيْدَتُهُ هَذِهِ فِيْ كُتُبِ الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ عَلَى إنَّهَا «وَاحِدَتُهُ» الَّتِي لاْ يَرْقَى إلَيْهَا سَائِرُ شِعْرِهِ، نَقَلَ صَاحِبُ الأغَانِي عَنْ بَعْضِهِمْ: «الأَفْوَهُ مِنْ كِبَارِ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ» وَوَصَفَ ابْنُ قُتَيبْةَ هَذِهْ الْقَصِيْدَةَ فِي «الشِّعْرِ والشُّعَرَاءِ» بِأَنَّهَا «مِنْ جَيِّدِ شِعْرِ الْعَرَب» لِمَا تَنْطَوِيْ عَلَيْهِ مِنْ تَحْوِيْلِ التَّجْرِبَةِ الشَّخصِيَّةِ الشُّعُوْرِيَّةِ إلَى «أَمْثَالٍ سَائِرَةٍ» تُجَسِّدُ خِبْرَةَ حَيَاةٍ وَتُلَّخِصُ مَوْقِفَاً إزَاءَ الْعَالَم الَّذي وَجَدَ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ فِيْه.

إنْ تَرَىْ رَأسِي فِيْهِ قَزَعٌ ... وَشَوَاتِي خَلَّةٌ فِيْهَا دُوَارْ[1]

أَصْبَحَتْ مِنْ بَعْدِ لَوْنٍ وَاحِدٍ ... وَهْيَ لَوْنَانِ وَفِيْ ذَاكَ اعْتِبَارْ

نَصُرُوْفُ الدَّهْرِ فِيْ أطْبَاقِهِ ... خِلْعَةٌ فِيْهَا ارْتِفَاعٌ وَانْحِدَارْ

---

(١) القزعُ: شَعراتٌ متفرقةٌ في الرأس، والشواة: جلدة الرأس.

بَينَما النّاسُ على عَلْيائِها   إذ هَوَوا في هُوَّةٍ مِنها فَغارُوا

إِنَّما نِعْمَةُ قَومٍ مُتْعَةٌ   وَحَياةُ الْمَرْءِ ثَوبٌ مُسْتَعارُ

وَلَيالِيهِ إلالٌ لِلْقُوى   مِنْ مُداهُ تَخْتَلِيها وَشِفارُ[1]

تَقْطَعُ اللَّيلَةُ مِنهُ قُوَّةً   وَكَما كَرَّتْ عَلَيهِ لا تُغارُ

حَتَمَ الدَّهرُ عَلَينا أَنَّهُ   ظَلَفٌ ما نالَ مِنّا وَجُبارُ[2]

فَلَهُ فِي كُلِّ يَومٍ عَدْوَةٌ   لَيسَ عَنها لامْرِئٍ طارَ مَطارُ

رَيَّشَتْ جُرْهُمُ نَبلاً فَرَمى   جُرْهُماً مِنهُنَّ فُوقٌ وَغِرارُ[3]

عَلِمُوا الطَّعْنَ مَعَدّاً فِي الْكُلى   وَادِّراعَ اللأْمِ فَالطَّرْفُ يَحارُ[4]

وَرُكُوبَ الْخَيلِ تَعْدُو الْمَرْطى   قَدْ عَلاها نَجَدٌ فِيهِ احْمِرارُ[5]

يا بَنِي هاجَرَ ساءَتْ خُطَّةً   أَنْ تَرُومُوا النِّصْفَ مِنّا وَنُجارُ

إِنْ يَجُلْ مُهْرِيَ فِيكُمْ جَوْلَةً   فَعَلَيهِ الكَرُّ فِيكُم وَالغِوارُ

كَشِهابِ القَذْفِ يَرْمِيكُم بِه   فارِسٌ في كَفِّهِ لِلْحَرْبِ نارُ

شَنَّ مِن أَوْدٍ عَلَيكُم شَنَّةً   إِنَّهُ يَحْمِي حِماها وَيَغارُ

فارِسٌ صَعْدَتُهُ مَسْمُومَةٌ   تَخْضِبُ الرُّمْحَ إذا طارَ الْغُبارُ[6]

---

(١) الإلالُ: الْحِرابُ، والشِّفارُ: السَّكاكين.

(٢) الجُبارُ: الْهَدْرُ، يقال ذهب دَمُهُ جُباراً أيْ هَدْراً، وظلف: باطل، ويقال ذهب ظلفاً أي مجاناً.

(٣) جُرْهُمُ: قبيلةٌ مِنْ عِرَبِ اليمن البائدة، والفُوقُ: وَترُ السَّهم، والغرارُ: حدُّ الرُّمح والسَّيف والسَّهم.

(٤) اللأمُ: جَمْعُ لامة، وهي الدِّرع.

(٥) المرطى: نوعٌ من العدو متوسِّطُ السُّرعة، والنجد: العرق.

(٦) الصعدةُ: القناةُ المستقيمة.

مُسْتَطِيرٌ لَيسَ مِنْ جَهْلٍ وَهَلْ لِأَخِي الْحِلْمِ عَلى الْحَرْبِ وَقَارْ
يَحْلُمُ الْجَاهِلُ لِلسِلْمِ وَلا يَقِرُ الْحِلْمُ إِذا ما الْقَومُ غَارُوا
نَحنُ أَودٌ وَلِأَودٍ سُنَّةٌ شَرَفٌ لَيسَ لَنا عَنْهُ قَصَارْ
سُنَّةٌ أَوْرَثَنَاهَا مَذْحِجٌ قَبْلَ أَنْ يُنسَبَ لِلنَّاسِ نِزَارْ
نَحنُ قُدْنَا الْخَيلَ حَتَّى اِنقَطَعَتْ شُدُنُ الأَفلاءِ عَنها وَالْمِهَارْ[1]
كُلَّمَا سِرْنَا تَرَكْنَا مَنزِلاً فِيهِ شَتَّى مِنْ سِبَاعِ الأَرْضِ غَارُوا
وَتَرى الطَّيرَ عَلَى آثَارِنا رَأْيَ عَينٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارْ[2]
جَحْفَلٌ أَوْرَقُ فِيهِ هَبْوَةٌ وَنُجومٌ تَتَلَظَّى وَشَرارْ[3]
تَرَكَ النَّاسُ لَنَا أَكْتَافَهُمْ وَتَوَلَّوا لاتَ لَمْ يُغْنِ الفِرَارْ
مُلْكُنَا مُلْكٌ لَقَاحٌ أَوَّلٌ وَأَبُونا مِنْ بَنِي أَوْدٍ خِيَارْ
وَلَقَدْ كُنتُمْ حَدِيثاً زَمَعاً وَذُنَابَى حَيثُ يَحْتَلُّ الصَّغَارْ[4]
نَحْنُ أَصْحَابُ شَباً يَومَ شَبا بِصِفَاحِ الْبِيضِ فِيهِنَّ اِظَّفَارْ[5]
عَنكُمُ فِي الأَرْضِ إِنَّا مَذْحِجٌ وَرُوَيداً يَفْضَحُ اللَيلَ النَّهَارْ

---

(١) شُدنُ الأفلاء: ظباء الفلوات.

(٢) سَتُمارُ: ستجدُ مِيرَتَها، أي الطعام، بمعنى أن الطير تتبع آثارنا لأنها ستجد القوتَ من جُثَثِ أعدائنا.

(٣) الهبوةُ: الغبرةُ.

(٤) الصَغَارُ: الذلّ والضيم.

(٥) شبا: أرضٌ باليمن وقعت فيها حربٌ بين أهل اليمن وبكر، كما جاء في «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للأندلسي».

عَبْدُ يَغُوْثُ الْحَارِثِيّ

لِسَانُ الأَسِيْر

شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ أَسَرَتْهُ قَبِيْلَةُ تَمِيْمَ فِي يَوْمِ الْكُلابِ الثَّانِي - وَالْكُلابُ: اسْمُ وَادٍ وَفِيْهِ كَانَ الْكُلابُ الأَوَّلُ وَالْكُلابُ الثَّانِي وَهُمَا مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ الْمَشْهُوْرَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقِيْلَ إِنَّمَا سُمِّيَ بِالْكُلابِ لَمَا لَقُوا فِيْهِ مِنَ الشَّرِّ فِي الْمَعَارِكِ - فَشَدُّوا لِسَانَهُ بِنِسْعَةٍ «وَهِيَ سَيْرٌ جِلْدِيٌّ، يَسْتَعْمَلُ عِنَانَاً لِلْفَرَسِ» خَوْفَاً مِنْ أَنْ يَهْجُوَهُمْ، وَلَمْ يَفُكُّوهُ إِلا فِيْ وَقْتِ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ.

وَطَلَبُوا مِنْهُ، بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَخْتَارَ كَيْفَ يُقْتَلُ، فَقَالَ لَهُمْ: أَطْلِقُوا لِسَانِي حَتَّى أَذُمَّ قَوْمِيْ، وَأَنُوحَ عَلَى نَفْسِيْ، وَاقْتُلُوْنِي قِتْلَةً كَرِيْمَةً بِأَنْ تَسْقُوْنِي خَمْرَاً صِرْفَاً وَتَقْطَعُوا شَرَايِيْنَ يَدَيَّ فَأَنْزِفَ حَتَّى الْمَوْتِ.

قَالَ الْجَاحِظُ: مَا قَرَأْتُ فِي الشِّعْرِ كَشِعْرِ عَبْدِ يَغُوْثَ بِنِ صَلاءَةَ الْحَارِثِيّ، وَطَرَفَةَ بِنِ العَبْدِ، وَهَدْبَةَ بِنِ الْخَشْرَمِ فَإِنَّ شِعرَهَمْ فِي الْخَوْفِ لا يُقَصِّرُ عَنْ شِعْرِهِم فِي الأَمْنِ، وَهَذَا قَلِيْلٌ جِدَّاً.

أَلاَ لاَ تَـلُـومَـانِـي كَـفَـى الـلَّـوْمَ مَـا بِـيَـا
وَمَـا لَـكُـمَـا فِـي الـلَّـوْمِ خَـيْـرٌ ولاَ لِـيَـا

أَلَــمْ تَــعْـلَـمَــا أَنَّ الْـمَـلاَمَــةَ نَـفْـعُـهَــا

قَـلِـيْـلٌ، وَمَا لَـوْمِـي أَخِـي مِـنْ شِـمَـالِـيَـا[1]

فَـيَــا رَاكِـبــاً إِمَّــا عَــرَضْــتَ فَـبَـلِّـغَـنْ

نَــدَامَــايَ مِــنْ نَـجْـرَانَ، أَنْ لا تَـلاَقِـيَــا

أَبَــا كَـرِبٍ والأَيْـهَـمَـيْـنِ كِـلَـيْـهِـمَــا

وقَـيْـساً بِأَعْـلَـى حَـضْـرَمَـوْتَ الْـيَـمَـانِـيَـا[2]

جَــزَى الـلَّـهُ قَـوْمِـي بِـالـكُـلاَبِ مَـلاَمَـةً

صَـرِيْـحَـهُـمْ والآخَـرِيْـنَ الْـمَـوَالِـيَـا[3]

وَلَـوْ شِـئْـتُ نَـجَّـتْـنِـي مِـنَ الْـخَـيْـلِ نَـهْـدَةٌ

تَـرَى خَـلْـفَـهَـا الْـحُـوَّ الْـجِـيَـادَ تَـوَالِـيَـا[4]

ولَــكِـنَّـنِـي أَحْـمِـي ذِمَـارَ أَبِـيـكُـمُ

وَكَـانَ الـرِّمَـاحُ يَـخْـتَـطِـفْـنَ الْـمُـحَـامِـيَـا

---

(١) شِمَالِيَا: خلقي، وهي مُفْرَدَةٌ من: الشمائل.

(٢) أبو كرب والأيهمان وقيس: هؤلاء كانوا ندماه هناك قبل أسْرِهِ، فذكرَهُمْ عِند أسْرِه وحنَّ إليهم؛ وقدْ نُصبت الأسماءُ على «البدل من نداماي» وأبو كرب والأيهمان من اليمن، وقيس هو: ابن معد يكرب، أبو الأشعث بن قيس الكنديّ؛ ويُروى أن قيساً هذا لَمَّا بلغه هذا البيت قال: لبيك، وإن كنت قد أخَّرتني.

(٣) الصريحُ: الخالصُ والمحضُ، والموالي: الحلفاءُ المنضمُّونَ إليهم، والكُلابُ: اسمُ موضع الوقعة.

(٤) النهدةُ: التلَّة، وكلُّ ما ارتفع يقال له نهد، والحوُّ من الخيل: التي يَمِيْلُ لونُها إلى الخُضرة «بمعنى السَّواد» وتواليا: جَمْعُ تالية أي: إن فرسي لخفتها تسبق الحَوَّ فهي تتلو فرسي.

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ:

أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا[1]

أَمَعْشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكْتُمْ فَأَسْجِحُوا

فَإِنَّ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا[2]

فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِيَ سَيِّداً

وإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا[3]

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعاً

نَشِيدَ الرِّعَاءِ الْمُعْزِبِينَ الْمَتَالِيَا[4]

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ

كَأَنْ لَمْ تَرَيْ قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيَا[5]

وَظَلَّ نِسَاءُ الْحَيِّ حَوْلِيَ رُكَّداً

يُرَاوِدْنَ مِنِّي مَا تُرِيدُ نِسَائِيَا[6]

---

(١) النِّسْعَةُ: سير مضفور على شكل أعنة الخيل.

(٢) أسجحوا: بمعنى سهلوا ويسروا، والبواء: السواء، أي: لم يكن أخوكم نظيراً لي فأكون بواءً له.

(٣) تحربوني: تسلبوني وَحَرَبَهُ: بمعنى أخذ ماله.

(٤) الرِّعَاءُ: جَمْعُ راعٍ. والمُعْزِب: المُتنحي بإبله، وهو اسم فاعل من أعزب والمَتَالِي: الأبل التي تتلوها أبناؤها، وقيل هي التي وَلَدَتْ من قبل، وفي بطونها أولاد جُدد.

(٥) عبشميةٌ: نسبة إلى عبد شمس، وكان الذي أسر عبد يغوث، فتى أهوج من عبد شمس، ولما رأته أم الفتى في أسره وكان عظيم الجسد جميلاً سألتهُ من أنت فأجابها: أنا سيِّدُ القوم، فضحكتْ منه وقالتْ لهُ: وكيف أسرك هذا الأهوج وإليها يشير في البيت.

(٦) راودتهُ عن نفسها: دعتهُ إلى إقامةِ فِعْلِ الْجِنسِ، جاء في سورة يوسف:

وَقَـدْ عَـلِـمَـتْ عِـرسِـي مُـلَـيـكَـةُ أَنَّـنِـي

أَنَـا الـلَّـيْـثُ مَـعْـدُوّاً عَـلَـيَّ وَعَـادِيَـا[1]

وَقَدْ كُنتُ نَحّارَ الْجَزُورِ وَمُعْمِلَ الْمَطِيِّ وأَمْضِي حَيْثُ لا حَيّ مَاضِيَا[2]

وأَنْـحَـرُ لِـلـشَّـرْبِ الْـكِـرَامِ مَـطِـيَّـتِـي

وأَصْـدَعُ بَـيْـنَ الـقَـيْـنَـتَـيْـنِ رِدَائِـيَـا[3]

وَكُـنْـتُ إِذَا مَـا الْـخَـيْـلُ شَـمَّـسَـهَـا الـقَـنَـا

لَـبِـيـقَـاً بِـتَـصْـرِيـفِ الـقَـنَـاةِ بَـنَـانِـيَـا[4]

فَـيَـا عَـاصِ فُـكَّ الْـقَـيْـدَ عَـنِّـي فَـإِنَّـنِـي

صَـبُـورٌ عَـلَـى مُـرِّ الْـحَـوَادِثِ نَـاكِـيَـا[5]

وَعَـادِيَـةٍ سَـوْمَ الْـجَـرَادِ وَزَعْـتُـهَـا

بِـكَـفِّـي وقـد أَنْـحَـوْا إِلَـيَّ الـعَـوَالِـيَـا[6]

كَـأَنِّـيَ لَـمْ أَرْكَـبْ جَـوَاداً وَلَـمْ أَقُـلْ

لِـخَـيْـلِـيَ كُـرِّي، نَـفِّـسِـي عَـنْ رِجَـالِـيَـا

= ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ فجعل الفعل لها.

(١) عرسي: امرأتي، المرأة عرس الرجل، وهو عرسها.

(٢) الجزورُ: السَّمينة من الإبل الصالحة للطعام، وطَرِيقٌ مَعْمِلٌ: واضح المسلك، يريد انه كريمٌ مع الضيف، وبيته طريق سالكة للضيوف الراكبين على المطي.

(٣) الشربُ: الشاربون، جَمْعُ شارب، وأصدع: أشقُّ والقينة: الجارية.

(٤) لبيقاً: من اللباقة، وهي حذاقة الرجل بما يعمل.

(٥) ناكيا: من نكى بالعدو: أي هزمه وانتصر عليه، والحوادث، النوائب والمصائب، يريد هنا إنه كان يهزم تلك النوائب بالصبر.

(٦) العاديةُ: القوم الذين يَغْدون، من العدوِّ، وسَوْم الجراد: انتشاره، ووزعتها: كففتها، وأنحوا إلي: مالوا علي، والعوالي: قناة الرمح.

وَلَـمْ أَسْـبَـأِ الـزِّقَّ الـرَّوِيَّ وَلَـمْ أَقُـلْ

لأَيْـسَـارِ صِـدْقٍ: أَعْـظِـمُـوا ضَـوْءَ نَـارِيَـا[1]

(۱) سبأ الخمر: اشتراه للشرب لا للبيع، والأيسار: الذين يضربون القداح، جمع ياسر، والزق: وعاء الخمر.

عَمْرو بنُ قَعَّاس المرادي

الْبَيْتُ الْمُسَافِرُ

تُعْرَفُ هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ بِتَائِيَّةِ عَمْرُو بِنِ قَعَّاسِ الْمُرَادِيِّ، وَهْوَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ لَمْ تَكْشِفِ الْمَصَادِرُ عِنْ قَصِيْدَةٍ لَهُ سِوَىْ هَذِهِ التَّائِيَّةِ، قَالَ عَنْهُ الْمَعَرِّيُّ فِيْ رَسَائِلِهِ: «وَقَدْ زَعَمَتِ الرُّوَاةُ أَنَّ عَمْرو بنَ قَعَّاسٍ سَكَرَ فَذَبَحَ ابْنَهُ وَلِذَلِكَ قَالَ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ، وَيَسْتَشْهِدُوْنَ بِبَيْتِهِ»: وَلَحْمٍ لَمْ يَذُقْهُ النَّاسُ قَبْلِيْ، أَكَلْتُ عَلَىْ خَلاءٍ وَانتَقَيْتُ.

أَلا يَا بَيْتُ بِالْعَلْيَاءِ بَيْتُ ... وَلَوْلا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ

أَلا يَا بَيْتُ أَهْلُكَ أَوْعَدُوْنِي ... كَأَنِّي كُلَّ ذَنْبِهِمُ جَنَيْتُ

إِذَا مَا فَاتَنِي لَحْمٌ غَرِيضٌ ... ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَكْرِي فَاشْتَوَيْتُ

أُرَجِّلُ لِمَّتِي وَأَجُرُّ ذَيْلِي ... وَتَحْمِلُ شِكَّتِي أُفُقٌ كُمَيْتُ

وَسَوْدَاءِ الْمَحَاجِرِ إِلْفِ صَخْرٍ ... تُلاحِظُنِي التَّطَلُّعَ قَدْ رَمَيْتُ

وَغُصْنٍ لَمْ تَنَلْهُ كَفُّ جَانٍ ... مَدَدْتُ إِلَيْهِ كَفِّي فَاجْتَلَيْتُ

وَتَامُوْرٍ هَرَقْتُ وَلَيْسَ خَمْراً ... وَحَبَّةِ غَيْرِ طَاحِنَةٍ قَضَيْتُ[1]

---

(١) التامورُ: مهجة النفس.

وبـرزكِ قَـدْ أثَـرتُ بِـمَـشْـرَفِـيٍّ إذَا مَـا زَلَّ عَـنْ عُـفْـرٍ رَمَـيْـتُ

وعـادِيَـةٍ لَـهَـا ذَنَـبٌ طَـوِيـلٌ رَدَدْتُ بِمُضْغَةٍ فِيمَا اشْتَهَيْتُ

أُثَبِّتُ بَاطِلِي فَيَكُونُ حَقّاً وَحَقّاً غَيْرَ ذِي شَبَهٍ لَوَيْتُ

مَتَى مَا يَأْتِنِي يَوْمِي يَجِدْنِي شَبِعْتُ مِنَ اللَّذَاذَةِ وَاشْتَفَيْتُ

وَكَمْ مِنْ لائِمٍ فِي الْخَمْرِ زَارٍ عَلَيَّ غَدَا يَلُومُ فَمَا ارْعَوَيْتُ

وَآنِسَةٍ حَذَوْتُ وَلَمْ أَدِنْهَا فَأَعْجَبَنِي طَرَاوَةُ مَا حَذَوْتُ

فَلَمَّا أَنْ وَهَتْ قَرَنَتْ وَلانَتْ وَجَاءَتْ فِي الْحِذَاءِ كَمَا اشْتَهَيْتُ

وَبَيْتٍ لَيْسَ مِنْ شَعَرٍ وَصُوفٍ عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ قَدْ بَنَيْتُ

وَبَيْتٍ قَدْ أَتَيْتُ حَوَالَ بَيْتٍ وَبَيْتٍ مَا أُحَاوِلُهُ أَتَيْتُ

وَجَمَّاءَ الْمَرَافِقِ قَدْ دَعَتْنِي لِتُدْخِلَنِي فَقُلْتُ لَهَا أَبَيْتُ

وَجَارِيَةٍ تُنَازِعُنِي رِدَائِي أَمَامَ الْحَيِّ لَيْسَ عَلَيَّ بَيْتُ

تَقُولُ فَضَحْتَنِي وَرَآكَ قَوْمِي وَمَا عُذْرِيَ الآنَ وَقَدْ زَنَيْتُ

أَلا بَكَرَ الْعَوَاذِلُ فَاسْتَمَيْتُ وَهَلْ أَنَا خَالِدٌ إمَّا صَحَوْتُ

وَكُنْتُ إذَا أَرَى زِقّاً مَرِيضاً يُنَاحُ عَلَى جِنَازَتِهِ بَكَيْتُ

أُمَشِّي فِي سَرَاةِ بَنِي غُطَيْفٍ إذَا مَا سَاءَنِي أَمْرٌ أَبَيْتُ

وَغُصْنٍ بَانَ مِنْ عِضَهٍ رَطِيبٍ هَصَرْتُ إلَيَّ مِنْهُ فَاجْتَنَيْتُ

وَمَاءٍ لَيْسَ مِنْ عِدٍّ رَوَاءٍ وَلا مَاءِ السَّمَاءِ قَدِ اشْتَفَيْتُ

وَلَحْمٍ لَمْ يَذُقْهُ النَّاسُ قَبْلِي أَكَلْتُ عَلَى خَلاءٍ وَانْتَقَيْتُ

وَصَادِرَةٍ مَعاً وَالْوِرْدُ شَتَّى عَلَى أَدْبَارِهَا أُصُلاً حَدَوْتُ

وَنَارٍ أَوْقَدَتْ مِنْ غَيْرِ زَنْدٍ أَثَرْتُ جَمِيمَهَا ثُمَّ اصْطَلَيْتُ

وَلَمْ أُدْبِرْ عَنِ الأَدْنَيْنِ إنِّي نَآنِي الأَكْرَمُونَ وَمَا نَأَيْتُ

الْمُنَخلُ الْيَشْكُرِي

أُحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي

شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مَشْهُورٌ بِوَسَامَتِهِ، كَانَ أَحَدَ نَدَامَى النُّعْمَانِ بنِ الْمُنْذِرِ، وَيُتَّهَمُ بِعَلاقَةٍ مَعَ زَوْجَتِه الْمُتَجَرِّدَةِ، وَيَذْكُرُ صَاحِبُ الأغَانِي: أَنَّ الْعَرَبَ تَقُوْلُ أَنَّ ابْنَي النُّعْمَانِ مِنْهَا كَانَا مِنَ الْمُنَخَّلِ، أَوْرَدَ ذَلِكَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي «الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ» وَثَنَّى عَلَيْهِ أَبو الْفَرَجُ الأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ «الأَغَانِي» وَهُنَاكَ قِصَّةٌ غَرِيْبَةٌ بِهَذَا الشَّأْنِ تَتَعَلَّقُ بِالنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ وَقَصِيْدَتِهِ الدَّالِيَّةِ فِي الْمُتَجَرِّدَةِ، رُبَّمَا تَحْتَاجُ إِلَى دِرَاسَةٍ مُقَارَنَةٍ مَعَ «وَاحِدَة» الْمُنَخَّلِ هَذِهِ.

إِنْ كُنْتِ عَاذِلَتِي فَسِيرِي ... نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَلاْ تَحُوْرِيْ

لا تَسْأَلِي عَنْ جُلِّ مَالِي ... وَاسْأَلِي كَرَمِي وَخِيْرِي

وَفَوَارِسٍ كَأُوَارِ حَرِّ النَّارِ، ... أَحْلاسِ الذُّكُور[1]

شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضِهِمْ ... فِيْ كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ

واسْتَلأَمُوا وتَلَبَّبُوا ... إِنَّ التَّلَبُّبَ لِلْمُغِيرِ

---

(١) أحلاسُ الذكور: الذين يلازمون ظهورَ الخيل.

وَعَلَى الْجِيَادِ الْمُضْمَراتِ فَوَارِسٌ مِثْلُ الصُّقُوْرِ
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الغُبارِ يَجِفْنَ بالنَّعَمِ الكَثِيرِ
يَرْفُلْنَ، فِي الْمِسْكِ الذَّكِيِّ وَصَائِكٍ كَدَمِ النَّحِيرِ[1]
يَعْكُفْنَ مِثْلَ أَساوِدِ التَّنُّومِ لَمْ تُعْكَفْ لِزُورِ[2]
أَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنْ أولئِكَ والفَوائِحِ بالعَبِيرِ
فإذا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ بِجوانِبِ البَيْتِ الكَسِيرِ
أَلْفَيْتَنِي هَشَّ اليَدَيْنِ بِمَرْيِ قِدْحِي أَوْ شَجِيرِي[3]
وَنَهَى أَبُو أَفْعَى فَقَلَّدَنِي أَبُو أَفْعَى جَرِيرِي
وَجَلالَةٍ خَطَّارَةٍ هَوْجَاءَ جَائِلَةِ الضُّفُوْرِ
تَعْدُوْ بِأَشْعَثَ قَدْ وَهَى سِرْبَالُهُ بَاقِي الْمَسِيرِ
فَضْلاً عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ عَلْقَمَةَ بْنَ صِيرِ
الْوَاهِبِ الْكُومَ الصَّفَايَا وَالأَوَانِسَ فِي الْخُدُوْرِ
يُضْفِيكَ حِينَ تَجِيئُهُ بِالْعَصْبِ وَالْحُلْيِ الْكَثِيرِ
وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الفَتَاةِ الْخِدْرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
الْكَاعِبِ الْحَسْنَاءِ تَرْفُلُ فِي الدِّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ
فَدَفَعْتُها فَتَدَافَعَتْ مَشْيَ القَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ
ولَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ كَتَنَفُّسِ الظَّبْيِ البَهِيرِ
فَدَنَتْ وَقَالَتْ: يا مُنَخَّلُ، مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُوْرِ

---

(١) دمٌ صائك: دم لزق.

(٢) التنومُ: شجر يكثر في البادية.

(٣) المري: حجرٌ قاسٍ يستعملُ للقدح.

مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبِّكِ فَاهْدَئِي عَنِّي وسِيرِي

وأُحِبُّهَا وتُحِبُّنِي ويُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

يَا رَبَّ يَوْمٍ لِلْمُنَخَّلِ قَدْ لَهَا فِيهِ، قَصِيرِ

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بِالصَّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ بِالْعَبْدِ الصَّحِيحِ وَبِالأَسِيرِ

وَشَرِبْتُ بِالْخَيْلِ الإِنَاثِ وَبِالْمُطَهَّمَةِ الذُّكُورِ

فَإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ

وإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ

يَا هِنْدُ مَنْ لِمُتَيَّمٍ يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الأَسِيرِ

الْمُفَضَّلُ النُّكْرِيّ

الْمُنْصِفَةُ فِي الْحُبِّ وَالْحَرْبِ

هَذِهِ قَصِيْدَةٌ أَنْصَفَ بِهَا الشَّاعِرُ خُصُوْمَهُ فَأَنْصَفَتْهُ، فَهِيَ الْقَصِيْدَةُ الوَحِيْدَةُ لِصَاحِبِهَا «الْمُفَضَّلِ» لَكِنَّهَا مَنَحَتْهُ كِنْيَةً جَدِيْدَةً وَصَارَتْ لَهُ اسْمَاً جَدِيْدَاً يُعْرَفُ بِهِ، وَكَانَ مِنْ قَبْلُ يُعْرَفُ بِاسْمِهِ: عَامِرِ بنِ مَعْشَرَ بن اسْحَمَ. فَقَدْ ذَكَرَ النَّشَابِي فِي «الْمُذَاكَرَةِ فِي أَلْقَابِ الشُّعَرَاءِ»: أَنَّهُ سُمِّيَ بِالْمُفَضَّلِ لِقَوْلِهِ فِيْ بَيْتٍ مِنْ هَذِهِ «الْمُنْصِفَةِ».

فَأَبْكَيْنَا نِسَاءَهُمُ وَأَبْكَوا نِسَاءً مَا يَسُوْغُ لَهُنَّ رِيْقُ

تُعَدُّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ مُؤَسِّسَةً لِمَا يُعْرَفُ بِالْمُنْصِفَاتِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ «وَهِيَ الْقَصَائِدُ الَّتِيْ تُقَالُ فِي الْحُرُوْبِ فَتَنْصِفُ الْخُصُوْمَ» قَالَ الْخَالِدِيَّانِ فِي «الأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ»: ذَكَرَ الرُّوَاةُ أَنَّ مُنْصِفَاتِ الْعَرَبِ ثَلاثَةٌ أَوَّلُهَا قَصِيْدَةُ الْمُفَضَّلِ النُّكْرِيِّ هَذِهِ، وَأَيَّدَهُمَا الْبَصْرِيُّ فِي حَمَاسَتِهِ. وَهُنَاكَ مَنْ يَرَى أَنَّ الْمُهَلْهِلَ بنَ رَبِيْعَةَ أَوَّلُ مَنْ «أَنْصَفَ» فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ. وَلَمْ يَرِدْ فِي الْمَصَادِرِ الْقَدِيْمَةِ وَسَائِرِ كُتُبِ الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ قَصِيْدَةٌ أُخْرَى لِهَذَا الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا اسْتَقَلُّوا ... فَنِيَّتُنَا وَنِيَّتُهُمْ فَرِيقُ

فَدَمْعِي لُؤْلُؤٌ سَلِسٌ عُرَاهُ ... يَخِرُّ عَلَى الْمَهَاوِي مَا يَلِيقُ

عَدَتْ مَا رُمْتَ إِذْ شَحَطَتْ سُلَيْمَى ... وَأَنْتَ لِذِكْرِهَا طَرِبٌ مَشُوقُ

فَوَدِّعْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَنَاةً ... مُبَتَّلَةً لَهَا خُلُقٌ أَنِيقُ

تُلَهِّي الْمَرْءَ بِالْحُدْثَانِ لَهْواً ... وَتَحْدِجُهُ كَمَا حُدِجَ الْمُطِيقُ

فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ غَدَاةَ جِئْنَا ... بِبَطْنِ أُثَالَ ضَاحِيَةً نَسُوقُ(١)

فِدَاءٌ خَالَتِي لِبَنِي حُيَيٍّ ... خُصُوصاً يَوْمَ كُسُّ الْقَوْمِ رُوقُ(٢)

هُمُ صَبَرُوا وَصَبْرُهُمُ تَلِيدٌ ... عَلَى الْعَزَّاءِ إِذْ بَلَغَ الْمَضِيقُ

وَهُمْ دَفَعُوا الْمَنِيَّةَ فَاسْتَقَلَّتْ ... دِرَاكاً بَعْدَمَا كَادَتْ تَحِيقُ

تَلاقَيْنَا بِغَيْبَةِ ذِي طُرَيْفٍ ... وَبَعْضُهُمُ عَلَى بَعْضٍ حَنِيقُ(٣)

فَجَاؤُوا عَارِضاً بَرِداً وَجِئْنَا ... كَسَيْلِ الْعِرْضِ ضَاقَ بِهِ الطَّرِيقُ(٤)

مَشَيْنَا شَطْرَهُمْ وَمَشَوا إِلَيْنَا ... وَقُلْنَا الْيَوْمَ مَا تُقْضَى الْحُقُوقُ

رَمَيْنَا فِي وُجُوهِهِمُ بِرِشْقٍ ... تَغَصُّ بِهِ الْحَنَاجِرُ وَالْحُلُوقُ

كَأَنَّ النَّبْلَ بَيْنَهُمُ جَرَادٌ ... تُكَفِّئُهُ شَآمِيَةٌ خَرِيقُ(٥)

وَبَسْلٌ أَنْ تَرَى فِيهِمْ كَمِيّاً ... كَبَا لِيَدَيْهِ إِلاَّ فِيهِ فُوقُ(٦)

---

(١) أثال: اسم جبل.

(٢) تقول العرب: في الحرب صار الأكسُّ كالأرْوَق، أي يقبض شفته فتبدو أسنانه.

(٣) الحنقُ: شدة الاغتياظ والغضب. أي جاء أحدهم ممتلئاً غضباً على الآخر.

(٤) فجَاؤوا عَارِضاً بَرِداً: جاءوا في كثرتهم وتعجُّلهم كأنهم قطعةٌ من السَّحاب فيها بَرَدٌ، والعِرْضُ: الوادي.

(٥) تسمي العرب ريح الشمال: الشامية. وريح الجنوب: اليمانية، وخريق: شديدة الهبوب.

(٦) الفوقُ: مواضع الوتر من السهام.

يُهَزْهِزُ صَعْدَةً جَرْدَاءَ فِيهَا ... سِنَانُ الْمَوْتِ أَوْ قَرْنٌ مَحِيقُ[1]
وَجَدْنَا السُّدْرَ خَوَّاراً ضَعِيفاً ... وَكَانَ النَّبْعُ مَنْبِتُهُ وَثِيقُ
لَقِينَا الْجَهْمَ ثَعْلَبَةَ بنَ سَيرٍ ... أَضَرَّ بِمَن يُجَمِّعُ أو يَسُوقُ
لَدَى الأَعْلامِ مِنْ تَلَعَاتِ طِفْلٍ ... وِمِنْهُمْ مَنْ أَضَجَّ بِهِ الْفُرُوقُ[2]
فَحَوَّطَ عَنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوفٍ ... وَأَفْنَاءُ الْعُمُورِ بِهَا شَفِيقُ[3]
فَأَلْقَيْنَا الرِّمَاحَ وَكَانَ ضَرباً ... مَقِيلَ الْهَامِ كُلُّ مَا يَلُوقُ
وَجَاوَزْنَا الْمَنُونَ بِغَيرِ نِكْسٍ ... وَخَاظِي الجِلْزِ ثَعلَبُهُ دَمِيقُ[4]
كَأَنَّ هَزِيزَنَا يَوْمَ الْتَقَينَا ... هَزِيزُ أَبَاءَةٍ فِيهَا حَرِيقُ[5]
بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ رِيعٍ ... بَنَانُ فَتىً وَجُمْجُمَةٌ فَلِيقُ
وَكَمْ مِنْ سَيِّدٍ مِنَّا وِمِنْهُم ... بِذِي الطَّرْفَاءِ مَنْطِقُهُ شَهِيقُ
بِكُلِّ مَجَالَةٍ غَادَرتُ خِرْقاً ... مِنَ الْفِتْيَانِ مَبْسَمُهُ رَقِيقُ[6]
فَأَشْبَعْنَا السِّبَاعَ وَأَشْبَعُوهَا ... فَرَاحَتْ كُلُّهَا تَئِقٌ يَفُوقُ[7]
تَرَكْنَا الْعُرْجَ عَاكِفَةً عَلَيهِمْ ... وَلِلْغِرْبَانِ مِنْ شِبَعٍ نَغِيقُ[8]

---

(١) الصَّعْدَةُ: قناةُ الرُّمْحِ الْمُستويةُ، وَسِنَانٌ مَحِيقٌ: حَادُّ الْمَلْمَس.

(٢) تلعاتٌ: أرضٌ قليلةُ الارتفاع، وتلعات طِفل: اسمُ مكانٍ وقعتْ فيه المعركةُ، وأضجَّ به الفروق: ضجَّ به الخوف.

(٣) العمورُ: بطنٌ من بطونِ عبد القيس.

(٤) خاظي الجلز: السِّنان الكبير المقبض، وثعلبه دميق: أدخل طرفه حتى آخره.

(٥) الاباءةُ: القصبة.

(٦) مجالةٌ: مُقاتلة.

(٧) التئق الممتلئ، وتفوق: تكاد تخرج لشدَّة امتلائها.

(٨) العرجُ: الضِّباع، النغيق: صوت الغراب، والعرب تفرِّقُ بين النغيق والنعيب، فالنغيق: صوت الغراب بخير، والنعيب: صوته بشر.

فَأَبْكَيْنَا نِسَاءَهُمْ وَأَبْكَوا نِسَاءَ مَا يَسُوغُ لَهُنَّ رِيقُ
يُجَاوِبْنَ النِّيَاحَ بِكُلِّ فَجْرٍ فَقَدْ صَحِلَتْ مِنَ النَّوحِ الْحُلُوقُ[1]
قَتَلْنَا الْحَارِثَ الوَضَّاحَ مِنْهُمْ فَخَرَّ كَأَنَّ لِمَّتَهُ الْعُذُوقُ[2]
أَصَابَتْهُ رِمَاحُ بَنِي حُيَيٍّ فَخَرَّ كَأَنَّهُ سَيْفٌ دَلُوقُ[3]
وَقَدْ قَتَلُوا بِهِ مِنَّا غُلاماً كَرِيماً لَمْ تُؤَشِّبْهُ الْعُرُوقُ[4]
وَسَائِلَةٍ بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَيْرٍ وَقَدْ أَوْدَتْ بِثَعْلَبَةَ الْعَلُوقُ[5]
وَأَفْلَتَنَا ابْنُ قُرَّانٍ جَرِيضاً تَمُرُّ بِهِ مُسَاعِفَةٌ حَرُوقُ[6]
تَشُقُّ الأَرْضَ شَائِلَةَ الذُّنَابَى وَهَادِيهَا كَأَنْ جِذْعٌ سَحُوقُ[7]
فَلَمَّا اسْتَيْقَنُوا بِالصَّبْرِ مِنَّا تُذُكِّرَتِ الْعَشَائِرُ وَالْحَزِيقُ[8]
فَأَبْقَيْنَا وَلَوْ شِئْنَا تَرَكْنَا لُجَيْماً لا تَقُودُ وَلاَ تَسُوقُ[9]
وَأَنْعَمْنَا وَأَبْأَسْنَا عَلَيْهِمْ لَنَا فِي كُلِّ أَبْيَاتٍ طَلِيقُ

---

(١) صحلتْ: بحت.

(٢) اللمةُ: فورة الرأس إذا كانت تصل الإذنين، والعذوق: عناقيد العنب أو التمر الصغيرة.

(٣) السيفُ الدلوق: الذي سقط من غمده دون أن يسلّ.

(٤) لم تؤشبه العروق: الأصيل النسب، لم تتداخل فيه الأعراق، والأوشاب من الناس: الأوباش المتفرّقون في الأصل.

(٥) العلوقُ: المنية.

(٦) أفلت جريضا: صار مشارفاً على الهلاك بما فيه من جروح.

(٧) شائلةُ الذنابى: رافعة ذيلها والسحوق: الطويلة، وهو وصف للناقة التي أفلتت بالجريح.

(٨) الحزيقُ: الجماعة.

(٩) بنو لجيم: بطن من بطون العرب.

الأَسْوَدُ بنُ يَعْفُر

فِي الأَرْضِ الْمَسْدُوْدَةِ

كَانَ الأَسْوَدُ بنُ يَعْفُرُ شَاعِراً فَحْلاً مِنْ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ أَعْمَى لِهَذَا يَقُوْلُ فِي أَحَدِ أَشْطُرِ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ: «ضُرِبَتْ عليَّ الأَرْضُ بالأَسْدَادِ» وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ شَاعِراً جَوَّابًا فِي تِلْكَ الأَرْضِ الْمَسْدُوْدَةِ، وَيُكْثِرُ التَّنَقُّلَ فِي الْعَرَبِ وَيُجَاوِرُهُمْ، قَالَ ابْنُ سَلاَّمٍ فِي طَبَقَاتِهِ: لَهُ وَاحِدَةٌ رَائِعَةٌ طَوِيْلَةٌ، لاحِقَةٌ بأَجْوَدِ الشِّعْرِ، لَوْ كَانَ شَفَعَهَا بِمِثْلِهَا قَدَّمْنَاهُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ.

وَيَذْكُرُ صَاحِبُ الأَغَانِي إنَّ هَارُوْنَ الرَّشِيْدَ رَصَدَ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ لِمَنْ يَقْرَأُ لَهُ قَصِيْدَةَ الأَسْوَدِ كَامِلَةً.

نَامَ الْخَلِيُّ وَمَا أُحِسُّ رُقَادِي ... وَالْهَمُّ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وِسَادِي

مِنْ غَيْرِ مَا سَقَمٍ وَلَكِنْ شَفَّنِي ... هَمٌّ أَرَاهُ قَدْ أَصَابَ فُؤَادِي

وَمِنَ الْحَوَادِثِ، لا أَبَا لَكِ، أَنَّنِي ... ضُرِبَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِالأَسْدَادِ

لا أَهْتَدِي فِيهَا لِمَوْضِعِ تَلْعَةٍ ... بَيْنَ الْعِرَاقِ وَبَيْنَ أَرْضِ مُرَادِ

وَلَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الَّذِي نَبَّأْتِنِي ... أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الأَعْوَادِ

إنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُتُوفَ كِلاَهُمَا يُوفِي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي[1]

لَنْ يَرْضَيَا مِنِّي وَفَاءَ رَهِينَةٍ مِنْ دُونِ نَفْسِي، طَارِفِي وَتِلاَدِي

مَاذَا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ

أَهْلِ الْخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وَبَارِقٍ والقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ من سِنْدَادِ

أرضاً تَخَيَّرَهَا لِدَارِ أَبِيهِمُ كَعْبُ بنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمّ دُؤَادِ

جَرَتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَكَانِ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ

وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَم عِيشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ

نَزَلُوا بِأَنْقِرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمُ مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ

أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا فَطَالَ بِنَاؤُهُمْ وَتَمَتَّعُوا بِالأَهْلِ وَالأَوْلاَدِ

فإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ ما يُلْهَى به يَوْماً يَصِيرُ إِلَى بِلىً وَنَفَادِ

فِي آلِ غَرْفٍ لَوْ بَغَيتِ لِيَ الأُسَى لَوَجَدْتِ فِيهِمْ إِسْوَةَ الْعُدَّادِ

مَا بَعْدَ زَيْدٍ فِي فَتَاةٍ فُرِّقُوا قَتْلاً وَنَفْياً بَعْدَ حُسْنِ تآدِي[2]

فَتَخَيَّرُوا الأَرْضَ الْفَضَاءَ لِعِزِّهِمْ وَيَزِيدُ رَافِدُهُمْ عَلَى الرُّفَّادِ

إِمَّا تَرَيْنِي قَدْ بَلِيتُ وَغَاضَنِي مَا نِيلَ مِنْ بَصَرِي وَمِنْ أَجْلاَدِي

وعَصَيتُ أَصْحَابَ الصَّبابَةِ وَالصِّبَا وَأَطَعْتُ عَاذِلَتِي وَلاَنَ قِيَادِي

فلقد أَرُوحُ على التِّجارِ مُرَجِّلا مَذِلاً بِمَالِي لَيِّناً أَجْيَادِي[3]

---

(١) المخارمُ: جَمْعُ مخرمٍ، وهي الفجاج أو الطرق الضيقة في الجبل، وقوله: «يوفي»: يقال: أوفيتُ على الجبل، إذا علوت عليه، قال: ومعنى «يرقبان»: ينتظران، و«سوادي»: شخصي.

(٢) بَعْدَ حسن تآدي: بعد القوة، وحسن العُدَّة.

(٣) مذلٌ بمالي: مسترخ فيه، لَيِّنٌ: سهلٌ، والأجياد: جَمْعُ جيد، وهو العنق.

وَلَقَدْ لَهَوْتُ ولِلشَّبابِ لَذاذَةٌ بِسُلافَةٍ مُزِجَتْ بِماءِ غَوادِي

مِنْ خَمْرِ ذِي نَطَفٍ أَغَنَّ مُنَطَّقٍ وَافَى بِهَا لِدَرَاهِمِ الأَسْجَادِ[١]

يَسْعَى بِهَا ذُو تُومَتَيْنِ مُشَمِّرٌ قَنَأَتْ أَنامِلُهُ مِنَ الفِرْصَادِ[٢]

وَالْبِيضُ تَمْشِي كالْبُدُوْرِ وَكَالدُّمَى وَنَوَاعِمٌ يَمْشِينَ بِالأَرْفَادِ

وَالْبِيضُ يَرْمِينَ الْقُلُوبَ كأَنَّها أُدْحِيُّ بَيْنِ صَرِيمَةٍ وَجَمَادِ[٣]

يَنْطِقْنَ مَعْرُوفاً وَهُنَّ نَوَاعِمٌ بِيضُ الْوُجُوهِ رَقِيقَةُ الأَكْبَادِ

يَنطِقْنَ مَخْفُوضَ الْحَدِيثِ تَهَامُسَاً فَبَلَغْنَ مَا حَاوَلْنَ غَيرَ تَنَادِي

وَلَقَدْ غَدَوْتُ لِعَازِبٍ مُتَنَاذَرٍ أَحْوَى الْمَذَانِبِ مُؤْنِقِ الرُّوَّادِ[٤]

جَادَتْ سَوَارِيَهُ وَآزَرَ نَبْتَهُ نُفَأٌ مِنَ الصَّفْرَاءِ والزُّبَّادِ[٥]

بِالْجَوِّ فَالأَمَرَاتِ حَوْلَ مُرَامِرٍ فَبِضَارِجٍ فَقَصِيمَةِ الطُّرَّادِ[٦]

بِمُشَمِّرٍ عَتِدٍ جَهِيزٍ شَدُّهُ قَيْدِ الأَوَابِدِ والرِّهَانِ جَوَادِ[٧]

يَشْوِيْ لَنَا الوَحَدَ الْمُدِلَّ بِحُضْرِهِ بِشَرِيجِ بَيْنَ الشَّدِّ والإِبْرَادِ[٨]

---

(١) دراهمُ الأسجاد: دراهم الملوك كان الناس يسجدون لها بخضوع لأن فيها صورَ الملوك، ومنها أسجاد كسرى.

(٢) التومتان: القرطان، وقنأت: تخضبت، والفرصاد: التوت الأحمر.

(٣) الأُدحي: الحفرة التي تبيض فيه النعامة والصريمة مكان محاط بالأشجار صعب الدخول.

(٤) العازبُ: العشب في الأرض البعيدة، والمذانب: السيول في الأرض المنخفضة.

(٥) النفأ: قطع من الزرع المتفرق، والصفراء والزباد: نوعان من العشب.

(٦) الأمراتُ: الأراضي العالية، وهي العلامات، ومرامر: ناعم، وضارج: أرض سبخة تشرف على الكوفة، وقصيمة الطراد: أرض ينبت بها شجر الغضا.

(٧) العتد: الجواد الجاهز للجري، وفرس قيد الأوابد: التي تطارد الوحش وتقيدها.

(٨) المدل: الجريء: وشريج: بالتساوي، وبين الشَّدِّ والإِبْرَادِ: يعدو بين القوة والرويدة.

وَلَقَدْ تَلَوْتُ الظَّاعِنِينَ بِجَسْرَةٍ أُجُدٍ مُهَاجِرَةِ السِّقَابِ جَمَادِ[1]

عَيْرَانَةٍ سَدَّ الرَّبِيعُ خَصَاصَهَا مَا يَسْتَبِينُ بِهَا مَقِيلُ قُرَادِ[2]

فَإِذَا وَذَلِكَ لاَ مَهَاهَ لِذِكْرِهِ وَالدَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحاً بِفَسَادِ[3]

---

(١) ناقة أُجُد: التي تكون متصلة فقرات الظهر كأنها عظم واحد، والسقاب: الناقة التي تلد الذكور.

(٢) العيرانة: النشيطة، والخصاص: الفتحات الصغيرة بين الأصابع.

(٣) المهاهُ: الطراوة.

كَعْبُ الْغَنَوِيُّ

لَقَدْ أفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ

هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ قَالَهَا كَعْبُ فِي رِثَاءِ أَخِيْهِ أبِي الْمُغْوارِ وَيُقَالُ أنَّ اسْمَهُ شَبِيْبُ، قُتِلَ فِي حَرْبِ ذِيْ قَار.

وَبِرغْم أنَّ شَاعِرَ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ مِنْ مُخْضَرَمِي الْعَصْرَيْنِ الْجَاهِلِيِّ وَصَدْرِ الإسْلامِ، إلا أنَّ قَصِيْدَتَهُ تَمْتَازُ بِلُغَةٍ ذَاتِ خُصُوْصِيَّةٍ، وَمَعَانٍ وُجُوْدِيَّةٍ، وَأَسْئِلَةٍ عَمِيْقَةٍ عَنِ الْحَياةِ والْمَوتِ والْخُلُوْدِ، وَعَلى الرَّغْمِ مِمَّا تَحَدَّثَ عنهُ الْقَالِي مِنْ زِيَادَاتٍ قدْ تَكُوْنُ أُلحِقَتْ بِهَذهِ الْقَصِيْدَةِ الْفَرِيْدَةِ، إلا أنَّها ثُبِّتَتْ فِي جَمْهرَاتِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ مِنْ بيْنِ سَبْعٍ مِنْ عُيُونِ الْمَرَاثِي فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ. وَقدَّمَهَا قُدَامَةُ بنُ جَعْفَر فِي «نَقْدِ الشِّعْرِ» عَلَى سَائِرِ الْمَرَاثِي لِمَا تَتَّصِفُ بِهِ مِنْ قُوَّةِ التَّأْبِيْن.

تَقُوْلُ ابْنَةُ العَبْسيِّ: قَدْ شِبْتَ بَعْدَنا،
وَكُلُّ امرىءٍ بَعْدَ الشَّبَابِ يَشِيبُ
وَمَا الشَّيبُ إلاّ غَائِبٌ كَانَ جَائِياً،
وَمَا القَوْلُ إلاّ مُخْطِىءٌ وَمُصِيبُ

تَقُولُ سُلَيْمَى: مَا لِجِسْمِكَ شَاحِباً،
كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرَابَ طَبِيبُ[1]
فَقُلْتُ، وَلَمْ أَعْيَ الْجَوَابَ، وَلَمْ أَبُحْ،
وَلِلدَّهْرِ فِي الصُّمِّ الصِّلابِ نَصِيبُ[2]:
تَتَابُعَ أَحْدَاثٍ تَخَرَّمْنَ إِخْوَتِي،
فَشَيَّبْنَ رَأْسِي، وَالْخُطُوبُ تُشِيبُ[3]
لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةٌ
أَخِي، وَالْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شَعُوبُ[4]
لَقَدْ كَانَ أَمَّا حِلْمُهُ فَمُرَوَّحٌ
عَلَيْهِ، وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبُ[5]
أَخِي مَا أَخِي لا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ،
وَلاَ وَرَعٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ هَيُوبُ[6]
أَخِي كَانَ يَكْفِينِي، وَكَانَ يُعِينُنِي
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ، حِينَ تَنُوبُ[7]

---

(١) يحميك: من الْحِمْية أي: منعك.

(٢) العِيُّ: خِلاف البيان، وقد عَيَّ في منطقه: إذا لم يهتدِ لقصده وحجته، والصمّ الصِلاب: الصخور.

(٣) تخرَّمْنَ أخوتي: ذهبت بهم، تقول العرب عن الرجل إذا مات: خرمته الخوارم.

(٤) الشُعبةُ: الفُرْقَةُ تقول: شَعَبَتْهُمُ المَنِيَّةُ: فَرَّقَتْهُمْ، ومنه سُمِّيَتِ المنيةُ الشَعُوب، لأنها تُفَرِّقُ.

(٥) الْمُرَوَّحُ: القريبُ وَالْمُقِيْمُ، والعزيبُ: البعيدُ والغائبُ.

(٦) الوَرَعُ: الخوف.

(٧) النائبةُ: المصيبة، وتنوب: تصيب.

حَلِيمٌ، إذَا مَا سَوْرَةُ الْجَهْلِ أَطْلَقَتْ

حُبى الشَّيْبِ، لِلْنَّفْسِ اللَّجُوْجِ غَلُوبُ[1]

هُوَ الْعَسَلُ الْمَاذِيُّ لِيناً وَنَائِلاً،

وَلَيْثٌ، إذا يَلْقَى الْعُدَاةَ، غَضُوبُ[2]

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِياً

وَمَاذَا يَوَدُّ اللَّيْلُ حِينَ يَؤُوْبُ

هَوَتْ أُمُّهُ، مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ

مِنَ الْمَجْدِ، وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يُثِيبُ

أَخُو سَنَوَاتٍ يَعْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ

سَيَكْثُرُ مَا فِي قِدْرِهِ، وَيَطِيبُ

حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَّارِ غِشْيَانُ بَيْتِهِ،

جَمِيلُ الْمُحَيَّا، شَبَّ وَهُوَ أَدِيبُ[3]

كَأَنَّ بُيُوتَ الْحَيِّ، مَا لَمْ يَكُنْ بِهَا،

بَسَابِسُ قَفْرٍ، مَا بِهِنَّ عَرِيبُ[4]

كَعَالِيَةِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ يَكُنْ،

إذَا ابْتَدَرَ الْخَيْلَ الرِّجَالُ، يَخِيبُ

---

(١) سَوْرَةُ الْجَهْلِ: حِدَّتُهُ، حُبى: من الاحْتِباء: أي الاختفاء، تقول العرب احْتَبَى بثوبه احْتِباءً: يقصد أن الشيب يكون مختفياً أو متدثراً تحت العمامة، فتطلقه سورة الجهل.

(٢) الْمَاذي: العسل الأبيض وهو أجواد الأنواع.

(٣) غشيان: غاشية الرجل، من ينتابه من زواره والأصدقاء.

(٤) البابسُ: جَمْعُ بَسْبَس: الفَضاء القَفر الواسع، والعريب: أحد، تقول ما في الدار من عَرِيبٍ: أي ما بها من أحد.

إذا قَصَّرَتْ أيْدِي الرِّجَالِ عَنِ العُلَى،

تَنَاوَلَ أَقْصَى الْمَكْرُمَاتِ، كَسُوبُ

جَمُوعُ خِلالِ الْخَيرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ،

إذا حَالَ مَكْرُوهٌ بِهِنَّ ذَهُوبُ[1]

مُغِيثٌ، مُفِيدُ الفَائِدَاتِ، مُعَاوِدٌ

لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ، نَدُوبُ

وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إلَى النَّدى

فَلَمْ يَسْتَجِبْ عِنْدَ النِّدَاءِ مُجِيبُ

فَقُلْتُ: ادْعُ أُخْرَى وارْفَعِ الصَّوْتَ ثَانِياً،

لَعَلَّ أَبَا الْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ

يُجِبْكَ، كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ، إنَّهُ

بِأَمْثَالِهَا رَحْبُ الذِّرَاعِ، أرِيبُ[2]

أَتَاكَ سَرِيعاً وَاسْتَجَابَ إلَى النَّدَى،

كَذَلِكَ، قَبْلَ اليَوْمِ كَانَ يُجِيبُ

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْعُو السَّوابِحَ مَرَّةً

بِذِي لَجَبٍ، تَحْتَ الرِّمَاحِ، مُهِيبُ[3]

---

(١) الخِلالُ: الْخِصَال: مُفردُها خَلَّة: خَصْلة.

(٢) الأريبُ: العاقلُ.

(٣) السَّوابِحُ: الخيول، واللَّجَبُ: الصَّوْتُ والصِّياحُ والجَلَبة عند الحرب، وقيل: هو ارتفاعُ الأصواتِ واخْتِلاطُها؛ قال زهير بن أبي سلمى:

حَزِيزٌ إذا حَلَّ الحَلِيفَانِ حَولَهُ، بِذِي لَجَبٍ لَجَاتُه وَصَوَاهِلُهُ

فَـتًـىً أرْيَـحـيٌّ كَـانَ يَـهْـتَـزُّ لـلـنَّـدَى،
كَـمَـا اهْـتَزَّ مِـنْ مَـاءِ الْـحَدِيْـدِ قَـضِـيْـبُ[1]

فَـتًـىً لا يُـبـالِـي أنْ يَـكُـونَ بِـجِـسْـمِـهِ،
إذَا نَـــالَ خَـــلاَّتِ الـــكِـــرَامِ، شُـــحُـــوبُ

إذَا مَـــا تَـــرَاءاهُ الـــرِّجَـــالُ تَـــحَـــفَّـــظُـــوا،
فَـلَـمْ تَـنْـطِـقُ الـعَـوْرَاءَ، وَهْـوَ قَـرِيـبُ[2]

عَـلَـى خَـيْـرِ مَـا كَـانَ الـرِّجَـالُ خِـلاَلُـهُ،
وَمَـا الْـخَـيْـرُ إلاّ قِـسْـمَـةٌ وَنَـصِـيْـبُ

حَـلِـيفُ الـنَّـدَى يَـدْعُـو الـنَّـدَى، فَـيُـجِـيبُـهُ
سَـرِيعـاً، وَيَـدْعُـوهُ الـنَّـدى، فَـيُـجِـيـبُ

غِـيَـاثٌ لِـعـانٍ لَـمْ يَـجِـدْ مَـنْ يُـعِـيْـنُـهُ،
وَمُـخْـتَـبِـطٍ يَـغْـشَـى الـدُّخَـانَ غَـرِيْـبُ[3]

عَـظِـيْـمُ رَمَـادِ الـنَّـارِ رَحْـبٌ فِـنَـاؤُهُ،
إلَـى سَـنَـدٍ، لَـمْ تَـحْـتَـجِـنْـهُ غُـيُـوبُ[4]

---

(١) ماءُ الحديد: السيف، والعرب تقول: ماء الحديد، إذا قصدوا الخالص منه.

(٢) لَمْ تنطق العوراء: أي لا تذكر العورات بوجوده، أراد أن ينزه مجالسه عن الغيبة ومسامعه عن النميمة.

(٣) العاني: الأسير، والمختبط: الذي يطلب المعونة أو المساعدة دون أن تكون له آصرة أو قرابة مِمَّنْ يطلب منه.

(٤) عظيمُ رماد النار: جواد، والعرب تمدح الرجل بِعِظَم الرَّماد، لأنه لا يعظُمُ إلا رمادُ من كان مِطْعَاماً للأضياف، وتحتجنه: تحتجزه وتغيبه، والغيوب: الوديان أو المنخفضات.

يَبِيتُ النَّدَى، يَا أُمَّ عَمْرٍو، ضَجِيعَهُ،

إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقِيَاتِ حَلُوبُ[1]

حَلِيمٌ، إذَا مَا الْحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ،

مَعَ الْحِلْمِ، فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ، مَهِيبُ

مُعَنًّى، إذَا عَادَى الرِّجَالَ عَدَاوَةً،

بَعِيدٌ، إذَا عَادَى الرِّجَالُ، قَرِيبُ[2]

غَنِينَا بِخَيْرٍ حِقْبَةً ثُمَّ جَلَّحَتْ

عَلَيْنَا الَّتِي كُلَّ الأَنَامِ تُصِيبُ[3]

فَأَبْقَتْ قَلِيلاً ذَاهِباً، وَتَجَهَّزَتْ

لآخَرَ، وَالرَّاجِي الْخُلُودَ كَذُوبُ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَاقِيَ الْحَيَّ مِنْهُمُ

إلَى أَجَلٍ، أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبُ

لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ، وَقَدْ أَتَى

عَلَى يَوْمِهِ عِلْقٌ عَلَيَّ حَبِيبُ[4]

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً

إلَيَّ، فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

---

(١) المُنقِياتُ: الإبل والخيول ذَواتُ النِقْيِ، وهُو الشَّحْمُ؛ يُقال: ناقةٌ مُنقِيَةٌ، إذا كانت سَمِينَةً، وحلوب: كثيرة الحليب.

(٢) الْمُعنَّى: الفحل إذا هاج بفعل حبسه عن أنثاه.

(٣) جلّحتْ: ذهبت بنا وأكلتنا فأفرطت، ويقال: جلحت الأرضُ إذا أكل ما فيها من النبات، ويقال: جلحَ الشَّجرُ فهو مُجلّحٌ: إذا ذهب الشتاء بغصونه وورقه.

(٤) العِلْق: الشيء النفيس.

جَمَعْنَ النَّوى حَتَّى إذَا اجْتَمَعَ الْهَوَى،

صَدَعْنَ العَصَا، حَتَّى القَنَاةُ شَعُوبُ

أَتَى دُوْنَ حُلْوِ العَيْشِ حَتَّى أَمَرَّهُ

نُكُوبٌ على آثارِهِنَّ نُكُوبُ[1]

كَأَنَّ أَبَا الْمِغْوَارِ لَمْ يُوْفِ مَرْقَباً؛

إذا رَبَأَ القَوْمَ الغُزَاةَ رَقِيبُ[2]

وَلَمْ يَدْعُ فِتْيَاناً كِرَاماً لِمَيْسِرٍ،

إذَا اشْتَدَّ مِنْ رِيحِ الشِّتَاءِ هُبُوْبُ

فَإنْ غَابَ مِنْهُمْ غَائِبٌ، أَوْ تَخَاذَلوا،

كَفَى ذَاكَ مِنْهُمْ، والْجَنَابُ خَصِيبُ[3]

كَأَنَّ أَبَا الْمِغْوَارِ ذَا الْمَجْدِ لَمْ تَجُبْ

بِهِ البِيدَ عِيْسٌ بِالْفَلاَةِ، خَبُوْبُ

عَلاَةٌ، تَرَى فِيهَا، إذا حُطَّ رَحْلُهَا،

نُدُوْباً عَلَى آثَارِهِنَّ نُدُوبُ[4]

وَإنِّي لَبَاكِيهِ، وإنِّي لَصَادِقٌ

عَلَيْهِ، وَبَعْضُ القَائِلِينَ كَذُوْبُ

---

(١) النكوبُ: المصائب.

(٢) الْمَرقَب: المكان العالي للمراقبة. وربأ: صار لهم ربيئة، والرَّبيئة: الطَّليعة.

(٣) رجلٌ خصيبُ الجناب: كثيرُ الخير.

(٤) العلاةُ: الناقة.

فَتَى الْحَرْبِ إنْ جَارَتْ تَرَاهُ سِمَامَهَا

وَفِي السِّلْمِ مِفْضَالُ اليَدَيْنِ وَهُوبُ[1]

وَحَدَّثْتُمَانِي إنَّمَا الْمَوْتُ فِي القُرَى،

فَكَيْفَ؟ وَهذَا هَضْبَةٌ وَكَثِيبُ

وَمَاءُ سَمَاءٍ، كَانَ غَيْرَ مَحَمَّةٍ

بِبَرِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جَنُوبُ[2]

وَمَنْزِلُهُ فِي دَارِ صِدْقٍ وَغِبْطَةٍ،

وَمَا اقْتَالَ مِنْ حكمٍ عَلَيْهِ طَبِيبُ[3]

فَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُبَاعُ اشْتَرَيْتُهُ،

بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النُّفُوسُ تَطِيبُ

بِعَيْنَيَّ أَوْ يُمْنَى يَدَيَّ، وَقِيلَ لِي:

هُوَ الغَانِمُ الْجَذْلانُ يَوْمَ يَؤُوبُ

لَعَمْرُكُمَا إنَّ البَعِيدَ لَمَا مَضَى،

وإنَّ الذي يَأْتِي غَداً لَقَرِيبُ

وَإنِّي وَتَأْمِيلِي لِقَاءَ مُؤَمِّلٍ،

وَقَدْ شَعَبَتْهُ عَنْ لِقَايَ شَعُوبُ[4]

---

(١) سِمَامُها: سمُّها.

(٢) أرضٌ محمَّة: تكثرُ فيها الحمَّى والوباء.

(٣) اقْتَالَ عَلَيْهِ: تحكَّم عليه.

(٤) شَعَبَتْهُ: فرقتهُ.

كَـدَاعِـي هُـذَيْـلٍ لا يَـزَالُ مُـكَـلَّـفـاً،

وَلَـيـسَ لَـهُ، حَـتَّـى الْـمَـمَـاتِ، مُـجِـيـبُ

سَـقَـى كـلَّ ذِكْـرٍ جَـاءَنَـا مِـنْ مُـؤَمَّـلٍ،

على الـنَّـأْيِ، زَحَّافُ الـسَّـحَـابِ سَـكُـوبُ

فَـوَالـلَّـهِ لا أَنْـسَـاهُ مَـا ذَرَّ شَـارِقٌ

وَمـا اهْـتَـزَّ مِـنْ فَـرْقِ الأَرَاكِ قَـضِـيـبُ[1]

---

(١) ذرَّ: طلع.

بَيْهَسُ بنُ عَبْدِ الْحَارِث

فِي مُلْتَقَى الرِّيَاح

هَذِهِ قَصِيْدَةٌ لِشَاعِرٍ مَغْمُوْرٍ، حَتَّى فِي الْعَصْرِ الَّذِيْ يَنْتَمِيْ إِلَيْهِ، فَقَدْ قَالَ عَنْهُ الآمِدِيُّ، أَنَّهُ شَاعِرٌ قَدِيْمٌ، أظُنُّهُ جَاهِلِيّاً لَكِنَّهُ يَقُوْلُ إِنَّ أشْعَارَهُ مِنَ الْجِيَاد.

ويتَّضِحُ مِنْ قَصِيْدَةِ بَيْهَسَ، إنهُ شَاعِرٌ جَوَّابٌ لا يَقَرُّ لهُ قَرَارٌ، يَسْتَوْحِي صُوَرَهُ الشِّعْرِيَّةَ الْبَارِعَةَ مِنْ تِلْكَ الرِّحْلاتِ فِي الصَّحْرَاءِ وَتَحْتَ السَّحَابِ وفِي مُرَاقَبَة قِطَارَاتِ الْجِمَالِ، وَالثِّيْرَانِ الوَحْشِيَّةِ، مَمْزُوْجَةً بِشَيْءٍ وَفِيْرٍ مِن الْهُمُوْمِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي تَجِدُ مِرْآتَهَا فِي تِلْكَ الصُّوَرِ الْمُتَدَاخِلَةِ.

لِمَنِ الدِّيارُ عَرَفْتَهَا وَكَأَنَّهَا
لَيْسَتْ غَدَاةَ أَتَيْتَهَا بِدِيَارِ
دَرَسَتْ مَعَارِفُهَا رِيَاحٌ تَلْتَقِي
وَتَقَادُمٌ مِنْهَا وَضَرْبُ قِطَارِ(١)

---

(١) القطارُ: قطيع الإبل عندما تكون الواحد بعد الآخر في نسق واحد.

حَتَّى كَأَنَّ تُرَابَهَا مِنْ غَيْرِهَا
يُفْدَى لَهَا مِنْ رَمْلَةٍ وَصَحَارِي

دارٌ لِعَزَّةَ أَوْ جَمِيلَةَ إِذْ هُمَا
تِرْبَانِ فِي عَصْرٍ مِنَ الأَعْصَارِ[1]

فَهَلِ الشَّبَابُ زَمَانَ عَزَّةَ رَاجِعٌ
أَمْ هَلْ مَشِيبُكَ نَاظِرُ الإِهْتَارِ

بَكَرَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ فَشَانَهُ
شَيْنَ الْمُحَرَّقِ فِي الْحَدِيدِ بِنَارِ[2]

حَتَّى كَأَنَّ حَدِيثَهُ وَقَدِيمَهُ
لَيْلٌ تَلَفَّعَ مُدْبِراً بِنَهَارِ

لَبِسَ الْخِضَابَ لِكَيْ يُوَارِيَ شَيْبَهُ
وَالشَّيْبُ لا حَسَنٌ وَلا مُتَوَارِيْ

طَرَقَتْكَ عَزَّةُ مِنْ مَزَارٍ نَازِحٍ
يَا حُبَّ زَائِرَةٍ وَبُعْدَ مَزَارِ

وَاللَّيْلُ مُخْتَلِطُ النُّجُومِ كَأَنَّهُ
سَاجٌ يُرَوِّقُ سَابِغُ الأَسْتَارِ[3]

فَنَهَجْتُ أَنْظُرُ ما الْخَيَالُ فَرَاعَنِي
وَالعَيْنُ غَيْرُ حَدِيثَةٍ بِغِرَارِ[4]

---

(١) التربان: ما كانا في عمر واحدة.

(٢) الشَّيْنُ: القبيح يقال: شَانَهُ يَشِينُهُ، والْمَشَايِنُ: المَعايب والمقابح. قال لبيد بن ربيعة:

بِشَيْنِ صِحَاحِ البِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... بِعودِ السُّرَاءِ عِنْدَ بابِ مُحَجَّبِ

(٣) السَّاجي: السَّاكنُ والدَّائمُ، والسَّابغ: الطويلُ والْمُمْتَدّ.

(٤) نهجتُ: تبينتُ، والغِرَارُ: النَّومُ القليلُ.

فَـرَأى لَـهَـا شَـبَـهَـاً وَلَـيْـسَ بِـعَـارِفٍ
جِـدّاً وَلَـيْـسَ بِـمُـمْـعِـنِ الإنْـكَـارِ

كَـالْـجِـنِّ تَـعْـرِفُـهَـا إذَا مَـا أقْـبَـلَـتْ
وَتَـكَـادُ تُـنْـكِـرُهَـا مَـعَ الإدْبَـارِ

بِـبِـسَـاطِ أغْـبَـرَ مِـنْ تِـهَـامَـةَ غَـائِـرٍ
مِـنْ بَـطْـنِ نَـخْـلَـةَ مُـشْـرِفِ الأقْـطَـارِ[1]

مِـنْـهُ مَـطَـالِـعُ يُـهْـتَـدَى بِـمَـنَـارِهَـا
وَمَـطَـالِـبٌ لَـيْـسَـتْ بِـذَاتِ مَـنَـارِ

كَـلَّـفْـتُ نَـفْـسِـي قَـطْـعَـهَـا بِـشِـمِـلَّـةٍ
حُـفِـزَتْ مِـحَـالُ فَـقَـارِهَـا بِـفَـقَـارِ[2]

سُـرُحِ الـيَـدَيْـنِ إذَا الْـحِـدَابُ تَـرَقَّـصَـتْ
وَإذا رُفِـعْـنَ رَفِـيـعَـةَ الْـمِـشْـوَارِ[3]

---

(١) بطنُ نخلة: اسم قرية، جاء في معجم البلدان: بطن نخلة: بناحية مكة، وهو المكان الذي كانت العامة في ذلك الوقت تسميه: «بستان ابن عامر».

(٢) الحَفزُ: حَثُّك الشيء من خلفه سَوْقاً وغير سوق، قال الأعشى:

لـهـا فَـخِـذانِ يَـحْـفِـزانِ مَـحـالَـةً ... وَدَأْياً، كبُنْيان الصُوى، مُتلاحِكا

والفقارُ: عظام الظهر.

(٣) سُرُح اليدين: سريعة منبسطة وسهلة في عدوها. والحداب: الأرض الغليظة المرتفعة. وترقَّصَتْ: إذا ارتفعت وانخفضت، وقد أرْقَصَ القومُ في سَيْرِهم: إذا كانوا يَرْتَفِعُون ويَنْخَفِضُون؛ قال الراعي النميري:

وإذا تـرَقَّـصَـت الـمَـفـازةُ غـادَرَت ... رَبِـذاً يُـبَـغِّـلُ خَـلْـفَـهـا تَـبْـغـيـلا

حَلَبَ الْهَجِيرُ بِلَيتِهَا وَمَقَذِهَا

حَتَّى كَأَنَّ بِهَا عَنِيَّةَ قَارِ[1]

تَعْلُو النِّجَادَ كَأَنَّهَا مُتَوَجِّسٌ

طَيَّانُ بَيْنَ خَمَائِلٍ وَصَحَارِي[2]

بَاتَتْ تُصَفِّقُهُ جَنُوبٌ رَيِّدَةٌ

وَقِطَارُ سَارِيَةٍ بِغَيْرِ شِعَارِ[3]

تَطْوِي شَوَاكِلَهُ وَتَحْنُو صُلْبَهُ

كَالْقَلْبِ غُودِرَ فِي مَرَادِ عَذَارِي[4]

بَاتَ الْمُكَلَّبُ فِي مَرَاصِدَ حَوْلَهُ

يَسْعَى بِطَاوِيَةِ الْبُطُونِ ضَوَارِ[5]

---

(١) الهجيرُ: منتصف النهار عند اشتداد الحر، والليت: عروق العنق، والمقذ: ما بين الأذنين من خلف. وقيل: هو منتهى الشعر من القفا، والعَنِيَّة: بولٌ فيه أخلاطٌ تُطْلَى به الإبل الجَرْبَى، والتَّعَنِّي: التَّطَلِّي بها.

قال الشاعر:

عندي دَواءُ الأجربِ المُعَبَّدِ ... عنيةٌ من قَطِرانٍ مُعْقَدِ

(٢) النِّجادُ: الأراضي المرتفعة، وطيّان: خميص البطن. وقد طويَ من الجوع فهو طيان.

(٣) الرِّيدةُ: الرِّيحُ الليِّنةُ الهبوب، والسَّارية من السَّحاب: التي تجيءُ ليلاً، قالَ النابغة:

سَرَتْ عليه، من الجَوزاءِ، ساريَةٌ ... تُزجِي الشَّمالُ عليه جامِدَ البَرَدِ

وقيل: السَّاريَة المَطْرة التي تكون بالليل؛ قال الشاعر:

رأيتُكَ تَغْشَى السَّارياتِ، ولم تكن ... لِتَرْكَبَ إلا ذا الرَّسُومِ الْمُوَلَّعا

(٤) الشَّوَاكلُ: الشعاب وهذا طريق ذو شَوَاكِلَ: تتشعب منه طرق أخرى وتحنو: تنعطف، وأرض مَرداءُ، وجمعها مَرادٍ: وهي رمال لا يُنْبِتُ فيها، والعذاري: العذارى.

(٥) الْمُكلِّبُ: إذا استبدَّ به العطش والجوع، فكلبَ.

زُرْقِ الْعُيُونِ إِذَا رَأَيْنَ طَرِيدَةً
طَمَحَتْ سَوَالِفُهُنَّ فِي الأَوْتَارِ[1]

حَتَّى غَدَا لَهَقُ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ
لَثِقُ الْقَمِيصِ مِنَ الْمَشَامِلِ عَارِي[2]

وَغَدَوْنَ فِي قِطَعِ الْغُبَارِ عَوَاصِفاً
دُرْماً حَوَاجِبُهَا مِنَ الإِضْرَارِ[3]

حَتَّى إِذَا مَا كِدْنَ أَوْ خَالَطْنَهُ
وَطَمِعْنَ بِالأَنْيَابِ وَالأَظْفَارِ

هَزَّ الْقَنَاةَ لَهُنَّ ثُمَّ أَعَادَهَا
طَوْرَيْنِ بَيْنَ مُعَانِقٍ وَمُمَارِي

ثُمَّ اسْتَمَرَّ وَفِتْنَ غَيْرَ جَوَاذِلٍ
يَخْلِطْنَ بَيْنَ حَشَارِجٍ وَهِرَارِ[4]

---

(١) طَمَحَتْ: ارتفعت واشرأبت، والسَّوالف: جَمْعُ سالفة، وهي مُقدِّمةُ العُنُقِ، والأوتارُ: جَمْعُ وَتيرةُ وهي حلقة فيها خَرَزَةٌ تُعَلَّقُ في أعناقِ الحيوانات وهي كالتَّميمةِ، يريد وصف تحفُّز حيوانات الصيد لفريستها وارتفاع حلقة العنق لشدَّة تحفزها للصيد.

(٢) لَهَقُ السَّرَاة: الأبيض من أعلى الظَّهر، ولثق القميص: مبتلّه، ويقال إن اللثق: اختلاط الماء بالطين، والمشامل: ما يُلتَحف به من كساء. ولعله هنا يصف الثور الوحشي، ومطاردة الكلاب له.

(٣) دُرْما حواجبها: تقاربت حواجبها.

(٤) حشارجُ: جَمْعُ من الحَشْرَجَة: وهي تردُّدُ الصوتِ والنَّفَسِ في الحَلْق من غير أَن يُخرِجَ وقيل هُوَ تردُّدُ الصَّوتِ في الصدر. وَهَرَّ الكلبُ: إذا نبح بشدة وكشَّر عن أنيابه.

يَلْحَسْنَ مِن صَفَحاتِهِنَّ نَوافِذاً
لَحْسَ الرَّوائِمِ سَلْخَها الأبْكارِ[1]
وَاهْتَزَّ يَمْعَجُ في الجِهادِ كَأنَّهُ
قُرناسَةٌ طُوِيَتْ عَلى أنْيارِ[2]
فَعَلا الخَمِيلَةَ وَهْوَ يَنْفُضُ رَأسَهُ
نَفْضَ المَقامِسِ رَأسَهُ المَهّارِ[3]
يَزَعُ الذُّبابَ بِحَشْرَةٍ مَطْوِيَّةٍ
وَبِحُرَّتَي مُتَوَجِّسٍ بَرْبارِ[4]
خَمِطُ الضُّحى وَكَأنَّ رِيحَ كِناسِهِ
مِن رِغْبَةِ القَفَراتِ رِيحُ صِوارِ[5]
وُشِمَتْ مَذارِعُهُ بِوَشْمٍ بَيْنَها
خَلَلٌ كَما وَشَمَ الأكُفَّ عَذاري[6]

---

(١) صفحاتهنَّ: جلودهنَّ، والنوافذ: مكان الطعنة أو الجرح، والروائم: النوق إذا عطفت على وليدها.

(٢) يمعجُ: يسرع في السَّير، والقرناسة: صنارة المغزل، والأنيار: جَمْعُ نير، وهو نسيج الخيوط إذا اجتمعت.

(٣) القمْسُ: الغَوْصُ في الماء: وكُلُّ شَيْءٍ يُنْغَطُ في الماءِ ثمّ يَرْتَفِعُ فقد قَمَسَ، والمهار: السَّابح، وكلمة ماهر، تطلق في الأصل على من يجيد السِّباحة على وجه التخصيص.

(٤) يزعُ: يكفُّ، والحَشْرَةُ: الإذنُ الصغيرةُ: وقيل هي باطنُ الإذن، وبَحَرْتَيْهِ: بفتحتَيْ أذُنيه، والبربارُ: كُلُّ صوتٍ يُشبهُ الهَذَيان والجَلَبَةَ.

(٥) الخمطُ: من النباتِ والشَّجرِ إذا كانتْ فيه حموضةٌ وقيل هو المريرُ، والضُّحى هنا: الغَدَاءُ، لأنه يُتناولُ في الضُّحى، وكِناسُهُ: بيته ومأواه، والصوار: قطيع البقرِ.

(٦) المذارعُ: القوائم.

دَوْقَلة الْمَنْبِجي

اليتيمة

مِنْ أكْثَرِ الْقَصَائِدِ الَّتِي نُسِجَتْ حَوْلَهَا الأقَاوِيْلُ الَّتِي قَارَبَتْ أحْيَاناً حُدُوْدَ الأسَاطِيْرِ، خَاصَّةً مَا كَتَبَهُ عَنْهَا جُرْجِي زَيْدَان فِي مَجَلَّةِ الْهِلال. أوَّلُ مَنْ حقَّقَها أبو الْقَاسِمُ التَّنُوْخي الْمُعتزلي «٣٥٥ ـ ٤٧٧ هِجْرِيَّة» باسْمِ «الْقَصِيْدَةِ الْيَتِيْمَةِ» وَكَانَتْ تُنْسَبُ لِسَبْعَةَ عَشَرَ شَاعِراً بَيْنَهُمْ ذُو الرُّمَّةِ والْعَكَوَّكُ وَأَبو الشِّيْصِ. وَنُقِلَ عَنِ الْمُبَرِّدِ قَوْلُهُ: هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ هِيَ عِلَّتِي وَهْيَ «الْيَتِيْمَةُ» وَنَسَبَهَا أَبْنُ أَبِيْ عَوْنٍ فِي كِتَابِ «التَّشْبِيْهَاتِ» لِشَاعِرٍ مَجهولٍ هُوَ زَوْبَعةُ الْمُلَحَّى، وَجعَلَهَا ابْنُ كَثِيْرٍ فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ مِنَ الْمُعَلَّقَاتِ الضَّائِعَةِ، وَأَشَارَ مَحْمُوْدُ شُكْرِي الآلُوْسِيُّ فِي الْجُزْءِ الثَّانِيْ مِنْ «بُلُوْغِ الأَرَبِ فِي مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْعَرَبِ» إِلَى أنَّها مِنَ الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ، دُوْنَ الإِشَارةِ إِلَىٰ شَاعِرِهَا مُكْتَفِياً بِالْقَوْلِ: وَفِي الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ كَثِيْرٌ مِنْ أَوْصَافِ النِّسَاءِ الْمَحْمُوْدَةِ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ قَصِيْدَةٍ. وَأَوْرَدَ وَاحِداً وَعِشْرِيْنَ بَيْتاً مِنْهَا، وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: وَالْقَصِيْدَةُ طَوِيْلَةٌ وَلَهَا قِصَّةٌ مَشْهُوْرَةٌ، وَيَبْدُو أنَّ جُرْجِيْ زَيْدَانَ اعْتَمَدَ عَلَى هَذِهِ الْفَرَضِيَّةِ لِتَخْرِيْجِ

أسْطُورَةٍ غَرِيبَةٍ عَنِ الْقَصِيدَةِ وَقِصَّتِهَا، ثُمَّ صَارَتْ تُنْسَبُ لِشَاعِرٍ آخَرَ مَغْمُورٍ اسْمُهُ «دَوْقَلَةُ الْمَنْبِجِيُّ» واخْتُلِفَ أيْضاً على اسْمِهِ أيضاً فَهُوَ «سَعِيْدُ بن حَمِيْدٍ الْمَنْبِجِيّ» فِيْ بَعْضِ الْمَصَادِرِ وَهُوَ «أحْمَدُ بنُ الْحُسَيْنِ» فِي مَصَادِرَ اخرى ويُعْرَفُ كَذَلِكَ بِدَوْقَلَةَ الْعَبْد.

هَـلْ بِـالـطُّـلـولِ لِسَـائِـلٍ رَدُّ ... أَمْ هَـلْ لَـهَـا بِـتَـكَـلُّـمٍ عَـهْـدُ؟

أَبْلَى الْجَدِيْدُ جَدِيْدَ مَعْهَدِهَا ... فَـكَـأَنَّـمـا هُـوَ رَيْـطَـةٌ جُـرْدُ[1]

مِنْ طُوْلِ ما تَبْكِي الْغُيُومُ عَلى ... عَـرَصَاتِـهـا وَيُـقَـهْـقِـهُ الـرَّعْـدُ[2]

وَتُـلِـثُّ سـارِيَـةٌ وَغـادِيَـةٌ ... وَيَـكُـرُّ نَـحْـسٌ خَـلْـفَـهُ سَـعْـدُ[3]

تَـلْـقـى شَـآمِـيَـةٌ يَـمـانِـيَـةً ... لَـهُـمَـا بِـمَـورِ تُـرابِـهَـا سَـرْدُ[4]

فَـكَـسَـتْ بَـوَاطِـنُـهـا ظَـوَاهِـرَهـا ... نَـوْراً كَـأَنَّ زُهَـاءَهُ بُـرْدُ

يَـغْـدو فَـيَـسْـدِي نَـسْـجَـهُ حَـدِبٌ ... وَاهِـي الـعُـرَى وَيُـنِـيـرُهُ عَـهْـدُ

فَـوَقَـفْـتُ أَسْـأَلُـهَـا وَلَـيْـسَ بِـهَـا ... إلاَّ الْـمَـهـا وَنَـقَـانِـقٌ رُبْـدُ[5]

وَمُـكَـدَّمٌ فِـي عـانَـةٍ جَـزَأَتْ ... حَـتَّـى يُـهَـيِّـجَ شَـأْوَهـا الـوِرْدُ[6]

---

(١) الريطةُ: الملاءةُ، والجردُ من الأرضِ: ما لا ينبتُ، وهنا استخدامٌ مَجازيٌّ، فقد اعتادت العربُ أن تطلقَ على البِلى مَجازاتٍ عدَّة من قبيل: ثوبٌ هدمٌ، وريطةٌ جردٌ، وكتابٌ دارسٌ، ورسمٌ طامسٌ.

(٢) عرصاتُها: ساحاتها.

(٣) الثّت الغيومُ: إذا دامت طويلاً، والسّاريةُ والغاديةُ: الغيومُ، ومنها الشاميةُ واليمانيةُ بحسب جهةِ قُدومِها.

(٤) مارَ: إذا تحرَّكَ حركةً تَموجيَّةً فيها ذهابٌ وإيابٌ: تَشبهُ حركةَ اهتزازِ سعفِ النَّخيل

(٥) النقانقُ الرُّبدُ: النَّعامُ ذاتُ السَّواد المختلط.

(٦) مكدمٌ: متماسكُ الفتل والنسيج، والشأو: الغاية، أو خلاصة الشيء.

فَتَبادَرَتْ دِرَرُ الشُّؤونِ عَلى خَدِّي كَما يَتَناثَرُ العِقْدُ
أَوْ نَضْحُ عَزْلاءِ الشَّعيبِ وَقَدْ رَاحَ الْعَسِيفُ بِمِلْئِها يَغْدو[1]
لَهَفي عَلى دَعْدٍ وَما حفلتْ إلاّ بِحَرّ تلَهُّفي دَعْدُ
بَيْضاءُ قَدْ لَبِسَ الأَديمُ أَدِيمَ الْحُسْنِ فَهُوَ لِجِلْدِها جِلْدُ[2]
وَيَزِينُ فَوْدَيْها إِذَا حَسَرَتْ ضَافِي الْغَدَائِرِ فَاحِمٌ جَعْدُ
فَالوَجْهُ مِثْلُ الصُّبْحِ مِبْيَضٌّ وَالْفَرْعُ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسْوَدُّ
ضِدَّانِ لِمَّا اسْتَجْمَعَا حَسُناً وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ
وَجَبِينُهَا صَلْتٌ وَحَاجِبُهَا شَخْتُ الْمَخَطِّ أَزَجُّ مُمْتَدُّ[3]
وَكَأَنَّهَا وَسْنَى إِذَا نَظَرَتْ أَوْ مُدنَفٌ لَمَّا يُفِقْ بَعْدُ[4]
بِفُتُورِ عَيْنٍ مَا بِهَا رَمَدٌ وَبِهَا تُدَاوَى الأَعْيُنُ الرُّمْدُ
وَتُرِيكَ عِرْنِيناً بِهِ شَمَمٌ وتُرِيكَ خَدّاً لَوْنُهُ الوَرْدُ
وَتُجِيلُ مِسْوَاكَ الأَرَاكِ عَلَى رَتْلٍ كَأَنَّ رُضَابَهُ الشَّهْدُ[5]
وَالْجِيدُ مِنْهَا جِيدُ جَازِئَةٍ تَعْطُو إذا ما طَالَهَا الْمَرْد[6]
وَكَأَنَّما سُقِيَتْ تَرائِبُهَا وَالنَّحْرُ ماءُ الْحُسْنِ إِذْ تَبْدُو[7]

---

(١) الشعيبُ: القربة البالية، والعسيف: الأجير أو العبد المستهان به.

(٢) الأديمُ: الْبَشَرَةُ، ويسمَّى وجهُ الأرض: أديمها.

(٣) الصلتُ: الواضحُ، والشختُ: الدَّقيقُ، والأزجّ: الطويل.

(٤) المدنفُ: المريضُ، إذا لازمه المرض.

(٥) الرتلُ: تناسُقُ الأسنانِ وبياضُها وكَثْرَةُ مائِهَا.

(٦) ظبيةٌ جازئةٌ: استغنتْ عن الرَّطبِ بالْمَاءِ، وتعطو: تتناولُ، وظبي عَطُوّ: يتطاولُ إلى الشَّجر ليتناولَ مِنْهُ، والمردُ: الثمر الغضّ، وقيل هو شجر الأراك.

(٧) الترائبُ: عِظامُ الصَّدرِ، وهو مكانُ القِلادَةِ، وقيل هي بالتحديد ما بيْنَ التَّرْقُوَةِ، وأوّلِ لَحْمِ الثَّدْيِ.

وَامتَدَّ مِنْ أَعْضَادِهَا قَصَبٌ ... فَعْمٌ زَهَتْهُ مَرَافِقٌ دُرْدُ[1]

وَلَهَا بَنَانٌ لَوْ أَرَدْتَ لَهُ ... عَقْداً بِكَفِّكَ أَمْكَنَ الْعَقْدُ

وَالْمِعْصَمَانِ فَمَا يُرَى لَهُمَا ... مِنْ نَعْمَةٍ وَبَضَاضَةٍ زَنْدُ

وَالْبَطْنُ مَطْوِيٌّ كَمَا طُوِيَتْ ... بِيضُ الرِّيَاطِ يَصُونُهَا الْمَلْدُ[2]

وَبِخَصْرِهَا هَيَفٌ يُزَيِّنُهُ ... فَإِذَا تَنُوءُ يَكَادُ يَنْقَدُّ[3]

وَالتَفَّ فَخْذَاهَا وَفَوْقَهُمَا ... كَفَلٌ كَدِعْصِ الرَّمْلِ مُشْتَدُّ[4]

فَنُهُوضُهَا مَثْنَى إِذَا نَهَضَتْ ... مِنْ ثِقْلِهِ وَقُعُودُهَا فَرْدُ

---

(١) فعمٌ: ممتلئٌ.

(٢) الرِّياطُ: جَمْعُ ريطةٍ، وَهْيَ الْمَلاءَةُ، وقيل كلُّ ثوبٍ رقيقٍ وليِّنٍ يُسمَّى رِيْطة.

(٣) هُناكَ ثلاثةُ أبياتٍ اسْتطرفتْ بعضُ الْمَصادرِ الْحَدِيثةِ إضافتَها، وربَّمَا دسَّها على الْقصيدةِ الْمَنسوبةِ لِدَوْقلةَ، وَهذهِ الأبياتُ الثلاثةُ هي:

وَلَهَا هَنٌ رَابٍ مَجَسَّتُهُ ... ضَيْقُ الْمَسَالِكِ حَرُّهُ وَقْدُ

فَكَأَنَّهُ مِنْ كِبْرِهِ قَدَحٌ ... أَكَلَ الْعِيَالُ وَكَبَّهُ الْعَبْدُ

فَإِذَا طَعَنْتَ فِي لَبْدِ ... وَإِذَا سَلَلْتَ يَكَادُ يَنْسَدُّ

لكنَّ هَذهِ الأبياتَ الثلاثةَ لَمْ تَردْ فِي أَصْلِ رِوَايةِ التَّنوخِي «للقصيدة اليتيمة» بتحقيقِ صلاح الدِّين الْمنجِّد التي اعتمدناها هنا، وإنَّما وَردتْ فِي كلٍّ مِنْ: دَيوانِ أَبِي الشِّيص بِتحقيق الدّكتور عبد الله الجبوري، وديوانِ العكوَّكِ «علي بن جبلة» بتحقيق الدّكتور حسين عَطْوان. كما أوردُ ابنُ أبي عَوْن «بيْنَ القرنين الثالث والرابع الهجريين» في: «التَّشبيهَات» البيتينِ الأوَّلَ والثَّالثَ مِنها عَلى أنَّهما جُزءٌ من القَصِيْدَةِ الْمنسوبةِ لزَويعة الْمُلحَّى، وأضافَ إبراهيمُ النجار في: «شُعراء عبَّاسيون مَنسيُّون» أبياتاً أخرى لتصلَ القصيدةُ مَعَهُ إلى سَبْعِيْن بيتاً، مُتحرِّزاً نِسبتَها إِلَى دَوْقَلَةَ أَوْ لسواهُ من الشُّعرَاء، ومُنوِّهَاً إلى أنَّ ذلك يؤكِّدُ «صبغةَ العَمَلِ الْمُشاع لهذا الأثرِ الفريدِ، والْجُهْدَ الْمُشتركَ لأجيالٍ من الرُّواةِ والعُلماءِ والقرَّاءِ الأُدباءِ والنَّسَخَةَ الْمُتَأَدِّبِين».

(٤) الدِّعصُ: الكثيبُ من الرَّملِ أوْ الكتلةُ مِنْهُ.

وَالسَّاقُ خَرعَبَةٌ مُنَعَّمَةٌ عَبِلَتْ فَطَوْقُ الْحَجْلِ مُنْسَدُّ[1]
وَالكَعْبُ أَدْرَمُ لا يَبِينُ لَهُ حَجْمٌ وَلَيْسَ لِرَأْسِهِ حَدُّ
وَمَشَتْ عَلَى قَدَمَيْنِ خُصِّرَتَا وَأُلِينَتَا فَتَكَامَلَ القَدُّ
إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلٌ لَدَيْكِ لَنَا يَشْفِي الصَّبَابَةَ فَلْيَكُنْ وَعْدُ
قَدْ كَانَ أَوْرَقَ وَصْلُكُمْ زَمَناً فَذَوَى الوِصَالُ وَأَوْرَقَ الصَّدُّ
لِلَّهِ أَشْوَاقِي إِذَا نَزَحَتْ دَارٌ بِنَا وَنَوَىً بِكُمْ تَعْدُو
إِنْ تُتْهِمِي فَتَهَامَةٌ وَطَنِي أَوْ تُنْجِدِي يَكُنِ الْهَوَى نَجْدُ
وَزَعَمْتِ أَنَّكِ تَضْمُرِينَ لَنَا وُدّاً فَهَلَّا يَنْفَعُ الوُدُّ
وَإِذَا الْمُحِبُّ شَكَا الصُّدُودَ فَلَمْ يُعْطَفْ عَلَيْهِ فَقَتْلُهُ عَمْدُ
نَخْتَصُّها بِالْحُبِّ وَهْيَ عَلَى مَا لا نُحِبُّ فَهَكَذَا الوَجْدُ
أَوَ مَا تَرَى طِمْرَيَّ بَيْنَهُمَا رَجُلٌ أَلَحَّ بِهَزْلِهِ الْجِدُّ[2]
فَالسَّيْفُ يَقْطَعُ وَهْوَ ذُو صَدَأٍ وَالنَّصْلُ يَفْرِي الْهَامَ لا الغِمْدُ
هَلْ تَنْفَعَنَّ السَّيْفَ حِلْيَتُهُ يَوْمَ الْجِلادِ إِذَا نَبَا الْحَدُّ
وَلَقَدْ عَلِمْتِ بِأَنَّنِي رَجُلٌ فِي الصَّالِحَاتِ أَرُوحُ أَوْ أَغْدُو
بَرْدٌ عَلَى الأَدْنَى وَمَرْحَمَةٌ وَعَلَى الْحَوَادِثِ مَارِنٌ جَلْدُ[3]
مَنَعَ الْمَطَامِعَ أَنْ تُثَلِّمَنِي أَنِّي لِمَعْوَلِهَا صَفاً صَلْدُ[4]
فَأَظَلُّ حُرّاً مِنْ مَذَلَّتِهَا وَالْحُرُّ حِينَ يُطِيعُهَا عَبْدُ

---

(١) خَرْعَبَةٌ: رَقِيقَةُ العَظْمِ، كَثِيرَةُ اللَّحْمِ، ناعِمَةٌ، وَعبلت: قُتلت.
(٢) طُمْرَاهُ: ثيابُهُ الواسعةُ، وقيلَ هو الثوبُ البالي، والتثنيةُ هنا تخصُّ الثَّوْبَ والعباءةَ معاً.
(٣) مارنٌ: من المرونة، أي: اللَّيْنِ في صَلابة، والقُدْرةُ على التَّفاعل مع الصعوبات.
(٤) الصَّفا: جَمْعُ صَفاة: وهي الصخرةُ الْمَلْساءُ.

آلَيْتُ أَمْدَحُ مُقْرِفاً أَبَداً يَبْقَى الْمَدِيحُ وَيَذْهَبُ الرِّفْدُ[1]

هَيْهَاتَ يَأْبَى ذَاكَ لِي سَلَفٌ خَمَدوا وَلَمْ يَخْمُدْ لَهُمْ مَجْدُ

وَالْجَدُّ حَارِثُ وَالْبَنُونَ هُمُ فَزَكَا الْبَنُونَ وَأَنْجَبَ الْجَدُّ

وَلَئِنْ قَفَوْتُ حَمِيدَ فَعْلِهُمُ بِذَمِيمِ فِعْلِي إِنَّنِي وَغْدُ

أَجْمِلْ إِذَا طَالَبْتَ فِي طَلَبٍ فَالْجِدُّ يُغْنِي عَنْكَ لا الْجَدُّ

وَإِذَا صَبَرْتَ لِجُهْدِ نَازِلَةٍ فَكَأَنَّهُ مَا مَسَّكَ الْجَهْدُ

وَطَرِيدِ لَيْلٍ قَادَهُ سَغَبٌ وَهْنَاً إِلَيَّ وَسَاقَهُ بَرْدُ

أَوْسَعْتُ جُهْدَ بَشَاشَةٍ وَقِرىً وَعَلَى الْكَرِيمِ لِضَيْفِهِ الْجُهْدُ[2]

فَتَصَرَّمَ الْمَشْتَى وَمَنْزِلُهُ رَحْبٌ لَدَيَّ وَعَيْشُهُ رَغْدُ

ثُمَّ انْثَنَى وَرِدَاؤُهُ نِعَمٌ أَسْدَيْتُهَا وَرِدَائِيَ الْحَمْدُ

لِيَكُنْ لَدَيْكَ لِسَائِلٍ فَرَجٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَلْيَحْسُنِ الرَّدُّ

يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ ذَلِكُمُ وَمَحَارُ كُلِّ مُؤَمِّلٍ لَحْدُ

أَصَرِيعُ كَلْمٍ أَمْ صَرِيعُ رَدَىً أَوْدَى فَلَيْسَ مِنَ الرَّدَى بُدُّ

---

(١) المقرفُ: الهجينُ، وقيل هو من كانت أمهُ أمَةً: أي جارية، وليست حُرّة، **والرِّفْدُ** العطية والكسب.

(٢) القِرَى: الإحسان.

عَمْرو بن مَعْدِي كَرِب

قَصِيْدَةُ رَيْحَانَة

شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ، فَارِسٌ فَاتِكٌ وَمُفَوَّهٌ بَلِيْغٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، لَهُ شِعْرٌ آخَرُ جَيِّدٌ غَيْرُ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ لَكِنَّ ابْنَ رَشِيْقَ الْقَيْرَوَانِيَّ رَأَى فِي كِتَابِهِ «الْعُمْدَة» أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ تُعَدُّ مِنْ «وَاحِدَاتِ» الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ الَّتِي تَلِي الْمُعَلَّقاتِ شُهْرَةً. وَ«رَيْحَانَةُ» الَّتِي سُمِّيَتِ الْقَصِيْدَةُ بِاسْمِهَا، هِيَ أُخْتُ الشَّاعِرِ وَكَانَتْ قَدْ سُبِيَتْ، فَقَالَ فِيْهَا مَطْلَعَ الْقَصِيْدَةِ. وَتَزوَّجَها الصِّمَّةُ بنُ الْحَارِثِ بَعْدَ سَبْيِهَا، فأنجبتْ لَهُ «دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّة» الشَّاعِرَ والفارسَ الْمَشْهُوْر.

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيْعُ ... يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ[1]

يُنَادِي مِنْ بَرَاقِشَ أَوْ مَعِينٍ ... فَأَسْمَعَ واتْلأبَّ بِنَا مَلِيْعُ[2]

وَقَدْ جَاوَزْنَ مِنْ «غُمْدَانَ» دَارًا ... لأَبْوَالِ الْبِغَالِ بِهَا وَقِيْعُ

---

(١) ريحانةُ: اسم أخته وقد سباها بنو سُليم فولدت دريد بن الصِّمَّة الشاعر، وإليها تتوجَّهُ القصيدة.

(٢) اتلأبَّ: استقامَ، والمليعُ: الأرضُ الواسعةُ.

وَرُبَّ مُحَرَّشٍ فِي جَنْبِ سَلْمَىٰ يَعُلُّ بِعَيْبِهَا عِنْدِي شَفِيعُ[1]
كَأَنَّ الأَثْمِدَ الْحَارِيَّ فِيهَا يُسَفُّ بِحَيْثُ تَبْتَدِرُ الدُّمُوعُ[2]
وَأَبْكَارٍ لَهَوْتُ بِهِنَّ حِينَاً نَوَاعِمَ فِي أَسِرَّتِهَا الرُّدُوعُ[3]
أُمَشِّي حَوْلَهَا وَأَطُوفُ فِيهَا وَتُعْجِبُنِي الْمَحَاجِرُ وَالْفُرُوعُ
إِذَا يَضْحَكْنَ أَوْ يَبْسِمْنَ يَوْمَاً تَرَىٰ بَرَدَاً أَلَحَّ بِهِ الصَّقِيعُ
كَأَنَّ عَلَىٰ عَوَارِضِهِنَّ رَاحَاً يُفَضُّ عَلَيْهِ رُمَّانٌ يَنِيعُ
تَرَاهَا الدَّهْرَ مُقْتِرَةً كِبَاءً وَتَقْدَحُ صَفْحَةً فِيهَا نَقِيعُ[4]
وَصِبْغُ ثِيَابِهَا فِي زَعْفَرَانٍ بِجُدَّتِهَا كَمَا احْمَرَّ النَّجِيعُ
وَقَدْ عَجِبَتْ أُمَامَةُ أَنْ رَأَتْنِي تَفَرَّعَ لِمَّتِي شَيْبٌ فَظِيعُ[5]
وَقَدْ أَغْدُو يُدَافِعُنِي سَبُوحٌ شَدِيدٌ أَسْرُهُ فَعْمٌ سَرِيعُ[6]
وَأَخْمِرَةُ الْهُجَيْرَةِ كُلَّ يَوْمٍ يَضُوعُ جِحَاشُهُنَّ بِمَا يَضُوعُ[7]
فَأَرْسَلْنَا رَبِيئَتَنَا فَأَوْفَىٰ فَقَالَ: أَلَا أُولَىٰ خَمْسٌ رُتُوعُ[8]
رَبَاعِيَةٌ وَقَارِحُهَا وَجَحْشٌ وَهَادِيَةٌ وَتَالِيَةٌ زَمُوعُ[9]

---

(١) الْمُحَرِّشُ: الشرخ والأثر.

(٢) الأَثْمَدُ: الكحلُ، والحاريُّ: نسبة إلى الحيرة.

(٣) الرُّدوعُ: الأوجاعُ.

(٤) مقترةٌ: متبخرةٌ، وَالْكِبَاءُ: البَخورُ: أي كأنها عود البخور تفوح منها رائحة طيبة، والصَّفحةُ: جانبُ الوجه، والنقيعُ: شرابُ الزبيبِ، شبَّهَ خدَّها بشراب الزبيب.

(٥) لِمَّتي: بكسر الراء فروة الرأس.

(٦) السَّبوحُ: الفرسُ، والفعْمُ: الْمُمْتلئُ.

(٧) الجحاشُ: الْمُدَافعةُ والاشتباكُ.

(٨) ربيئةُ القوم: طليعتُهُمْ.

(٩) الرباعيةُ: الخيلُ ذات أربع سنوات، والزَّموعُ: الأرنب السَّريعة.

فَـنَـادَانَـا: أَنَـكْـمُـنُ أَمْ نُـبَـادِي؟ فَـلَـمَّـا مَسَّ حَـالِـبَـهُ الْـقَـطِـيـعُ
أَرَنَّ عَـشِـيَّـةً فَـاسْـتَـفْـجَـلَـتْـهُ قَـوَائِـمُ كُـلُّـهَـا رَبِـذٌ سَـطُـوعُ[1]
فَأَوْفَى عِـنْـدَ أَقْـصَاهُـنَّ شَـخْـصٌ يَـلُـوحُ كَـأَنَّـهُ سَـيْـفٌ صَـنِـيـعُ
تَـرَاهُ حِـيـنَ يَـعْـثُـرُ فِـي دِمَـاءٍ كَمَا يَمْشِي بِأَقْدُحِهِ الْخَلِيعُ[2]
أَشَـابَ الـرَّأْسَ أَيَّـامٌ طِـوَالٌ وَهَـمٌّ مَـا تَـبَـلَّـغُـهُ الـضُّـلُـوعُ
وَسَـوْقُ كَـتِـيـبَـةٍ دَلَـفَـتْ لأُخْـرَى كَـأَنَّ زُهَـاءَهَـا رَأْسٌ صَـلِـيـعُ
دَنَـتْ وَاسْـتَـأْخَـرَ الأَوْغَـالُ عَـنْـهَـا وَخُـلِّـيَ بَـيْـنَـهُـمْ إِلاَّ الـوَرِيـعُ[3]
فِـدًى لَـهُـمُ مَـعـاً عَـمِّـي وَخَـالِـي وَشَـرْخُ شَـبَـابِـهِـمْ إِنْ لَـمْ يُـضِـيـعُـوا
وَإِسْـنَـادُ الأَسِـنَّـةِ نَـحْـوَ نَـحْـرِي وَهَـزُّ الْـمَـشْـرَفِـيَّـةِ وَالْـوُقُـوعُ
فَـإِنْ تَـنْـبِ الـنَّـوَائِـبُ آلَ عُـصْـمٍ تُـرَى حَـكَـمَـاتُـهُـمْ فِـيـهَـا رُفُـوعُ[4]
إِذَا لَـمْ تَـسْـتَـطِـعْ شَـيْـئـاً فَـدَعْـهُ وَجَـاوِزْهُ إِلَـى مَـا تَـسْـتَـطِـيـعُ
وَصِـلْـهُ بِـالـزَّمَـاعِ فَـكُـلُّ أَمْـرٍ سَمَا لَـكَ أَوْ سَـمَـوْتَ لَـه وَلُـوعُ[5]
فَـكَـمْ مِـنْ غَـائِـطٍ مِـنْ دُونِ سَـلْـمَـى قَـلِـيـلِ الأُنْـسِ لَـيْـسَ بِـهِ كَـتِـيـعُ[6]
بِـهِ الـسِّـرْحَـانُ مُـفْـتَـرِشـاً يَـدَيْـهِ كَـأَنَّ بَـيَـاضَ لَـبَّـتِـهِ الـصَّـدِيـعُ[7]

(١) الأرنُ: النشاط، والرَّبذ: الخفَّةُ في الحركة
(٢) الأقدحُ: السِّهام، والخليع: الصياد.
(٣) الأوغالُ: الضعفاء، والوريع: الجبان.
(٤) الحكماتُ: لجام الخيل.
(٥) الزماعُ: العزمُ على الأمر والْمُضِيُّ إليه.
(٦) الغائطُ: الأرضُ الواسعةُ الآمنةُ، والكتيعُ: الشخصُ المنفردُ، أي ليس في تلك الأرضِ منْ أحد.
(٧) السِّرحانُ: الذِّئب، ولبَّتُهُ: نَحْرُهُ، والصَّديعُ: أوَّلُ الصُّبحِ.

وَأَرْضٍ قَدْ قَطَعْتُ بِهَا الْهَوَاهِي ... مِنَ الْجِنَّانِ سَرْبَخُهَا مَلِيعُ[1]

تَرَىٰ جِيَفَ الْمَطِيِّ بِحَافَتَيْهِ ... كَأَنَّ عِظَامَهَا الرَّخَمُ الْوُقُوعُ[2]

لَعَمْرُكَ مَا ثَلاثٌ حَائِمَاتٌ ... عَلَىٰ رُبَعٍ يَرِغْنَ وَمَا يَرِيعُ

وَنَابٌ مَا يَعِيشُ لَهَا حُوَارٌ ... شَدِيدُ الطَّعْنِ مِثْكَالٌ جَزُوعُ[3]

سَدِيسٌ نَضَّجَتْهُ بَعْدَ حَمْلٍ ... تَحَرَّىٰ فِي الْحَنِينِ وَتَسْتَلِيعُ[4]

بِأَوْجَعَ لَوْعَةً مِنِّي وَوَجْداً ... غَدَاةَ تَحَمَّلَ الإِنْسُ الْجَمِيعُ[5]

فَإِمَّا كُنْتِ سَائِلَةً بِمُهْرِي ... فَمُهْرِيَ إِنْ سَأَلْتِ بِهِ الرَّفِيعُ

(١) الهواهي: ضربٌ من السَّيْر، والسَّربخُ: الأرضُ الواسعةُ، والمليعُ: الفلاةُ الممتدَّةُ.

(٢) الرخمُ: طيور النعام.

(٣) الحُوارُ: ابن الناقة في سنته الأولى، ومثكال: كثير الثكل، وفقدان الأبناء.

(٤) تحرَّى: من الحرارة، وحراة النار لهيبها، وتستليع، من أسلع، إذا اكتوى جلده بالنار فتركت فيه أثراً.

(٥) تحمل الإنس الجميع: غادر الناس جميعاً.

سُحَيْمُ الرِيَاحي

صُوْرَةُ الأَنَا

شَاعَ مَطْلَعُ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ فِي كُتُبِ التَّارِيْخِ وَالأدَبِ الْعَرَبِيَّيْنِ بَعْدَ أنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ الْحَجَّاجُ بنُ يُوْسُفَ الثَّقَفِيّ فِيْ أوّلِ ظُهُورِ لَهُ أمَامَ النَّاسِ عَلى الْمِنْبَرِ فِي الْكُوْفَةِ بَعْدَ تَوْلِيَتِهِ، حَتَّى ظَنَّ الْكَثِيْرُوْنَ أنَّها لَهُ، وَإنَّمَا هِيَ لِشَاعِرٍ عَاشَ قَرْنَاً كَامِلاً وَلَمْ تُعْرَفْ لهُ قَصِيْدَةٌ سِوَى هَذِهِ الَّتِي عَاشَتْ مِنْ بَعْدِهِ لِقُرُونٍ، حِيْثُ يَقُوْلُ ابْنُ دُرَيْدَ فِي كِتَابِ «الاشْتِقَاقِ»: عَاشَ سُحَيْمُ أرْبَعِيْنَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَسِتِّيْنَ سَنَةً فِي الإسْلامْ.

أَنَا ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعِ الثَّنَايَا ... مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُوْنِي[1]

وَإنَّ مَكَانَنَا مِنْ حِمْيَرِيٍّ ... مَكَانُ اللَّيْثِ مِنْ وَسَطِ الْعَرِيْنِ

وَإنِّي لا يَعُوْدُ إلَيَّ قِرْنِي ... غَدَاةَ الْوِرْدِ إلاَّ فِي قَرِيْنِ

بِذِيْ لِبَدٍ يَصُدُّ الرَّكْبُ عَنْهُ ... وَلاَ تُؤْتَى فَرِيْسَتُهُ لِحِيْنِ

---

(١) ابنُ جلا: الْمُنْكشفُ الأمر الْمَشهُور، وتقول العرب للصبح: ابن جلا، وقد انشغل النحاة العرب بصيغة «ابن جلا» هل هي اسم أم منقولة عن فعل، وطلاّع الثنايا: الذي يظهر على الأرض المرتفعة.

عَـذَرْتُ الـبُـزْلَ إِذْ هِـيَ خَـاطَـرَتْـنِـي   فَـمَـا بَـالِـي وَبَـالُ إِبـنَـي لَـبُـوْنِ[1]

وَمَـاذَا يَـبْـتَـغِـي الـشُّـعَـرَاءُ مِـنِّـي   وَقَـدْ جَـاوَزْتُ رَأْسَ الأَرْبَـعِـيْـنِ

أَخُـوْ خَـمْـسِـيْـنَ مُـجـتَـمِـعـاً أَشُـدِّي   وَنَـجَّـذَنِـي مُـدَاوَرَةُ الـشُّـؤُوْنِ[2]

فَـإِنَّ عُـلالَـتِـي وَجِـرَاءَ حَـوْلِـي   لَـذُوْ شِـقٍّ عَـلَـى الـضَّـرَعِ الـظَّـنُـوْنِ

سَـأَحْـيَـا مَـا حَـيِـيْـتُ وَإِنَّ ظَـهْـرِي   لَـمُـسْـتَـنِـدٌ إِلَـى نَـضَـدٍ أَمِـيْـنِ

أَنَـا ابْـنُ الْـغُـرِّ مِـنْ سَـلَـفَـي رِيَـاحٍ   كَـنَـصْـلِ الـسَّـيْـفِ وَضَّـاحُ الْـجَـبِـيْـنِ

مَـتَـى أَحْـلِـلْ إِلَـى قَـطَـنٍ وَزَيْـدٍ   وَسَـلْـمَـى تَـكْـثُـرُ الأَصْـوَاتُ دُوْنِـي[3]

وَهَـمَّـامٌ مَـتَـى أَحْـلِـلْ إِلَـيْـهِ   يَـحِـلُّ الـلَّـيْـثُ فِـي عَـيْـصٍ أَمِـيْـنِ

أَلَـفُّ الْـجَـانِـبَـيْـنِ بِـهِ أُسُـوْدٌ   مُـنَـطَّـقَـةٌ بَـأَصْـلابِ الْـجُـفُـوْنِ

وَإِنَّ قَـنَـاتَـنَـا مَـشِـظٌ شَـظَـاهَـا   شَـدِيْـدٌ مَـدُّهـا عُـنُـقَ الْـقَـرِيْـنِ

---

(١) البزْلُ : الإبل إذا شقَّت أسنانُهُ بعد السَّنة الثامنة .

(٢) رجلٌ منجذٌ : مجرَّب وعارف .

(٣) قطن : اسم جبل .

قُتَيْلَةُ بِنْتُ النضر

مُبْكِيَةُ النَّبِيِّ

هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ لِقُتَيْلَةِ بِنْتِ النَّضْرِ بنِ الْحَارِثِ وَقِيْلَ هِيَ قُتَيْلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، فَهْيَ قِيلَتْ فِي رِثَاءِ أَبِيْهَا، أَوْ أَخِيْهَا النَّضْرِ بنِ الْحَارِثِ الَّذِيْ قُتِلَ مَعَ قُرَيْشٍ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَقِيْلَ أَنَّ الشَّاعِرَةَ عَرَضَتْ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ(ص) وَهْوَ يَطُوْفُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَاسْتَوْقَفَتْهُ وَجَذَبَتْ رِدَاءَهُ وَأَنْشَدَتْهُ شِعْرَهَا فَلَمَّا سَمِعَهَا بَكَى وَقَالَ: «لَوْ جِئْتِنِي مَنْ قَبْلُ لَعَفَوْتُ عَنْهُ» ثُمَّ قَالَ: «لاْ يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ بَعْدَ هَذَا صَبْراً». قَالَ الأَصْفَهَانِيُّ: «يُقَالُ أَنَّ شِعْرَهَا أَكْرَمُ شِعْرِ مَوْتُوْرَةٍ وَأَعَفُّهُ وَأَكَفُّهُ وَأَحْلَمُهُ». وَقَالَ الْخَالِدِيَّان: «كَانَتْ قُتَيْلَةُ مِنْ أَحْسَنِ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَفْصَحِهِنَّ، وَكَانَ النَّبِيُّ(ص) أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجها حتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيْهَا مَا كَان».

يَا رَاكِبَاً إِنَّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ   مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ

بَلِّغْ بِهِ مَيْتاً فَإِنَّ تَحِيَّةً   مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا الرَّكَائِبُ تَخْفُقُ

مِنِّي إِلَيْكَ، وَعَبْرَةً مَسْفُوْحَةً   جَادَتْ لِمَائِحِها وَأُخْرَى تَخْنُقُ

فَلْيَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُه   إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ أَوْ يَنْطِقُ

ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ	لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُمَزَّقُ
قَسْراً يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتْعَباً	رَسفُ الْمقيَّدِ وَهْوَ عَانٍ مُوثَقُ[1]
أَمُحَمَّدٌ، وَلأَنْتَ نَجْلُ نَجِيبَةٍ	مِنْ قَوْمِهَا، والْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ، وَرُبَّما	مَنَّ الْفَتَى، وهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ
والنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبْتَ وَسِيلَةً	وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ
لَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ لَفَدَيْتُهُ	بِأَعَزِّ مَا يُغْلِي بِهِ مَنْ يُنْفِقُ

(١) رسفُ المقيد: مشي المقيد.

مُتمِّمُ بنُ نُوَيْرَة

أمُّ الْمَرَاثِيْ

يَرَى الأَصْمَعِيُّ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ هِيَ «أمُّ الْمَرَاثِيْ» وَأَيَّدَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعِقْدِ الْفَرِيْدِ. وَقَدَّمَهَا الْمُبَرِّدُ فِي التَّعازِيْ وَالْمَرَاثِيْ عَلَى سَائِرِ شِعْرِ الرِّثَاءِ فِي الْجَاهليَّةِ وَالإِسْلامِ، وَجَعَلَ ابْنُ سلاّم شَاعِرَ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ فِي طَلِيْعَةِ طَبقَةِ أَصْحَابِ الْمَرَاثي. وَهْيَ قِيْلَتْ فِي رِثَاءِ أَخِيْهِ مَالِكِ بنِ نُوَيْرَةَ، الَّذِيْ قَتَلَهُ خَالدُ بنُ الْوَلِيْدِ فِي مَا عُرِفَ «بِحُرُوْبِ الرِّدَّةِ» وَبَقِيَّةُ شِعْرِهِ يَصبُّ أَغْلَبُهُ فِي رِثَاء أَخِيْهِ مَالِكٍ، وَهَذِهِ أَجْوَدُهَا. سَمِعَهَا الْخَلِيْفَةُ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: «يَا مُتَمِّمُ، لَوْ كُنْتُ أَقُوْلُ الشِّعْرَ لَسَرَّنِي أَنْ أَقُوْلَ فِي زَيْدِ بنِ الْخَطَّابِ مِثْلَ مَا قُلْتَ».

وَكَانَ زَيْدُ بن الْخَطَّابِ، أَخُو الْخَلِيْفَةِ، قَدْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ نَفْسِهَا، وَفِي وَقْعَةِ «الْيَمَامَةِ» بِالذَّات.

لَعَمْرِي وَمَا دَهرِي بِتَأْبِيْنِ هَالِكٍ ... وَلاَ جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا

لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ ... فَتًى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ، أَرْوَعَا[1]

---

(١) المنهال بن عصمة اليربوعي مر على مالك بن نويرة التميمي وهو صريع فألقى=

وَلاَ بَرَماً تُهْدِي النِّسَاءُ لِعِرْسِهِ   إِذَا القَشْعُ مِنْ حَسِّ الشِّتَاءِ تَقَعْقَعَا[1]

لَبِيبٌ أَعَانَ اللُّبَّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ   خَصِيبٌ إِذَا مَا رَاكِبُ الجَدْبِ أَوْضَعَا[2]

تَرَاهُ كَصَدْرِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى   إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا

ويوماً إِذَا مَا كَظَّكَ الخَصْمُ إِنْ يَكُنْ   نَصِيرَكَ مِنْهُمْ لا تَكُنْ أَنْتَ أَضْيَعَا[3]

وإِنْ تَلْقَهُ فِي الشَّرْبِ لا تَلْقَ فَاحِشاً   عَلَى الكَأْسِ ذَا قَاذُورَةٍ مُتَزَبِّعَا[4]

وإِنْ ضَرَّسَ الغَزْوُ الرِّجَالَ رَأَيْتَهُ   أَخَا الحَرْبِ صَدْقاً فِي اللِّقَاءِ سَمَيْدَعَا[5]

وَمَا كَانَ وَقَّافاً إِذَا الخَيْلُ أَجْحَمَتْ   ولا طَائِشاً عِنْدَ اللِّقَاءِ مُدَفَّعَا[6]

ولا بِكَهَامٍ بَزُّهُ عَنْ عَدُوِّهِ   إِذَا هُوَ لاقَى حَاسِراً أَو مُقَنَّعَا[7]

أَعَيْنَيَّ هلاَّ تَبْكِيَانِ لِمَالِكٍ   إِذَا أَذْرَتِ الرِّيحُ الكَنِيفَ المُرَفَّعَا[8]

وَهَبَّتْ شَمَالاً مِنْ تُجَاهِ أَظَايِفٍ   إِذَا صَادَفَتْ كَفَّ المُفِيضِ تَقَفَّعَا[9]

= عليه رداء».

(١) البَرَمُ: الرجلُ الذي لا يتعاطى الميسر، والقشع: جِدارٌ للبيوت يُصنعُ من الجلدِ اليابسِ، فإذا ضَرَبَتْه الرِّيحُ والبَرْدُ تَقَعْقَعَت نوَاحِيه أي تخلخلتْ.

(٢) أوضعَ: سار بسرعة.

(٣) كظه: ملأه غماً، وتكاظ القوم إذا تجاوزوا الحد في العداوة.

(٤) رجلٌ قاذورة: مُتبرِّمٌ بالناس لا يخالطهم ولا يجلس إلا وحده، ومتزبع: سيء الخلق.

(٥) ضرسَ: اشتدَّ عليهم، والسَّميدع: الرئيس، أو شريف القوم.

(٦) اجحمت الخيل: اشتد معتركها.

(٧) رجلٌ كهامٌ: بطيء في النُّصرة والحرب، والبَزُّ والبِزَّةُ: السِّلاح يدخل فيه الدِّرعُ والمِغفَر والسَّيف.

(٨) الكنِيفُ: السَّاتر والترس.

(٩) تقفَّعَت اليد: إذا تشنجت وانقبضت.

وَلِلشَّرْبِ فَابْكِي مَالِكاً وَلِبُهْمَةٍ شَدِيدٍ نَوَاحِيهِ عَلَى مَنْ تَشَجَّعَا
وضَيفٍ إذَا أَرْغَى طُرُوقاً بَعِيرَهُ وعَانٍ ثَوَى فِي القِدِّ حَتَّى تَكَنَّعا[1]
وأَرْمَلَةٍ تَمْشِي بأَشْعَثَ مُحْثَلٍ كفَرْخِ الحُبارَى رأسُهُ قد تَضوَّعَا[2]
إِذَا جَرَّدَ القَوْمُ القِدَاحَ وأُوقِدَتْ لَهُمْ نارُ أَيْسَارٍ كَفَى مَنْ تَضَجَّعا[3]
وإِنْ شَهِدَ الأَيْسَارَ لَمْ يُلْفَ مالكٌ عَلَى الفَرْثِ يَحْمِي اللَّحْمَ أَنْ يَتوزَّعَا[4]
أَبَى الصَّبْرَ آيَاتٌ أَرَاهَا وأَنَّنِي أَرَى كُلَّ حَبْلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
وَقَدْ كَانَ مِجْذَاماً إِلَى الحَرْبِ رَكْضُهُ سَرِيعاً إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْزَعَا[5]
وأَنِّي مَتَى مَا أَدْعُ باسْمِكَ لا تُجِبْ وكُنْتَ جدِيراً أَنْ تُجِيبَ وَتُسْمِعَا
وَكَأَنَّ جَنَاحِيَ إِنْ نَهَضْتُ أَقَلَّنِي وَيَحْوِي الجَنَاحُ الرِّيشَ أَنْ يَتَنَزَّعَا
وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الحَيَاةِ وقَبْلَنَا أَصَابَ المَنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا
وكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا[6]
فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مَحْمُوداً أَخِي حِينَ وَدَّعَا

---

(١) يقال: أتيته فما أثغى ولا أرغى، أي: لَمْ يُعْطِ شاةً ولا ناقةً، يقالُ: تَكَنَّعَ الأسيرُ في قِدِّهِ: تقبَّضَ واجتمع.

(٢) المحثلُ: السيئ الرضاعة أو سيئ التغذية.

(٣) الإيسار: من الميسر، وتضجع الرجل عن الأمر إذا تقعد ولم يقم به.

(٤) فرثَ اللحم: فتته.

(٥) رجلٌ مجذامٌ: رجل حاسم في الأمور الصعبة.

(٦) جُذيمةُ: هو الأبرش كان ثالث ملوك تنوخ وأول ملك بالحيرة، وأول من انتعل النعال، واتخذ المنجنيق ووضعه على الحصون وكان أول من أوقدت له الشموع، وكان يربأ بنفسه من أن ينادم أحداً ويقول: أنا أعظم من أن أنادم إلا الفرقدين، فكان يشرب كأساً ويصب لهما كأسين، وصار مثلاً يضرب في أخوين طال تصاحبهما.

فَتَىً كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ   وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَنَّعَا

أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ   وَجَوْنٍ يَسُحُّ الماءَ حَتَّى تَرَيَّعَا[1]

سَقَى اللَّهُ أَرضاً حَلَّهَا قَبْرُ مالِكٍ   ذِهَابَ الغَوَادِي الْمُدْجِناتِ فَأَمْرَعَا[2]

وَآثَرَ سَيْلَ الوَادِيَيْنِ بِدِيمَةٍ   تُرَشِّحُ وَسْمِيًا منَ النَّبْتِ خِرْوَعا[3]

فَمُجْتَمَعَ الأَسْدَامِ مِنْ حَوْلِ شَارِعٍ   فَرَوَّى جِبَالَ القَرْيَتَيْنِ فَضَلْفَعَا[4]

فَوَ اللَّهِ مَا أُسْقِي الْبِلاَدَ لِحُبِّهَا   وَلَكِنَّنِي أُسْقِي الْحَبِيبَ الْمُوَدَّعَا

تَحِيَّتَهُ مِنِّي وإِنْ كَانَ نَائِياً   وأَمْسَىٰ تُرَاباً فَوْقَهُ الأَرْضُ بَلْقَعَا

تَقُولُ ابْنَةُ العَمْرِيِّ مالَكَ بَعْدَما   أَرَاكَ حَدِيثاً نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعَا

فَقُلْتُ لَهَا: طُولُ الأَسَىٰ إِذْ سَأَلْتِنِي   ولَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعَا[5]

وفَقْدُ بَنِي أُمٍّ تَدَاعَوْا فَلَمْ أَكُنْ   خِلافَهُمُ أَنْ أَسْتَكِينَ وأَضْرَعَا

ولكِنَّنِي أَمْضِي عَلَىٰ ذَاكَ مُقْدِماً   إِذَا بَعْضُ مَنْ يَلْقَي الْحُرُوبَ تَكَعْكَعَا[6]

وغَيَّرَنِي ما غَالَ قَيْساً ومالِكاً   وعَمْراً وجَزْءاً بالْمُشَقَّرِ أَلْمَعَا[7]

وما غَالَ نَدْمانِي يَزِيدَ، ولَيْتَنِي   تَمَلَّيْتُهُ بالأَهْلِ والْمَالِ أَجْمَعَا

وإِنِّي وإِنْ هازَلْتِنِي قَدْ أَصَابَنِي   مِنَ البَثِّ ما يُبْكِي الْحَزِينَ الْمُفَجَّعَا

---

(١) الربابُ الجون: السُّحبُ البيض، وتريع: تراجع.

(٢) الذهابُ: اسمٌ للمطر، والمدجنات: الممتلئات بالمطر، وأمْرَعَ: صار خِصْباً.

(٣) الوسميُّ: مطر الربيع في أوله.

(٤) الاسدامُ: المياه المتجمعة الراكدة، وضلفع موقع.

(٥) أسفعُ: داكن يميل إلى السَّواد.

(٦) تكعكعَ: أحجم ونكص وتراجع.

(٧) المشقرُ: قصر بالبحرين، وألمع: ذهب بهم الموت.

وَلَسْتُ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَحْدَثَ نَكْبَةً ... وَرُزْءًا بِزَوَّارِ الْقَرَائِبِ أَخْضَعَا[1]

قَعِيدَكِ أَلاَّ تُسْمِعِينِي مَلاَمَةً ... وَلاَ تَنْكَئِي قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيِيجَعَا[2]

فَقَصْرَكِ إِنِّي قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ ... بِكَفِّيَ عَنْهُمْ لِلْمَنِيَّةِ مَدْفَعَا

فَلاَ فَرِحاً إِنْ كُنْتُ يَوْماً بِغِبْطَةٍ ... وَلاَ جَزِعاً مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا

فَلَو أَنَّ مَا أَلْقَىٰ يُصِيبُ مُتَالِعاً ... أَوِ الرُّكْنَ مِن سَلْمَى إِذاً لَتَضَعْضَعَا[3]

وَمَا وَجْدُ أَظْآرٍ ثَلاَثٍ رَوَائِمٍ ... أَصَبْنَ مَجَراً مِنْ حُوَارٍ وَمَصْرَعَا[4]

يُذَكِّرْنَ: ذَا الْبَثُّ الْحَزِينَ بِبَثِّهِ ... إِذَا حَنَّتِ الأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا

إِذَا شَارِفٌ مِنْهُنَّ قَامَتْ فَرَجَّعَتْ ... حَنِيناً فَأَبْكَي شَجْوُهَا الْبَرْكَ أَجْمَعَا

بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ قَامَ بِمَالِكٍ ... مُنَادٍ بَصِيرٌ بِالْفِرَاقِ فَأَسْمَعَا

فَإِنْ يَكُ حُزْنٌ أَوْ تَتَابُعُ عَبْرَةٍ ... أَذَابَتْ عَبِيطاً مِنْ دَمِ الْجَوْفِ مُنْقَعَا[5]

تَجَرَّعْتُهَا فِي مَالِكٍ وَاحْتَسَيْتُهَا ... لأَعْظَمَ مِنْهَا مَا احْتَسَىٰ وَتَجَرَّعَا

أَلَمْ تَأْتِ أَخْبَارُ الْمُحِلِّ سَرَاتَكُمْ ... فَيَغْضَبَ مِنْكُمْ كُلُّ مَنْ كَانَ مُوجَعَا

بِمَشْمَتِهِ إِذْ صَادَفَ الْحَتْفُ مَالِكاً ... وَمَشْهَدِهِ مَا قَدْ رَأَىٰ ثُمَّ ضَيَّعَا

أَآثَرْتَ هِدْماً بَالِياً وَسَوِيَّةً ... وَجِئْتَ بِهَا تَعْدُو بَرِيداً مُقَزَّعَا[6]

فَلاَ تَفْرَحَنْ يَوْماً بِنَفْسِكَ إِنَّنِي ... أَرَى الْمَوْتَ وَقَّاعاً عَلَىٰ مَنْ تَشَجَّعَا

---

(١) القرائبُ: الأقرباء وتخص النساء تحديداً.

(٢) ييجعُ: لغة في يوجع.

(٣) متالعُ وسلمى: جبلان في البادية.

(٤) الآظارُ: جَمْعُ الظؤور وهي الناقة التي تحنو على ولد غيرها، والمجر والحوار والمصرع: من أسماء أولاد الناقة.

(٥) دمٌ عبيط: إذا كان طرياً قد خرج من جسم صحيح، لم يمت صاحبه بعلة.

(٦) المقزعُ: الفرس السَّريعة وتستخدم عادة للبريد والرسل.

لَعَلَّكَ يَوماً أنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ   عَلَيكَ منَ اللائي يَدَعْنَكَ أجْدَعَا

نَعَيتَ امْرَأً لَوْ كَانَ لَحمُكَ عِندَهُ   لآوَاهُ مَجمُوعاً لـه أو مُمَزَّعَا[1]

فلاَ يُهنِىءِ الوَاشِينَ مَقْتَلُ مالِكٍ   فَقَدْ آبَ شَانِيهِ إيَاباً فَوَدَّعَا

---

(١) مُمزعاً: مقسماً ومقطعاً.

سُحَيْمُ الْحَبَشِيُّ

الْغَزَلِيةُ الْقَاتِلَةُ

هُوَ سُحَيْمُ عَبْدُ بنِي الْحَسْحَاس وَقِيْلَ اسْمهُ حَيَّةُ النُّوْبِيُّ، كَمَا فِي خَزَانَةِ الأدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يُوْلَدْ فِي الْجَزِيْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَثَقَافَتِهَا، وَكانَ يَرْتَضِخُ[1] لَكْنَةً حَبَشِيَّةً، إلا أَنَّهُ تَرَكَ لَنَا «وَاحِدَةً» مِنْ أَهَمِّ الْغَزَلِيَّاتِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ قَالَ عَنْها الْمُفضَّلُ: «قَصِيْدَةُ الأَسْوَدِ دِيْبَاجٌ خُسْرُوَانِيٌّ»

وَيَبْدُوْ أنَّ هَذَا النُّوْبِيَّ كَانَ أُسْتَاذَ طَرِيْقَةٍ فِي الْغَزَلِ الْحِسِّيِّ الْمُبَاشِرِ لعُمَرَ بنِ أَبِي رَبِيْعَةَ بِالذَّاتِ إذْ تُظْهِرُ هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ بِشَكْلٍ خَاصٍّ، تَأثُّرَ ابْنِ أَبِي رَبِيْعَةَ بِشِعْرِ سُحَيْمٍ، خَاصَّةً وَأَنَّ وَالدَ عُمَرَ، عَبْدَ اللَّهِ بنَ أَبِي رَبِيْعَةَ هُوَ الَّذِي اشْتَرَاهُ، وَلَبِثَ عِنْدَهُ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَن.

وَقِيْلَ أنَّ الرَّسُوْلَ تَمثَّلَ بِالْبَيْتِ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ، وَأَنَّ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ سَمِعَهَا فَقَالَ لِسُحَيْم: «لَوْ قَدَّمْتَ الإسْلامَ عَلَى الشَّيْب

(١) فلان يَرْتَضِخُ لُكْنَةً عجميةً: إذا نشأ مع العجم يسيراً ثم صار مع العرب، فهو يَنْزِعُ إلى العجم في ألفاظ من ألفاظهم لا يستمر لسانه على غيرها ولو اجتهد.

لأَجَزْتُكَ» ـ وَأَغْلَبُ الظَّنِّ أنَّ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ مُتَدَاخِلَيْنِ ـ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَقَاطِعِ الْغَزَلِيَّةِ الْحِسِّيَّةِ مِنْهَا قَالَ لَهُ عُمَرُ: «وَيْلَكَ إِنَّكَ لَمَقْتُوْلٌ» وَقُتِلَ فِعْلاً بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ مَوَالِيْهِ، أَيَّامَ خِلافَةِ عُثْمَانَ، لأَنَّهُ كَانَ يَتَشَبَّبُ بِنِسَائِهِمْ.

وَفِي «الأَغَانِي» أَنَّهُ قَالَ لَمَّا قُدِّمَ لِيُقْتَلَ:

شُدُّوا وِثَاقَ الْعَبْدِ لا يُفْلِتْكُمْ ... إِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ

فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جَبِينِ فَتَاتِكُمْ ... عَرَقٌ عَلَى مَتْنِ الْفِرَاشِ وَطِيبُ

«ثُمَّ حُفِرَ لَهُ أُخْدُوْدٌ، وَأُلْقِيَ فِيْهِ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ الْحَطَبُ فَأُحْرِقَ».

عُمَيْرةَ وَدِّعْ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا ... كَفَى الشَّيْبُ والإِسْلامُ لِلمَرْءِ نَاهِيَا

جُنُوناً بِهَا فِيما اعْتَشَرْنا عَلاقَةً ... عَلاقَةَ حُبٍّ مُسْتَسِرّاً وَبَادِيَا

لَيَالِيَ تَصْطَادُ الْقُلُوبَ بِفَاحِمٍ ... تَرَاهُ أَثِيثاً نَاعِمَ النَّبْتِ عَافِيَا[1]

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيْمِ لَيْسَ بِعَاطِلٍ ... مِنَ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ والشَّذْرِ حَالِيَا[2]

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِها ... وَجَمْرَ غَضَىً هَبَّتْ لَهُ الرِّيْحُ ذَاكِيَا

إِذَا انْدَفَعَتْ فِيْ رَيْطَةٍ وَخَمِيْصَةٍ ... وَلاثَتْ بأَعلَى الرِّدْفِ بُرْداً يَمَانِيَا[3]

تُرِيكَ غَدَاةَ الْبَيْنِ كَفّاً وَمِعْصَماً ... وَوَجْهاً كَدِيْنَارِ الْهِرَقْلِيِّ صَافِيَا

فَمَا بَيضَةٌ بَاتَ الظَّلِيمُ يَحُفُّها ... وَيَرفَعُ عَنهَا جُؤْجُؤاً مُتَجَافِيَا[4]

---

(١) الأثيثُ: الكثيف والملتف.

(٢) حالي: من الحُلي.

(٣) الريطةُ: المُلاءة، والخميصة: كساء أسود.

(٤) الظليمُ: فرخ النعام، يحفها: يضمها، والجؤجؤ: الصدر ومتجافيا إذا برك متجافياً على قوائمه وصدره.

وَيَجْعَلُهَا بَيْنَ الْجَنَاحِ ودَفْهِ ... وَيُفرِشُها وَحْفاً مِنَ الزِّفِّ وَأفِيَا[1]

فَيَرْفَعُ عَنْهَا وَهْيَ بَيْضَاءُ طَلَّةٌ ... وَقَدْ وَاجَهَتْ قَرْناً مِنَ الشَّمْسِ ضَاحِيَا

بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ: أَرَاحِلٌ ... مَعَ الرَّكْبِ أَمْ ثَاوٍ لَدَيْنا لَيَالِيَا؟

فإنْ تَثْوِ لا تُمْلَلْ وإنْ تُضْحِ غَادِيَاً ... تُزَوَّدْ وَتَرْجِعْ عَنْ عُمَيْرَةَ رَاضِيَا

وَمَنْ يَكُ لا يَبْقَى عَلَى النَّأْيِ وُدُّهُ ... فَقَدْ زَوَّدَتْ زَاداً عُمَيْرَةُ بَاقِيَا

أَلِكْنِيْ إِلَيْهَا عَمْرَكَ اللَّهُ يَا فَتَىً ... بَآيَةِ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا[2]

تَهَادِيَ سَيْلٍ فِي أَبَاطِحَ سَهْلَةٍ ... إِذَا مَا عَلا صَمْدَاً تَفَرَّعَ وَادِيَا

فَفاءَتْ ولَمْ تَقْضِ الَّذِيْ هُوَ أَهْلُهُ ... وَمِنْ حَاجَةِ الإِنْسَانِ مَا لَيسَ لاقِيَا

وَبِتْنَا، وِسَادَانَا إِلى عَلْجَانَةٍ ... وحِقْفٍ تَهَادَاهُ الرِّيَاحُ تَهَادِيا[3]

تُوَسِّدُنِي كَفَّاً وَتَثْنِي بِمِعْصَمٍ ... عَلَيَّ وَتَرْمِي رِجلَهَا مِنْ وَرَائِيَا

وَهَبَّتْ لَنَا رِيحُ الشَّمَالِ بِقِرَّةٍ ... وَلا ثَوْبَ إِلاّ بُرْدُهَا وِرِدَائِيَا[4]

فَمَا زَالَ بُرْدِيْ طَيِّباً مِن ثِيَابِهَا ... إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ البُرْدُ بَالِيَا[5]

أَلاَ يَا طَبِيبَ الْجِنِّ بِاللَّهِ دَاوِنِي ... فَإِنَّ طَبِيبَ الإِنْسِ أَعْيَاهُ مَا بِيَا

فَقَالَ: دَوَاءُ الْحُبِّ أَنْ تُلْصِقَ الْحَشَا ... بِأَحْشَاءِ مَنْ تَهْوَى إِذَا كَانَ خَالِيَا

سَقَتْنِي عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْمَاءِ شَرْبَةً ... سَقَاهَا بِهَا اللَّهُ الذِّهَابَ الْغَوَادِيَا

وأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ قَدْ رَأَيْتُهَا ... وَعِشْرِيْنَ مِنْهَا إِصْبَعاً مِنْ وَرَائِيَا

---

(١) الوحفُ: الجناح الكثيف الريش أو الشعر الكثيف، والزِّف: ريش النعام.

(٢) ألكني: أرسلني، أو اجعلني رسولاً إليها.

(٣) العَلَجُ: شَجَرٌ أخضرُ مُعتمُ الْخُضرةِ، وليس فيه ورقٌ، والحقف: الرمل.

(٤) القرةُ: البرد.

(٥) الحولُ: السَّنة.

أقلبها للجانبين وأتقي بها الريح والشفان من عن شماليا[1]
ألا أيها الوادي الذي ضم سيله إلينا نوى الحسناء حييت واديا
فيا ليتني والعامرية نلتقي نرود لأهلينا الرياض الخواليا
وما برحت بالدير منها أثارة وبالجو حتى دمنته لياليا[2]
فإن تقبلي بالود أقبل بمثله وإن تدبري أذهب إلى حال باليا
ألم تعلمي أني صروم مواصل إذا لم يكن شيء لشيء مواتيا[3]
وما جئتها أبغي الشفاء بنظرة فأبصرتها إلا رجعت بدائيا
ولا طلع النجم الذي يهتدى به ولا الصبح حتى هيجا ذكر ماليا
وإلا لساقي الرائحات عشية إلى الحشر أستنجي الحسان الغوانيا[4]
أغالي أعلى الله كعبك عاليا وروى بريّاك العظام البواليا
أغالي لو أشكو الذي قد أصابني إلى جبل صعب الذرى لانحنى ليا
أغالي ما شمس النهار إذا بدت بأحسن مما بين برديك غاليا
أشوقا ولما يمض لي غير ليلة رويد الهوى حتى يغيب لياليا[5]
وما جئن حتى كل من شاء وابتنى وقلن: سرفناكم وكن عواديا[6]
ألا ناد في آثارهن الغوانيا سقين سماما ما لهن وما ليا؟
وأقبلن من أقصى البيوت يعدنني ألا إنما بعض العوائد دائيا

---

(١) الشفان: الريح الباردة مع المطر.

(٢) أثارة: آثار، وتدمّن: تجمّع وتكثّف.

(٣) الصرومُ: القوي القادر على القطيعة.

(٤) استنجى: قضى حاجته من الأمر بالنجوى.

(٥) رويدَ الهوى: أي أمهله.

(٦) سرفناكم: اغفلناكم.

تَجَمَّعنَ مِنْ شَتَّى: ثَلاثٍ وَأَربَعٍ وَوَاحِدَةٍ حَتَّى كَمَلْنَ ثَمَانِيَا
سُلَيْمَىٰ وَسَلْمَىٰ وَالرَّبَابُ وَتِرْبُهَا وَأَرْوَىٰ وَرَيَّا وَالْمُنَى وَقَطَامِيَا
وَأَقْبَلْنَ مِنْ أَقْصَى الْخِيَامِ يَعُدْنَنِي نَوَاهِدَ لَمْ يَعْرِفْنَ خَلْقاً سِوَائِيَا
يَعُدْنَ مَرِيضاً هُنَّ هَيَّجْنَ دَاءَهُ أَلاَ إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا
وَرَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْنَنِي وَأَحْمَى عَلَىٰ أَكْبَادِهِنَّ الْمَكَاوِيَا
وَقَائِلَةٍ والدَّمْعُ يَحْدُرُ كُحْلَهَا: أَهَذَا الَّذِي وَجْدَاً يُبَكِّي الْغَوَانِيَا؟
فَلَمْ أَرَ مِثْلِي مُسْتَغِيثَاً بِشَرْبَةٍ وَلاَ مِثْلَ سَاقِينَا الْمُصَرِّدِ سَاقِيَا[1]
وَسِرْبِ عَذَارَىٰ بِثَنِ جَنْبَيِّ مُوْهِنَاً مِنَ اللَّيلِ قَدْ نَازَعْتَهُنَّ رِدَائِيَا
تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَىٰ مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ مِنْ جَنْبَيْ «شَرَوْرَىٰ» غَوَادِيَا[2]
تَأَطَّرْنَ حَتَّىٰ قُلْتُ لَسْنَ بَوَارِحَاً وَلاَ لاَحِقَاتِ الْحَيِّ إِلاَّ سَوَارِيَا[3]
أَخَذْنَ عَلَى الْمِقْرَاةِ أَوْ عَنْ يَمِينِهَا إِذَا قُلْتُ قَدْ وَرَّعْنَ أَنْزَلْنَ حَادِيَا[4]
أَشَارَتْ بِمِدْرَاهَا وَقَالَتْ لِتِرْبِهَا أَعَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ يُزْجِي الْقَوَافِيَا؟[5]
رَأَتْ رَجُلاً رَثّاً وَسَحْقَ عَبَاءَةٍ وَأَسْوَدَ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ عَارِيَا
فَلَوْ كُنْتُ وَرْدَاً أَبْيَضَاً لَعَشِقْنَنِي وَلَكِنَّ رَبِّي شَانَنِي بِسَوَادِيَا
فَمَا ضَرَّنِي أَنْ كَانَتْ أُمِّي وَلِيدَةً تَصُرُّ وتَبْرِي بِاللِّقَاحِ التَّوَادِيَا[6]

---

(١) السَّاقي المصرد: السَّاقي الذي يسقي القليل، ويقطع الشراب.

(٢) شرورى: اسم جبل.

(٣) تأطرْنَ: أقمْنَ في مكانِهنَّ، وَلَمْ يَبْرَحْنَه.

(٤) المقراةُ: حوض يجمع فيه الماء من البئر، وقيل هو الآنية الضخمة.

(٥) مدراها: مشطها الذي تسرِّح به شعرها.

(٦) ا لصِّرارُ: الخيط الذي يُشدُّ به «التَّوادي» وهي الخشبات، على ضروع الناقة الوليد لئلا تعطف على ابنها فترضعه.

فَقُلْ لِلْغَوانِي ما لَهُنَّ وَما لِيا ... تَسَاقَيْنَ سُمّاً إذْ رَأيْنَ خَيالِيا

يُرَجِّلْنَ أقْواماً وَيَتْرُكْنَ لُمَّتِي ... وَذاكَ هَوانٌ ظاهِرٌ قَدْ بَدا لِيا[1]

تَحَدَّرْنَ مِنْ تِلْكَ الهِضابِ عَشِيَّةً ... إلَى الطَّلْعِ يَبْغِينَ الهَوَى وَالتَّصابِيا[2]

ذَهَبْنَ بِمِسْواكِي وَأبْقَيْنَ مُذْهَباً ... مِنَ الصَّوْغِ فِي صُغْرَى بَنانِ شِمالِيا

وَقُلْنَ ألا فالْعَبْنَ ما لَمْ يَرُدَّنا ... نُعاسٌ وَما لَمْ يُرْسِلُوا لِيَ داعِيا

لَعِبْنَ بِدَكْداكٍ خَصِيبٍ جَنابُهُ ... وَألْقَيْنَ عَنْ أعْطافِهِنَّ المَرادِيا[3]

وَقُلْنَ لِصُغْراهِنَّ أنْتِ أحَقُّنا ... بِطَرْحِ الرِّداءِ إنْ أرَدْتِ التَّباهِيا

فَقامَتْ وَألْقَتْ بِالْخِمارِ مُدِلَّةً ... تَفادَى القِصارُ السُّودُ مِنْها تَفادِيا[4]

وَما رُمْنَ حَتَّى أرْسَلَ الحَيُّ داعِياً ... وَحَتَّى بَدا الصُّبْحُ الَّذِي كانَ تالِيا

تَمارَيْنَ حَتَّى غابَ نَجْمٌ مُكَبِّدٌ ... وَحَتَّى بَدا النَّجْمُ الَّذِي كانَ تالِيا[5]

وَحَتَّى اسْتَبانَ الفَجْرُ أشْقَرَ ساطِعاً ... كَأنَّ عَلَى أعْلاهُ سِبّاً يَمانِيا[6]

فأدْبَرْنَ يَخْفِضْنَ الشُّخُوصَ كأنَّما ... قَتَلْنَ قَتِيلاً أوْ أصَبْنَ الدَّواهِيا

وأصْبَحْنَ صَرْعَى فِي البُيُوتِ كأنَّما ... شَرِبْنَ مُداماً ما يُجِبْنَ المُنادِيا

فَعَزَّيْتُ نَفْسِي واجْتَنَبْتُ غَوايَتِي ... وَقَرَّبْتُ حُرْجُوجَ العَشِيَّةِ ناجِيا[7]

---

(١) لُمَّتي: مثلي.

(٢) الطَّلْعُ: المنخفض.

(٣) الدكداكُ: السَّهل، أو ما استوى من الأرض، والأعطاف: الأكتاف، والمرادي: الأردية.

(٤) مدلَّة: ذات دلالٍ وَغَنَجٍ.

(٥) تمارَيْنَ: أخلفْنَ دعوة الداعي، وشكَكْنَ فيها، ونجم مُكبِّد: النجمُ الذي يطلع في كبد السَّماء أول الليل.

(٦) السِبُّ: الْخِمارُ، وكذلك هو العَمامةُ.

(٧) الحرجوجُ: الناقة الضامرة.

مَـرُوْحَـاً إِذَا صَـامَ الـنَّـهـارُ كـأَنَّـمـا ... كَسَوْتُ قُتُودِيَ نَاصِعَ اللَّوْنِ، طَاوِيَا[١]

شَـبـوبـاً تَـحَـامَـاهُ الْـكِـلابُ تَـحَـامِـيـا ... هُـوَ الـلَّـيْـثُ مَـعْـدُوّاً عَـلـيـهِ وَعَـادِيَا[٢]

حَـمَـتْـهُ الْـعَـشَـاءَ لَـيـلَـةٌ ذاتُ قِـرَّةٍ ... بِـوَعْـسَـاءِ رَمْـلٍ أَوْ بِـحَـزْنانَ خَالِيَا[٣]

يُـثِـيـرُ وَيُـبْـدِي عَـنْ عُـرُوقٍ كَـأنَّـهـا ... أَعِـنَّـةُ خَـرَّازٍ جَـدِيـداً وَبَـالِـيـاً

يُـنَـحِّـي تُـرَابـاً عَـنْ مَـبِـيتٍ وَمَـكْـنِـسٍ ... رُكَـامـاً كَـبَـيْـتِ الـصَّـيْـدَنَـانِيِّ دانِـيا[٤]

فَـصَـبَّـحَـهُ الـرَّامِـي مِـنَ الْـغَـوْثِ غُـدْوَةً ... بِـأَكْـلُـبِـهِ يُـغْـرِي الْـكِـلابَ الـضَّـوَارِيـا

فَـجَـالَ عَـلَـى وَحْـشِـيِّـهِ وَتَـخَـالُـهُ ... عَـلَـى مَـتْـنِـهِ سِـبـاً جَـدِيـداً يَـمَـانِـيـا

يَـذُودُ ذِيَـادَ الْـخَـامِـسَـاتِ وَقَـدْ بَـدَتْ ... سَـوابِـقُـهـا مِـنَ الْـكِـلابِ غَـوَاشِـيا[٥]

فَـدَعْ ذَا، وَلَـكِـن هَـلْ تَـرَى ضَـوْءَ بارِقٍ ... يُـضِـيءُ حَـبِـيّـاً مُـنْـجِـداً مُـتَـعَـالِـيـا[٦]

يُـضِـيءُ سَـنَـاهُ الْـهَـضْـبَ هَـضْـبَ «مُـتَـالِـعٍ» ... وَحُـبَّ بِـذاكَ الْـهَـضْـبِ لَـوْ كَـانَ دَانِـيا[٧]

نَـعِـمْـتُ بِـهِ عَـيْـنـاً وَأَيْـقَـنْـتُ أَنَّـهُ ... يَـحُـطُّ الْـوُعُـولَ وَالـصُّـخُـورَ الـرَّوَاسِـيَا

فَـمَـا حَـرَّكَـتْـهُ الـرِّيـحُ حَـتَّـى حَـسِـبْـتُـهُ ... «بِـحَـرَّةِ لَـيْـلَـى» أَوْ «بِـنَـخْـلَـةَ» ثَـاوِيَـا[٨]

---

(١) المروَّحُ: من المرح، وقيل هو المغمور بالطيب والعطر، وصام النهار: طال، والقتود: من أدوات الرَّحْل.

(٢) شبوباً: إذا رفع قوائمه الأمامية، وهنا وصف للناقة أو الفرس.

(٣) ليلةٌ ذات قرة: ليلة باردة، والوعساءُ: الأرضُ الليِّنةُ ذات الرَّمْلِ، والْحَزْنَان: الأرضُ الغليظةُ، وهو موضعٌ في الجزيرة.

(٤) المكنسُ: الموضعُ الذي تأوي إليه الظباءُ، والصَّيدنانيُّ: الثعلب.

(٥) الخامساتُ: الإبل إذا جاءت الماء بعد المنع لخمسة أيام، فتكون شديدة العطش يصعب منعها وذودها عن الماء.

(٦) الحبيُّ: السَّحاب المتراكم، ومنجد: ظهر من ناحية نجد، وقيل هو المرتفع.

(٧) متالعُ: اسم جبل.

(٨) حَرَّةُ ليلى: اسم موضع، والحرار في الجزيرة كثيرة، فكلُّ أرضٍ ذات حجارة =

فَمَرَّ عَلى الأَنْهَاءِ فالتَجَّ مُزْنُهُ فَعَقَّ طَوِيلاً يَسْكُبُ الْمَاءَ سَاجِيَا[1]

رُكَاماً يَسُحُّ الْمَاءَ مِنْ كُلِّ فِيقَةٍ كَمَا سُقْتَ مَنْكُوبَ الدَّوابِرِ حَافِيا[2]

ومَرَّ عَلى الأَجْبَالِ أَجْبَالِ طَيِّئٍ فَغَادَرَ بِالْقِيعَانِ رَنْقاً وَصَافِيَا[3]

أَجَشُّ هَزِيمٌ سَيْلُهُ مَعَ وَدْقِهِ تَرَى خَشَبَ الغُلَّانِ فِيهِ طَوَافِيا[4]

لَهُ فُرَّقٌ مِنْهُ يُنَتَّجْنَ حَوْلَهُ يُفَقِّئْنَ بِالْمِيثِ الدِّمَاثِ السَّوابِيا[5]

فَلَمَّا تَدَلَّى لِلْجِبَالِ وَأَهْلِهَا وَأَهْلِ الْفُرَاتِ قَاطَعَ الْبَحْرَ مَاضِيَا

أَثَارَ خَنَازِيرَ السَّوَادِ ارْتِجَازُهُ وَجَادَتْ أَعَالِيهِ الْعَقِيقَ الْمُعَالِيا[6]

بَكَى شَجْوَهُ وَاغْتَاظَ حَتَّى حَسِبْتُهُ مِنَ الْبُعْدِ لَمَّا جَلْجَلَ الرَّعْدُ حَادِيَا

فَأَصْبَحَتِ الثِّيرَانُ غَرْقَى وَأَصْبَحَتْ نِسَاءُ تَمِيمٍ يَلْتَقِطْنَ الصَّيَاصِيا[7]

= سوداء سميت حَرَّة، ونخلة: موضع بين مكة والطائف.

(١) عقَّ السَّحاب: دفع ماءه، وكلُّ شقٍّ أو خرقٍ هُو عُقٌّ، والأنهاء: غدران المياه، وساجيا: فاتر.

(٢) الفيقةُ: كلُّ مُجتمعٍ للسَّحاب، وجمعها أفاويق: وهي ما اجتمع في السَّحاب من ماء، فهو يمطر فيقةً بعد فيقة، أي ساعةً بعد ساعة، ومنكوب الدوابرُ: الفرس التي تحاول العدولَ عن طريقها بسبب كثرة الحجر تحت حافرها.

(٣) الرنقُ: تراب وشوائب في الماء.

(٤) أجشّ: يقصد به شدة صوت الرعد، وهزيمٌ: متدفِّقٌ، والودقُ: المطر: والغلان: نوعٌ من الأشجار ينبت في الأودية، وطوافيا: طافيات على السَّيل.

(٥) يفقئنَ: يشققن، والمِيثُ الدِّماثُ: الرِّمَالُ الليِّنةُ، وهو يصفُ السَّحابةَ ويشبِّهُهَا بالناقةِ التي يأتيها المخاضُ فتفارقُ أهلها لتلدَ، ولا يعرف مكانُها فهي فارِق.

(٦) العقيقُ: ما يشقُّه السَّيل، على الأرض.

(٧) الصياصي: صنَّارةُ الحائكِ والنَّسَّاجِ، وهي تصنع أساساً من قرون البقر، ويقصد بها هنا أن النساء يلتقطن قرون البقر الميتة في السَّيل ليجعلنها صياصي، وهذا البيت =

وَإِلاَّ فَخَوٌّ حِينَ تَنْدَى دِمَاثُهُ   عَلَيَّ حَرَامٌ حِينَ أُصْبِحَ غَادِيَا[1]
فَإِنْ تَرتَحِلْ شَاماً فَشَاماً نَوَدُّه   وَإِنْ يَمَناً فَالْقَلْبُ صَبٌّ يَمَانِيَا

= يردُ في شعر النابغة.

(١) خوٌّ: كثيب رملي بنجد ويوم خوٍّ: من أيام القتال في تاريخ العرب.

سُوَيْدُ بنُ أبِي كَاهِل

يَتِيْمَةُ الْجَاهِلِيَّةِ

سُوَيْدُ بنُ أَبِي كَاهِلٍ الْيَشْكُرِيّ، شَاعِرٌ مِنْ شُعَرَاءِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي الْعِرَاقِ، دَخَلَ الإِسْلامَ، سُجِنَ لِهَجَائِهِ قَوْمَهُ. قَصِيْدَتُهُ هَذِهِ فَضَّلَهَا الأَصْمَعِيُّ، وَقَالَ: الْعَرَبُ تُفَضِّلُهَا وَتُقَدِّمُهَا وَتَعُدُّهَا مِنْ حِكَمِهَا. وَأَضَافَ: كَانَتْ فِي الْجَاهلِيَّةِ تُسَمَّى: «الْيَتِيْمَةُ» وَوَصَفَهَا الْخَالِدِيَّانِ فِي «الأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ» بِأَجْوَدِ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، بَلْ قَدَّمَاهَا عَلَى سَائرِ قَصَائِدِهِمْ. يُمْكِنُ الْقَوْلُ عنْ يَتِيْمَةِ سُويدٍ هَذِهِ بِأَنَّها «مُعَلَّقَةٌ مُغْفَلَةٌ» فَهَذِهِ الْقَصِيْدَةُ، الَتِي تَفُوْقُ فِي عَدَدِ أَبْيَاتِهَا عَدَدَ أبْيَاتِ الْمُعَلَّقَاتِ الطُّوَالِ كَمُعَلَّقِة طَرَفَةَ، والْحَارِثِ بِنِ حِلِزَةَ، وَامْرِئِ الْقَيْسِ، وَعَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ، جَمَعَتْ كُلَّ الأَغْرَاضِ الشِّعْرِيَّةِ تَقْرِيْباً، مِنْ غَزَلٍ نَادِرٍ، وَوَصْفٍ بَاهِرٍ، وَهِجَاءٍ سَاخِرٍ، وَفَخْرٍ، وَرِحْلَةٍ، وَجَسَّدَتْ كُلَّ ذَلِكَ فِي بنِاِء مُحْكَمٍ وَشَاعرِيَّةٍ عَالِيَةٍ.

بَسَطَتْ رَابِعَةُ الْحَبْلَ لَنَا فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعْ
حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيتاً وَاضِحاً كَشُعَاعِ الشَّمْسِ فِي الْغَيْمِ سَطَعْ[1]

---

(١) الشتيتُ: الثغر الأفلج الأسنان، أي بين أسنانه مفرق.

صَقَلَتْهُ بِقَضِيبٍ نَاضِرٍ مِنْ أَرَاكٍ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَعْ
أَبْيَضَ اللَّوْنِ لَذِيذاً طَعْمُهُ طَيِّبَ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَعْ
تَمْنَحُ الْمَرْآةَ وَجْهاً وَاضِحاً مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي الصَّحْوِ ارْتَفَعْ
صَافِيَ اللَّوْنِ وَطَرْفاً سَاجِياً أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ مَا فِيهِ قَمَعْ[1]
وَقُرُوناً سَابِغاً أَطْرَافُهَا غَلَّلَتْهَا رِيحُ مِسْكٍ ذِي فَنَعْ[2]
هَيَّجَ الشَّوْقَ خَيَالٌ زَائِرٌ مِنْ حَبِيبٍ خَفِرٍ فِيهِ قَدَعْ[3]
شَاحِطٍ جَازَ إِلَى أَرْحُلِنَا عُصَبَ الْغَابِ طُرُوقاً لَمْ يُرَعْ[4]
آنِسٍ كَانَ إِذَا مَا اعْتَادَنِي حَالَ دُونَ النَّوْمِ مِنِّي فَامْتَنَعْ
وَكَذَاكَ الْحُبُّ مَا أَشْجَعَهُ يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَيَعْصِي مَنْ وَزَعْ[5]
فَأَبِيتُ اللَّيْلَ مَا أَرْقُدُهُ وَبِعَيْنَيَّ إِذَا نَجْمٌ طَلَعْ
وَإِذَا مَا قُلْتُ لَيْلٌ قَدْ مَضَى عَطَفَ الأَوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعْ
يَسْحَبُ اللَّيْلُ نُجُوماً ظُلَّعاً فَتَوَالِيهَا بَطِيئَاتُ التَّبَعْ[6]
وَيُزَجِّيهَا عَلَى إِبْطَائِهَا مُغْرَبُ اللَّوْنِ إِذَا اللَّوْنُ انْقَشَعْ
فَدَعَانِي حُبُّ سَلْمَى بَعْدَمَا ذَهَبَ الْجِدَّةُ مِنِّي وَالرَّيَعْ[7]

---

(١) القمعُ: الشوائب واحمرار العين.

(٢) الفنعُ: المسك ذو الرائحة الزكية.

(٣) امرأةٌ قَدَعٌ: قليلة الكلام حيية.

(٤) الشاحطُ: بعيد الدار، وعصب الغاب: أشجار الغابات الكثيفة، أي: اجتازها في الليل دون خوف.

(٥) الوزعُ: الولع.

(٦) نجومٌ ظلع: نجومٌ في سيرها غمز وعرج واضح، والتبع: التي تتبعها.

(٧) الجِدَّة: الجديد والرَّيَع: من الريعان وهو مقتبل العمر.

خَبَّلَتْنِي ثُمَّ لَمَّا تُشْفِنِي فَفُؤَادِي كُلَّ أَوْبٍ مَا اجْتَمَعْ

وَدَعَتْنِي بِرُقَاهَا إِنَّهَا تُنْزِلُ الأَعْصَمَ مِنْ رَأْسِ الْيَفَعْ[1]

تُسْمِعُ الْحُدَّاثَ قَوْلاً حَسَناً لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يُسْتَمَعْ

كَمْ قَطَعْنَا دُونَ سَلْمَى مَهْمَهاً نَازِحَ الْغَوْرِ إِذَا الآلُ لَمَعْ[2]

فِي حَرُورٍ يُنْضِجُ اللَّحْمَ بِهَا يَأْخُذُ السَّائِرَ فِيهَا كَالصَّقَعْ[3]

وَتَخَطَّيْتُ إِلَيْهَا مِنْ عِدًى بِزِمَاعِ الأَمْرِ وَالْهَمِّ الْكَنِعْ[4]

وَفَلَاةٍ وَاضِحٍ أَقْرَابُهَا بَالِيَاتٍ مِثْلَ مُرْفَتِّ الْقَزَعْ[5]

يَسْبَحُ الآلُ عَلَى أَعْلَامِهَا وَعَلَى الْبِيدِ إِذَا الْيَوْمُ مَتَعْ[6]

فَرَكِبْنَاهَا عَلَى مَجْهُولِهَا بِصِلَابِ الأَرْضِ فِيهِنَّ شَجَعْ[7]

كَالْمَغَالِي عَارِفَاتٍ لِلسُّرَى مُسْنَفَاتٍ لَمْ تُوَشَّمْ بِالنَّسَعْ[8]

---

(١) الأعصمُ: الغراب الذي يكون في جناحه ريشٌ أبيض، وقيل هو الوَعْلُ الذي ذراعاه بيضاء وكلاهما من النوادر، واليفع: الأعالي.

(٢) المهمهُ: القفارُ، والآلُ: السَّراب.

(٣) الحرور: من الحرارة وهو جَمعُها، والصَّقْعُ: الضربُ على الرأس، وهو مجازٌ هُنا أي ضربه الحرُّ على رأسِهِ لشدَّته.

(٤) الزِّماع: العزم على الأمر والهمُّ الكَنِع: بمعنى الهم الدائم والمتجمع.

(٥) المرفتُّ: من الرفات وهو الحطام: والقزع من الصوف: ما تناثف في الربيع فسقط، والقَزَعُ أيضاً: قطع متفرقة من السَّحاب.

(٦) متعَ: أرتفع وطال.

(٧) الشجعُ في الخيل والإبل: سرعة القوائم.

(٨) المغالي: المرامي الذي يباري برمي السِّهام وهنا يصف سرعة الخيول، ومُسنفات: الخيول حين توضع الأسنفة «الأحزمة» على بطنها إذا ضمرت، والنسعُ: زمام الخيول حينَ يُضفرُ على صدرها.

فَتَراها عُصُفاً مُنْتَعِلَةً   بِنِعَالِ القَيْنِ يَكْفِيهَا الوَقَعْ[1]

يَدَّرِعْنَ اللَّيلَ يَهْوِينَ بِنَا   كَهُوَى الْكُدْرِ صَبَّحْنَ الشَّرَعْ[2]

فَتَنَاوَلْنَ غِشَاشاً مَنْهَلاً   ثُمَّ وَجَّهْنَ لأَرْضٍ تُنْتَجَعْ[3]

مِنْ بَنِي بَكرٍ بِهَا مَمْلَكَةٌ   مَنْظَرٌ فِيهِمْ وَفِيهِمْ مُسْتَمَعْ

بُسُطُ الأَيْدِي إِذَا مَا سُئِلُوا   نُفُعُ النَّائِلِ إِنْ شَيءٌ نَفَعْ[4]

مِنْ أُنَاسٍ لَيسَ مِنْ أَخلاقِهِمْ   عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلاَ سُوءُ الْجَزَعْ

عُرُفٌ لِلحَقِّ مَا نَعْيَا بِهِ   عِنْدَ مُرِّ الأَمْرِ مَا فِينَا خَرَعْ[5]

وَإِذَا هَبَّتْ شِمَالاً أَطْعَمُوا   فِي قُدُورٍ مُشْبَعَاتٍ لَمْ تُجَعْ

وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي مُلِئَتْ   مِنْ سَمِينَاتِ الذُّرى فِيهَا تَرَعْ[6]

لاَ يَخَافُ الْغَدْرَ مَنْ جَاوَرَهُمْ   أَبَداً مِنْهُمْ وَلاَ يَخْشَى الطَّبَعْ[7]

وَمَسَامِيحُ بِمَا ضُنَّ بِهِ   حَاسِرُوا الأَنْفُسِ عَنْ سُوءِ الطَّمَعْ

---

(١) القينُ: الحداد، ونعال القين الحدوات.

(٢) الكدرُ: القطا، والشرع: موارد الماء، أراد تشبيه مشيهم أو مشيَ الْخُبول بِهم، كلهفة القَطَا التي تأتي في الصباح إلى مناهل الماء لتشرب.

(٣) غشاشاً على عجل: يقصد أن القطا تأتي المنهل وتشرب بسرعة ثم تطير لأرض ملأئ بالعشب.

(٤) النائلُ: السَّخي في العطاء، الجواد.

(٥) الْخرعُ: الضعف.

(٦) الْجِفان: جَمْعُ جَفْنة: وعاءٌ كبيرٌ للطعام، والجوابي: حوض كبير والمعنى: أوعية للطعام كالبئر في سعته، جاء في القرآن في الآية ١٣ من سورة سبأ ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾.

(٧) الطبعُ: الدنس والتلطخ في العرض.

حَسَنُو الأَوْجُهِ بِيضٌ سَادَةٌ   وَمَرَاجِيحُ إِذَا جَدَّ الفَزَعْ[1]
وُزُنُ الأَحْلاَمِ إِنْ هُمْ وازَنُوا   صَادِقُوا البَأْسِ إِذَا البَأْسُ نَصَعْ
وَلُيُوثٌ تُتَّقَى عُرَّتُهَا   سَاكِنُو الرِّيحِ إِذَا طَارَ القَزَعْ[2]
فَبِهُمْ يُنْكَى عَدُوٌّ وَبِهِمْ   يُرْأَبُ الشَّعْبُ إِذَا الشَّعْبُ انْصَدَعْ
عَادَةٌ كَانَتْ لَهُمْ مَعْلُومَةٌ   فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ لَيْسَتْ بِالبِدَعْ
وَإِذَا مَا حُمِّلُوا لَمْ يَظْلَعُوا   وَإِذَا حَمَّلْتَ ذَا الشَّقِّ ظَلَعْ[3]
صَالِحو أَكْفَائُهُم خُلاَّنُهُم   وَسَرَاةُ الأَصْلِ وَالنَّاسُ شِيَعْ
أَرَّقَ العَيْنَ خَيَالٌ لَمْ يَدَعْ   مِنْ سُلَيْمَى فَفُؤَادِي مُنْتَزَعْ
حَلَّ أَهْلِي حَيْثُ لاَ أَطْلُبُهَا   جَانِبَ الحَضْرِ وَحَلَّتْ بِالفَرَعْ[4]
لاَ أُلاَقِيهَا وَقَلْبِي عِنْدَهَا   غَيْرَ إِلْمَامٍ إِذَا الطَّرْفُ هَجَعْ
كَالتُّؤَامِيَّةِ إِنْ بَاشَرْتَهَا   قَرَّتِ العَيْنُ وَطَابَ المُضْطَجَعْ[5]
بَكَرَتْ مُزْمِعَةً نِيَّتُهَا   وَحَدَا الحَادِي بِهَا ثُمَّ انْدَفَعْ
وَكَرِيمٌ عِنْدَهَا مُكْتَبَلٌ   غَلِقٌ إِثْرَ القَطِينِ المُتَّبَعْ[6]

---

(١) مراجيحُ: قومٌ مراجيحُ: يرجُحُون الحلم عند الغضب.

(٢) عُرَّتُها: صوتها إذا استشاط بها الغضب. القزع: السَّحاب المتفرق، كلطخة في السَّماء تشبه الظلّ.

(٣) لَمْ يظلعوا: لم ينوءوا بحملهم، وذو الشق، الجبل.

(٤) الْحَضْرُ: مدينة عربية قديمة تقع على بعد ٨٠ كيلومترا جنوب الموصل الحالية، والفرع: تقع بين الكوفة والبصرة.

(٥) التؤاميةُ: قصبة على ساحل عمان، ولها ينسب الدر والصدف واللؤلؤ، وهو أسم للؤلؤ أساساً.

(٦) مكتبلٌ: مقيد بالأكبال للمجاز، غلق: ملازمٌ لا يفارق: يقال لكل شيء نَشِبَ في شيء فلزمه قد غَلِقَ، غَلِقَ في الباطل، وغَلِقَ في البيع، القطين: القاطن في الدار.

فَكَأنّي إذْ جَرَى الآلُ ضُحىً … فَوْقَ ذَيّالٍ بِخَدَّيْهِ سَفَعْ[1]
كَفُّ خَدَّاهُ عَلَى دِيبَاجَةٍ … وَعَلَى المَتْنَيْنِ لَوْنٌ قَدْ سَطَعْ
يَبْسُطُ المَشْيَ إذَا هَيَّجْتَهُ … مِثْلَ ما يَبْسُطُ فِي الخَطْوِ الذَّرَعْ
راعَهُ مِنْ طَيِّئٍ ذُو أَسْهُمٍ … وَضِرَاءٌ كُنَّ يُبْلِينَ الشَّرَعْ[2]
فَرَآهُنَّ وَلَمَّا يَسْتَبِنْ … وَكِلابُ الصَّيْدِ فِيهِنَّ جَشَعْ
ثُمَّ وَلَّى وَجَنَابَانِ لَهُ … مِنْ غُبَارٍ أَكْدَرِيٍّ وَاتَّدَعْ[3]
فَتَرَاهُنَّ عَلَى مُهْلَتِهِ … يَخْتَلِينَ الأَرْضَ وَالشَّاةُ يَلَعْ[4]
دَانِيَاتٍ مَا تَلَبَّسْنَ بِهِ … وَاثِقَاتٍ بِدِمَاءٍ إنْ رَجَعْ
يُرْهِبُ الشَّدَّ إذَا أَرْهَقْنَهُ … وَإذَا بَرَّزَ مِنْهُنَّ رَبَعْ[5]
سَاكِنُ القَفْرِ أَخُو دَوِّيَّةٍ … فَإذَا مَا آنَسَ الصَّوْتَ امَّصَعْ[6]

* * *

كَتَبَ الرَّحْمَنُ وَالحَمْدُ لَهُ … سَعَةَ الأَخْلاقِ فِينَا وَالضَّلَعْ[7]
وَإبَاءً لِلدَّنِيَّاتِ إذَا … أُعْطِيَ المَكْثُورُ ضَيْماً فَكَنَعْ[8]

---

(١) ذيالٌ: طويل الذنب، والسَّفع: السَّواد، وقيل هو سوادٌ مُشرَّبٌ بِحُمرَةٍ، وهو هنا يصف الثَّوْرَ الوَحْشِيَّ.

(٢) الضراءُ: من الضراوة، وهي الكلاب التي اعتادت الصيد، والشَّرَع: التمزيق والسَّلخ.

(٣) الاكدريّ: ذُو كدرة غير صاف: واتدع: مشى بدِعَة وراحة.

(٤) يلع: لا يعدو بجد، فكأنه يلعب.

(٥) رَبَعَ: لَبِثَ في مكانه ووقف خائفاً.

(٦) الدَّوِيَّةُ: الفلاة، وامصع: انسحب بسرعة.

(٧) الضَلَعُ: القوة واحتمال الثقيل.

(٨) : رجلٌ مَكْثُور عليه: إذا كَثُرَتْ عليه الحقوقُ والمطالَبات، عنده جمع من الناس يسألونه عن أشياء فكأن لهم عليها حقوقاً فهم يطلبونها، وفي حديث مقتل الإمام الحسين: «ما=

وبِنَاءٌ لِلْمَعَالِي إنَّمَا يَرْفَعُ اللهُ وَمَنْ شَاءَ وَضَعْ
نِعَمٌ لِلّهِ فِينَا رَبَّهَا وَصَنِيعُ اللهِ وَاللهُ صَنَعْ[1]
كَيفَ بِاسْتِقْرَارِ حُرٍّ شَاحِطٍ بِبِلادٍ لَيسَ فِيهَا مُتَّسَعْ[2]
لا يُرِيدُ الدَّهْرَ عَنْهَا حِوَلاً جُرَعَ الْمَوْتِ وَلِلْمَوْتِ جُرَعْ
رُبَّ مَنْ أَنضَجْتُ غَيظاً قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِيَ مَوتاً لَمْ يُطَعْ
وَيَرانِي كَالشَّجا فِي حَلْقِهِ عَسِراً مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعْ
مُزْبِدٌ يَخْطِرُ ما لَمْ يَرَنِي فَإذَا أَسْمَعْتُهُ صَوتِي انْقَمَعْ
قَدْ كَفَانِي اللهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَتَى مَا يَكْفِ شَيئاً لا يُضِعْ
بِئْسَ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِي مَطْعَمٌ وَخْمٌ وَدَاءٌ يُدَّرَعْ
لَمْ يَضِرْنِي غَيرَ أَنْ يَحْسُدَنِي فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ مَا يَزْقُو الضُّوَعْ[3]
وَيُحَيِّينِي إذَا لاقَيتُهُ وَإذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعْ
مُسْتَسِرُّ الشَّنْءِ لَوْ يَفْقِدُنِي لَبَدَا مِنْهُ ذُبَابٌ فَنَبَعْ[4]
سَاءَ مَا ظَنُّوا وَقَدْ أَبْلَيتُهُم عِنْدَ غَايَاتِ الْمَدَى كَيفَ أَقَعْ
صَاحِبُ الْمِئْرَةِ لا يَسْأَمُهَا يُوقِدُ النَّارَ إذَا الشَّرُّ سَطَعْ[5]

= رأينا مَكْثُوراً أَجْرَأ مُقْدَماً منه» والمكثور: المغلوب، وهو الذي تكاثر عليه الناس فقهروه، أي: ما رأينا مقهوراً أجْرَأ إقداماً منه، وكَتَعَ: بمعنى ضَعُفَ ولان.

(١) ربّها: أصلحها وأتمّها.

(٢) الشاحطُ: البعيد والمضطرب وهي هنا بالمعنى الثاني.

(٣) يزقو: يصيح ويصدح، والضُّوَع: طائرٌ أصغرُ من البومة من طيورِ اللّيل إذا أَحَسَّ بالصّباح صَدَح.

(٤) الشنءُ: البغض، أي يخفي لي الكراهية.

(٥) المئرةُ: العداوة.

أَصْقَعُ النَّاسَ بِرَجْمٍ صَائِبٍ   لَيْسَ بِالطَّيْشِ وَلاَ بِالْمُرْتَجَعْ

فَارِغُ السَّوْطِ فَمَا يَجْهَدُنِي   ثَلِبٌ عَوْدٌ وَلاَ شَخْتٌ ضَرَعْ(١)

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا   لاَحَ فِي الرَّأْسِ بَيَاضٌ وَصَلَعْ(٢)

وَرِثَ الْبِغْضَةَ عَنْ آبَائِهِ   حَافِظُ الْعَقْلِ لِمَا كَانَ اسْتَمَعْ(٣)

فَسَعَى مَسْعَاتَهُمْ فِي قَوْمِهِ   ثُمَّ لَمْ يَظْفَرْ وَلاَ عَجْزاً وَدَعْ(٤)

زَرَعَ الدَّاءَ وَلَمْ يُدْرِكْ بِهِ   تِرَةً فَاتَتْ وَلاَ وَهْياً رَقَعْ(٥)

مُقْعِياً يَرْمِي صَفَاةً لَمْ تُرَمْ   فِي ذُرَى أَعْيَطَ وَعْرِ الْمُطَّلَعْ(٦)

مَعْقِلٌ يَأْمَنُ مَنْ كَانَ بِهِ   غَلَبَتْ مَنْ قَبْلَهُ أَنْ تُقْتَلَعْ

غَلَبَتْ عَاداً وَمَنْ بَعْدَهُمْ   فَأَبَتْ بَعْدُ فَلَيْسَتْ تُتَّضَعْ(٧)

لاَ يَرَاهَا النَّاسُ إِلاَّ فَوْقَهُمْ   فَهْيَ تَأْتِي كَيْفَ شَاءَتْ وَتَدَعْ

وَهْوَ يَرْمِيهَا وَلَنْ يَبْلُغَهَا   رِعَةَ الْجَاهِلِ يَرْضَى مَا صَنَعْ(٨)

كَمِهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى ابْيَضَّتَا   فَهْوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعْ(٩)

---

(١) ثَلِبٌ: خائرٌ، والعَوْدُ: الْمُسِنُّ الْهَرِمُ من الإبل، وشَخْتٌ: هَزِيلٌ.

(٢) السِّقاطُ: العثرةُ والزَّلَّةُ.

(٣) البِغضةُ: شدَّةُ البغض.

(٤) وَدَعَ: تَرَكَ.

(٥) التِرَةُ: من الوَتْر، وهو الثأرُ: والوهي: الشقُّ في الشيء.

(٦) الإقعاءُ: أن يلصق الرجل إليتيه بالأرض، وينصب ساقيه، ويضع يديه بالأرض. والصفاة: الحصاة، والأعيط: العالي والطويل، ويريد به هنا سورَ قصر منيف.

(٧) تتَّضعُ: تهبط وتنخفض.

(٨) رِعةُ الجاهل: حالته.

(٩) الأكْمَهُ: الذي يولد أعمى، وقد استعار سويد اللفظ فجعل العمى عارضاً.

إِذْ رَأَى أَنْ لَمْ يَضِرْهَا جَهْدُهُ ... وَرَأَى خَلْقَاءَ مَا فِيهَا طَمَعْ[1]

تَعْضِبُ الْقَرْنَ إِذَا نَاطَحَهَا ... وَإِذَا صَابَ بِهَا الْمِرْدَى انْجَزَعْ[2]

وَإِذَا مَا رَامَهَا أَعْيَا بِهِ ... قِلَّةُ الْعُدَّةِ قِدْمَاً وَالْجَدَعْ[3]

وَعَدُوٌّ جَاهِدٍ نَاضَلْتُهُ ... فِي تَرَاخِي الدَّهْرِ عَنْكُم وَالْجُمَعْ

فَتَسَاقَيْنَا بِمُرٍّ نَاقِعٍ ... فِي مَقَامٍ لَيْسَ يَثْنِيهِ الْوَرَعْ

وَارْتَمَيْنَا وَالأَعَادِي شُهَّدٌ ... بِنِبَالٍ ذَاتِ سُمٍّ قَدْ نَقَعْ

بِنِبَالٍ كُلُّهَا مَذْرُوبَةٌ ... لَمْ يُطِقْ صَنْعَتَهَا إِلاَّ صَنَعْ[4]

خَرَجَتْ عَنْ بِغْضَةٍ بَيِّنَةٍ ... فِي شَبَابِ الدَّهْرِ وَالدَّهْرُ جَذَعْ[5]

وَتَحَارَضْنَا وَقَالُوا إِنَّمَا ... يَنْصُرُ الأَقْوَامُ مَنْ كَانَ ضَرَعْ[6]

ثُمَّ وَلَّى وَهْوَ لاَ يَحْمِي اسْتَهُ ... طَائِرُ الإِتْرَافِ عَنْهُ قَدْ وَقَعْ[7]

سَاجِدَ الْمَنْخِرِ لاَ يَرْفَعُهُ ... خَاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ الْمُسْتَمَعْ

فَرَّ مِنِّي هَارِباً شَيْطَانُهُ ... حَيْثُ لاَ يُعْطِي وَلاَ شَيْئاً مَنَعْ

فَرَّ مِنِّي حِينَ لاَ يَنْفَعُهُ ... مُوقَرَ الظَّهْرِ ذَلِيلَ الْمُتَّضَعْ[8]

---

(١) الخلقاءُ: الملساء.

(٢) تعضب: تكسر والمِرْدى: حجرٌ يُرمَى به، ومنه قيل للرجل الشجاع: إنّه لمِردى حروبٍ، وهم مَرادي الحروب، وانجزع: انكسر من وسطه، تقول انجزع الرمح: إذا انكسر نصفين.

(٣) الجدعُ: قلة الغذاء وسوؤه.

(٤) مذروبةٌ: حادة.

(٥) الجذعُ: الصغير السِّنّ، أو مقتبل العمر، وهو هنا استعارة للدَّهر.

(٦) وتحارضنا: حضَّ بعضُنا بعضاً، على القتال والاشتباك، وضرع: ضَعُفَ وَخَضع.

(٧) استه: عجيزته ومؤخرته. والإتراف: أُتْرِفَ فلانٌ: أَصَرَّ عَلَى الْبَغْيِ.

(٨) موقرُ الظهر: ثقيل الظهر يمشي بصعوبة، والمتضع: مِنْ اتضعَ، وهو نقيضُ

وَرَأَى مِـنِّـي مَـقَـامَـاً صَـادِقـاً ثَـابِـتَ الْـمَـوْطِـنِ كَـتَّـامَ الْـوَجَـعْ
وَلِـسَـانـاً صَـيْـرَفِـيّـاً صَـارِمَـاً كَحُسَامِ السَّيفِ - مَا مَسَّ - قَطَعْ[1]
وَأَتَـانِـي صَـاحِـبٌ ذُوْ غَـيَـثٍ زَفَيَانٌ عِـنْـدَ إِنْفَـادِ الْـقُـرَعْ[2]
قَـالَ لَـبَّـيْـكَ وَمَـا اسْـتَـصْـرَخْـتُـهُ حَـاقِـراً لِـلـنَّـاسِ قَـوَّالَ الْـقَـذَعْ[3]
ذُوْ عُـبَـابٍ زَبِـدٌ آذِيُّـهُ خَـمِـطُ التَّـيَّـارِ يَـرْمِـي بِـالْـقَـلَـعْ[4]
زَغْـرَبِـيٌّ مُـسْـتَـعِـزٌّ بَـحْـرُهُ لَـيْـسَ لِـلْـمَـاهِـرِ فِـيـهِ مُـطَّـلَـعْ[5]
هَـلْ سُـوَيْـدٌ غَـيْـرُ لَـيْـثٍ خَـادِرٍ ثَـئِـدَتْ أَرْضٌ عَـلَـيْـهِ فَـانْـتَـجَـعْ[6]

الارتفاع، أي ذليل في جلوسه.

(١) الصَّيْرَفِيُّ المحتال المُتقلب في أُموره المُتَصرِّفُ في الأُمور المُجَرِّب لها.

(٢) زفيان: سريع استعاره من «زفيان الريح» وهو شدَّة هبوبها، وإنفاد: من نفد الشيء: فني وانتهى، والقرع: جَمْعُ قُرعة، وهي قربة الماء.

(٣) حاقرٌ للناس: محتقراً لهم، والقذع: الكلام الفاحش السَّيئ.

(٤) الآذيُّ: الموج: وخمط: ملتطم، وبحر خمط الموج: ملتطمها، والقلع: الصخور.

(٥) الزغربُ: الماء الكثير، وياء النسبة في زغربي للمبالغة، ومستعز: من العزة والقوة، أي بحر عصي على العبور، ومُطَّلع: مَخرج.

(٦) أرضٌ ثئدة: أرض رطبة وندية.

مَالكُ بنُ الرَّيْب

خَيالُ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ

كَانَ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ لِصّاً فَاتِكاً، عَاشَ فِي بِدَايَةِ الْعَصْرِ الأُمَوِيِّ، وَلَمَّا وَلَّىٰ مُعَاوِيَةُ سَعِيْدَ بنَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ خُرَاسَانَ، لَقِيَ فِي طَرِيْقِهِ ابْنَ الرَّيْبِ، فَأَقْنَعَهُ بِتَرْكِ قَطْعِ الطَّرِيْقِ وَالذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى خُرَاسَانَ بَعْدَ أَنْ أَغْرَاهُ بِالْمَالِ.

وَثَمَّةَ رِوَايَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ تُسَاقُ عَنْ طَرِيْقَةِ مَوْتِهِ، إِذْ ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَنَّ حَيَّةً لَدَغَتْهُ وَهُوَ فِي الطَّرِيْقِ إِلَى خُرَاسَانَ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِدُنُوِّ مَنِيَّتِهِ قَالَ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ، وَثَمَّةَ مَنْ قَالَ: بَلْ انَّهُ قُتِلَ بِغَزْوِ سَعِيْدٍ نَفْسِهِ، إِذْ طُعِنَ بِرُمْحٍ وَقَالَ قَصِيْدَتَهُ هَذِهِ وَهُوَ يُنَازِعُ الْمَوْتَ. لَكِنَّ أَغْرَبَ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ مَا أَوْرَدَهُ الْبَغْدَادِيُّ فِي الْخِزَانَةِ عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ الْجِنَّ هِيَ الَّتِي رَثَتْهُ لِمَا رَأَتْ مِنْ غُرْبَتِهِ وَوَحْدَتِهِ، وَوَضَعَتِ الْجِنُّ الصَّحِيْفَةَ الَّتِيْ فِيْهَا الْقَصِيْدَةُ تَحْتَ رَأْسِهِ وَوَجَدَهَا النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ!

وعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ لَيْسَتْ الأوْلَى فِي رِثَاءِ النَّفْسِ، إِذْ يَعُوْدُ مَوْضُوْعُ رِثَاءِ النَّفْسِ إِلَى الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ، حَيْثُ يُشِيْرُ أَبُوْ هِلَالٍ الْعَسكريُّ فِي «الأَوَائِلِ»، إِلَى أَنَّ الْمُمَزَّقَ الْعَبْدِيَّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ رَثَى نَفْسَهُ

فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ، إلا أنَّ قَصِيْدَةَ مَالكِ بنِ الرَّيْبِ اشْتَهَرَتْ فِي هَذَا الْمَوْضُوْعِ النَّادِرِ حَتَّى نَسَبَ صَاحِبُ الأغَانِي لأبِي عُبَيدة قَوْلَهُ إنَّ مُجْمَلَ مَا قَالَهُ ابْنُ الرَّيْبِ فِي قَصِيْدَتِهِ هُوَ ثَلاثَةَ عَشَرَ بَيْتاً لَكِنَّ إعْجَابَ النَّاسِ بَهَا جَعَلَهُمْ يُضِيْفُوْنَ لَهَا مِنْ عِنْدِهِمْ وَوَلَّدُوا لَهَا أبْيَاتاً وَمَعَانِيَ حتَّى بَلَغَتْ هَذَا الْحَجْمَ، وَفِي كُلِّ الأحْوَالِ فَإنَّ قَصيْدَةَ ابنِ الرَّيْبِ هَذِهِ تُعَدُّ مِنْ عُيُوْنِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ، وَأضْحَتْ «وَاحِدَةً» نَادِرَةً فِي تَارِيْخِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ.

أَلا لَيتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيلَةً ... بِجَنْبِ الغَضَا أُزْجِي الْقِلاَصَ النَّوَاجِيَا
فَلَيتَ الْغَضَا لَمْ يَقطَعِ الرَّكْبُ عَرْضَهُ ... وَلَيتَ الْغَضَا مَاشَى الرِّكَابَ لَيَالِيَا
وَلَيتَ الغَضا يَوْمَ ارتَحَلْنَا تَقَاصَرَتْ ... بِطُوْلِ الْغَضَا حَتَّى أَرَى مَنْ وَرَائِيَا
لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَا لَوْ دَنَا الْغَضَا ... مَزَارٌ وَلَكِنَّ الغَضَا لَيسَ دَانِيَا
أَلَمْ تَرَنِي بِعتُ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى ... وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا
وَأَصْبَحْتُ فِي أَرْضِ الأَعَادِيِّ بَعْدَما ... أرَانِيَ عَنْ أَرْضِ الأَعَادِيِّ نَائِيَا
دَعَانِي الْهَوَى مِنْ أَهْلِ أَودَ وَصُحْبَتِي ... بِذِي الطَّبَسَينِ فَالْتَفَتُّ وَرَائِيَا[1]
أَجَبْتُ الْهَوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ ... تَقَنَّعتُ مِنْهَا أَنْ أُلامَ رِدَائِيَا
أَقُوْلُ وَقَدْ حَالَتْ قُرَى الكُرْدِ بَيْنَنَا ... جَزَى اللَّهُ عَمْراً خَيرَ مَا كَانَ جَازِيَا
إِنِ اللَّهَ يُرْجِعْنِي مِنَ الغَزْوِ لا أَكُنْ ... وَإِنْ قَلَّ مَالِي ـ طَالِباً مَا وَرَائِيَا
تَقُوْلُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْ وَشْكَ رِحْلَتِي ... سِفَارُكَ هَذَا تَارِكِي لا أَبَا لِيَا
لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي ... لَقَدْ كُنتُ عَنْ بَابَيْ خُرَاسَانَ نَائِيَا
فَإِنْ أَنجُ مِنْ بَابَيْ خُرَاسَانَ لا أَعُدْ ... إِلَيهَا وَإِنْ مَنَّيتُمُوْنِي الأَمَانِيَا

---

(١) الطبسان: مدينتان من مدن خراسان، تقعان بين نيسابور وأصفهان، حسب معجم البلدان.

فـلـلّـهِ دَرّي يَـوْمَ أتـرُكُ طـائِـعـاً بَنِيَّ بِـأعْـلَـى الـرَقـمَـتَـيـنِ وَمَـالِـيَـا
وَدَرُّ الـظِّـبَـاءِ الـسَّـانِـحَـاتِ عَـشِـيّـةً يُـخَـبِّـرْنَ أنّـي هَـالِـكٌ مِـنْ وَرَائِـيَـا
وَدَرُّ كَـبِـيرَيَّ الـلَّـذَيْـنِ كِـلاهُـمَـا عَـلَيَّ شَـفِـيـقٌ نَـاصِـحٌ لَـوْ نَـهَـانِـيَـا
وَدَرُّ الـرِّجَـالِ الـشَّـاهِـدِيـنَ تَـفَـتُّـكِـي بِـأمْـرِيَ ألاَّ يُـقْـصِـرُوا مِـنْ وَثَـاقِـيَـا
وَدَرُّ الْهَوَى مِنْ حَيثُ يَدْعُو صَحَابَتِي وَدَرُّ لُـجَـاجَـتِـي وَدَرُّ انـتِـهَـائِـيَـا
تَذَكّرتُ مَن يَبكي عَلَيَّ فَلَمْ أجِدْ سِوَى السَّيفِ وَالرُّمحِ الرُّدَينِيِّ بَاكِيَا
وَأشْـقَـرَ مَـحْـبُـوكٍ يَـجُـرُّ عِـنَـانَـهُ إلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا
يُـقَـادُ ذَلِـيـلاً بَـعْـدَمَـا مَـاتَ رَبُّـهُ يُبَاعُ بِبَخْسٍ بَعْدَمَا كَانَ غَالِيَا
وَلَكِنْ بِأكْنَافِ الـسُّمَيْنَةِ نِسْوَةٌ عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الْعَشِيَّةَ مَا بِيَا
صَرِيعٌ عَلَى أيْدِي الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ يُسَوُّونَ لَحْدِي حَيثُ حُمَّ قَضَائِيَا[1]
وَلَـمَّـا تَـرَاءَتْ عِـنْـدَ مَـرْوٍ مَـنِـيَّـتِـي وَخَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا
أقُـولُ لأصْـحَـابِـي ارْفَـعُـونِـي فَـإنَّـهُ يَـقَـرُّ بِـعَـيْـنِـي أنْ سُـهَـيْـلٌ بَـدَا لِـيَـا
فَيَا صَاحِبَيْ رَحْلِي دَنَا الْمَوْتُ فَانْزِلا بِـرَابِـيَـةٍ إنِّـي مُـقِـيـمٌ لَـيَـالِـيَـا
أقِيمَا عَلَيَّ الْيَومَ أوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ وَلا تُـعْـجِـلانِـي قَـدْ تَـبَـيَّـنَ شَـانِـيَـا
وَقُومَا إذَا مَا اسْتُلَّ رُوحِي فَهَيِّئَا لِيَ الـسِّـدْرَ وَالأكْـفَـانَ عِـنْـدَ فَـنَـائِـيَـا
وَخُطَّا بِأطْرَافِ الأسِنَّةِ مَضْجَعِي وَرُدَّا عَـلَـى عَـيْـنَـيَّ فَـضْـلَ رِدَائِـيَـا
وَلاَ تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللّهُ فِيكُمَا مِنَ الأرْضِ ذَاتَ الْعَرْضِ أنْ تُوسِعَا لِيَا
خُذَانِي فَجُرَّانِي بِثَوْبِي إلَيكُمَا فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْباً قِيَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ عَطَّافاً إذَا الْخَيْلُ أدْبَرَتْ سَرِيعاً لَدَى الْهَيجَا إلَى مَنْ دَعَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ صَبَّاراً عَلَى الْقِرْنِ فِي الوَغَى ثَقِيلاً عَلَى الأعْدَاءِ عَضْباً لِسَانِيَا

---

(١) حُمَّ: قضي ما هو كائن.

وَقَدْ كُنْتُ مَحْمُوْداً لَدَى الزَّادِ وَالْقِرَى   وَعَنْ شَتْمِيَ ابْنَ العَمِّ وَالْجَارِ وَانِيَا[1]

فَطَوْراً تَرَانِي فِي ظِلالٍ وَنِعْمَةٍ   وَطَوْراً تَرَانِي وَالْعِتَاقُ رِكَابِيَا

وَيَوْماً تَرَانِي فِي رَحَىً مُسْتَدِيرَةٍ   تُخَرِّقُ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا

وَقُومَا عَلى بِئْرِ السُّمَيْنَةِ أَسْمِعَا   بِهَا الْغُرَّ وَالْبِيضَ الْحِسَانَ الرَّوَانِيَا

بِأَنَّكُمَا خَلَّفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ   تُهِيلُ عَلَيَّ الرِّيْحُ فِيهَا السَّوَافِيَا

وَلاَ تَنْسَيَا عَهْدِيْ خَلِيلَيَّ بَعْدَمَا   تَقَطَّعُ أَوْصَالِيْ وَتَبْلَى عِظَامِيَا

وَلَنْ يَعْدَمَ الْوَالُوْنَ بَثَّاً يُصِيبُهُمْ   وَلَنْ يَعْدَمَ الْمِيرَاثَ مِنِّي الْمَوَالِيَا

يَقُوْلُوْنَ لاَ تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُوْنَنِي   وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلاَّ مَكَانِيَا!

غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِيْ عَلىٰ غَدٍ   إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَأَصْبَحْتُ ثَاوِيَا

وَأَصْبَحَ مَالِيْ مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ   لِغَيْرِيْ وَكَانَ الْمَالُ بِالأَمْسِ مَالِيَا

فَيا لَيتَ شِعري هَل تَغَيَّرَتِ الرَّحا   رحا الْمُثلِ أَو أَمسَتْ بِفَلجٍ كَما هِيا

إِذَا الْحَيُّ حَلُّوْهَا جَمِيعاً وَأَنْزَلُوا   بِهَا بَقَراً حُمَّ الْعُيُوْنِ سَوَاجِيَا

رَعَيْنَ وَقَدْ كَادَ الظَّلاَمُ يُجِنُّهَا   يَسِفْنَ الْخُزَامَى مَرَّةً وَالأَقَاحِيَا

وَهَلْ أَتْرُكُ الْعِيسَ الْعَوَالِيَ بِالضُّحَى   بِرُكْبَانِهَا تَعْلُوْ الْمِتَانَ الْفَيَافِيَا

إِذَا عُصَبُ الرُّكْبَانِ بَيْنَ عُنَيْزَةٍ   وَبوْلانَ عَاجُوا الْمُبْقِيَاتِ النَّوَاجِيَا

فَيَا لَيتَ شِعْرِيْ هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ   كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالَوا نَعِيَّكِ بَاكِيَا

إِذَا مِتُّ فَاعْتَادِي الْقُبُوْرَ وَسَلِّمِيْ   عَلَى الرَّمْسِ أُسْقِيتِ السَّحَابَ الْغَوَادِيَا

عَلى جَدَثٍ قَدْ جَرَّتِ الرِّيْحُ فَوقَهُ   تُرَاباً كَسَحْقِ الْمَرنُبَانِيِّ هَابِيَا[2]

رَهِينَةُ أَحْجَارٍ وَتُرْبٍ تَضَمَّنَتْ   قَرَارَتُهَا مِنِّي الْعِظَامَ الْبَوَالِيَا

---

(١) القِرَى: الإحسان.

(٢) مرنباني: كلون الأرنب، وهَابِيَاً: من الْهَبَاء وهو: التراب الناعم.

فَيَا صَاحِبَاً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ بَنِي مَازِنٍ وَالرَّيْبَ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا
وَعَطِّلْ قَلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّها سَتَفْلِقُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيَا
وَأَبْصَرْتُ نَارَ الْمَازِنِيَّاتِ مُوهِناً بِعَلْيَاءَ يُثْنَى دُونَهَا الطَّرْفُ رَانِيَا
بِعُودِ النَّجُوجِ أَضَاءَ وَقُودُهَا مَهَاً فِي ظِلاَلِ السِّدْرِ حُوراً جَوازِيَا[1]
غَرِيبٌ بَعِيدُ الدَّارِ ثَاوٍ بِقَفْرَةٍ يَدَ الدَّهْرِ مَعْرُوفاً بِأَنْ لاَ تَدَانِيَا
تَحَمَّلَ أَصْحَابِي عَشَاءً وَغَادَرُوا أَخَا ثِقَةٍ فِي عَرْصَةِ الدَّارِ ثَاوِيَا
أُقَلِّبُ طَرْفِي فِي الرِّفَاقِ فَلاَ أَرَى بِهِ مِنْ عُيُونِ الْمُؤْنِسَاتِ مُرَاعِيَا
وَبِالرَّمْلِ مِنَّا نِسْوَةٌ لَوْ شَهِدْنَنِي بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَ الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ عِنْدِي وَأَهْلِهِ ذَمِيماً وَلاَ وَدَّعْتُ بِالرَّمْلِ قَالِيَا
فَمِنْهُنَّ أُمِّي وَابْنَتَايَ وَخَالَتِي وَبَاكِيَةٌ أُخْرَى تَهِيجُ الْبَوَاكِيَا

(١) النجوجُ: البخور.

أَبُو صَخْرٍ الْهُذَلِيّ

قَصِيْدَةُ الْمَوْتِ الأَحْمَر

شَاعِرٌ إسْلاميٌّ أُمَوِيٌّ كَانَ مُوَالِيَاً للأُمَوِيّيْنَ وَلَهُ شِعْرٌ بِمَدْحِهِمْ، وَمَعَ هَذَا كَانَتْ قَصِيْدَتُهُ هَذهِ أَمِيْرَةَ الْغِنَاءِ فِيْ مَجَالِسِ الْخُلَفَاءِ الْعبَّاسِيِّيْنَ، كَمَا انْتَحلَ النَّاسُ أَبْياتاً مِنْ شِعْرِهِ وَنَسَبُوْهَا لِعَدَدٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ العُشَّاقِ كَمَجْنُوْنِ لَيْلَى وَغَيْرِهِ.

يَقُوْلُ أبو الْفَرَجِ الأصْفَهَانِيُّ فِي «الأغَانِي»: «إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ الْمَوْصليَّ غَنَّى هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ أَمَامَ الْخَلِيْفَةِ الْعَبَاسِيِّ مُوْسَى الْهَادِي فَكَانَ يَشُقُّ جُزْءَاً مِنْ رِدَائِهِ مَعَ كُلِّ مَقْطَعٍ مِنَ الْقَصِيْدَةِ حتَّى مزَّقَ رِداءَهُ كلَّهُ لِشَدَّةِ الطَّرَب» وَيَسْتَشْهِدُ الثَّعَالِبِيُّ بِأَبْيَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ وَيقُوْل «إِنَّ النَّاسَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهَا أغزَلُ شِعْرٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ» وَلَمَّا سَمِعَ احَدُهُمْ بَعْضَ أبْيَاتِهَا قَالَ: هُوَ «الْمَوْتُ الأحْمَرُ، وَاللَّهِ مَا دُوْنَهُ شَيءٌ»كَمَا وَرَدَ فِي «أَمَالِي الْقَالِي»

لِلَيلَى بِذَاتِ الْجَيشِ دَارٌ عَرَفْتُهَا ... وَأُخرَى بِذَاتِ الْبَيْنِ آيَاتُهَا سَطْرُ[1]

كَأَنَّهُمَا مِلآنُ لَمْ يَتَغَيَّرا ... وَقَدْ مَرَّ لِلدَّارَيْنِ مِنْ عَهْدِنَا عَصْرُ

---

(١) ذات الجيش وذات البين: موضعان قرب يثرب «المدينة»

وَقَفتُ بِرَسْمَيهَا فَلمَّا تَنَكَّرَا صَدَفْتُ ـ وَعَيْنِي دَمْعُهَا سَرِبٌ هَمِرْ[1]

ألا أيُّها الرَّكْبُ الْمُخِبُّونَ هَلْ لكُمْ بِسَاكِنِ أَجْزاعِ الْحِمَى بَعْدَنَا خُبْرُ[2]

فَقَالُوا: طَوَيْنا ذَاكَ لَيْلاً، وإنْ يكُنْ بِهِ بَعْضُ مَنْ تَهْوَى فَمَا شَعَرَ السَّفْرُ

خليليَّ هَلْ يُسْتَخْبِرُ «الرِّمْثُ وَالْغَضا» وَ«طَلْحُ الكَدَا» مِنْ بَطْنِ مَرَّانَ وَالسِّدْرُ[3]

وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ لَنَا أَبَداً مَا أَوْرَقَ السَّلَمُ النَّضْرُ[4]

وَلاَ عَائِدٌ ذَاكَ الزَّمَانُ الذِي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرْ يَقَعْ وَلَكَ الشُّكْرُ

وَفِي الدَّمْعِ إنْ كَذَّبْتُ بِالْحُبِّ شَاهِدٌ يُبَيِّنُ مَا أُخْفِي كَمَا بَيَّنَ الْبَدْرُ

صَبَرْتُ فَلمَّا غَالَ نَفْسِيَ وَشَفَّهَا عَجَارِيفُ نَأْيٍ دُونَهَا غُلِبَ الصَّبْرُ[5]

إذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَلِيلَيْنِ رِدَّةٌ سِوَى ذِكْرِ شَيْءٍ قَدْ مَضَى دَرَسَ الذِّكْرُ

إذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهِيجُنِي نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيثُ يَطَّلِعُ الْفَجْرُ

أَمَا والَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ

لَقَدْ كُنْتُ آتِيهَا وَفِي النَّفْسِ هَجْرُهَا بَتَاتاً لأُخْرَى الدَّهْرِ مَا طَلَعَ الْفَجْرُ

فَمَا هُوَ إلاّ أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُبْهَتُ لاَ عُرْفٌ لَدَيَّ وَلاَ نُكْرُ

وَأَنْسَى الَّذِي قَدْ كُنْتُ فِيهِ هَجَرْتُهَا كَمَا قَدْ تُنَسِّي لُبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ

وَمَا تَرَكَتْ لِيَ مِنْ شَذَىً أَهْتَدِي بِهِ وَلا ضِلَعٍ إلاَّ وَفِي عَظْمِهَا كَسْرُ[6]

---

(١) صدفت: أعرضت، وأشحت بنظري.

(٢) المخبُّونُ: المسرعون، وأجزاع: جَمْعُ جزع وهو الوادي.

(٣) الرِّمْث: مرعى للإبل وهو اسم وادي، والغضا: شجرٌ، وهو اسم لِمَوضع يكثر فيه هذا النوع من الشَّجر، ومرَّان والسدر: موضعان.

(٤) السَّلم: نوعٌ من الشجر.

(٥) العجاريف: حوادث الدهر.

(٦) الشذى: الشدَّة والقوة.

وَقَدْ تَرَكَتْنِي أَغْبِطُ الْوَحْشَ أَنْ أَرَىٰ قَرِينَيْنِ مِنْهَا لَمْ يُفَزِّعْهُمَا نَفْرُ

وَيَمْنَعُنِي مِنْ بَعْضِ إِنْكَارِ ظُلْمِها إِذَا ظَلَمَتْ يَوْماً وَإِنْ كَانَ لِيَ عُذْرُ

مَخَافَةُ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ بَدَا لِيَ الْهَجْرُ مِنْهَا مَا عَلَىٰ هَجْرِها صَبْرُ

وَأَنِّيَ لاْ أَدْرِي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَىٰ هَجْرِهَا مَا يَصْنَعَنَّ بِيَ الْهَجْرُ

أَبَى الْقَلْبُ إِلاّ حُبَّهَا عَامِرِيَّةً لَهَا كُنْيَةُ عَمْرٍ وَلَيْسَ لَهَا عَمْرو!

وَوَجْهٌ لَهُ دِيبَاجَةٌ قُرَشِيَّةٌ بِهَا تُدْفَعُ الْبَلْوَىٰ وَيُسْتَنْزَلُ الْقَطْرُ

تَكَادُ يَدِي تَنْدَىٰ إِذَا مَا لَمَسْتُهَا وَيُنْبِتُ فِيْ أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ الْخُضْرُ

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هَزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ

هَلِ الْوَجْدُ إِلاّ أَنَّ قَلْبِيَ لَوْ دَنا مِنَ الجَمرِ قِيدَ الرُّمْحِ لاَحْتَرَقَ الْجَمْرُ

تَمَنَّيْتُ مِنْ حُبِّي عُلَيَّةَ أَنَّنا عَلَىٰ رَمَثٍ فِي الْبَحْرِ لَيسَ لَنَا وَفْرُ[1]

عَلَىٰ دَائِمٍ لاْ يَعْبُرُ الْفُلْكُ مَوْجَهُ وَمِنْ دُوْنِنَا الأَهْوَالُ وَاللُّجَجُ الْخُضْرُ[2]

فَنَقْضِي هُمُومَ النَّفْسِ فِي غَيرِ رِقْبَةٍ وَيُغْرِقُ مَنْ نَخْشَى نَمِيمَتَهُ البَحْرُ[3]

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَىٰ مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

فَيَا حُبَّ لَيْلَىٰ قَدْ بَلَغْتَ بِيَ الْمَدَىٰ وَزِدْتَ عَلَىٰ مَا لَيسَ يَبْلُغُهُ الْهَجْرُ

وَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَىً كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الأَيَّامِ مَوْعِدُكِ الْحَشْرُ

هَجَرْتُكِ حَتَّىٰ قِيلَ: مَا يَعْرِفُ الْهَوَىٰ وَزُرْتُكِ حَتَّىٰ قِيلَ: لَيسَ لَهُ صَبْرُ

صَدَقْتِ أَنَا الصَّبُّ الْمُصَابُ الَّذِيْ بِهِ تَبَارِيحُ حُبٍّ خَامَرَ الْقَلْبَ أَوْ سِحْرُ

فَيَا حَبَّذَا الأَحْيَاءُ مَا دُمْتِ حَيَّةً وَيَا حَبَّذَا الأَمْوَاتُ مَا ضَمَّكِ الْقَبْرُ

---

(١) الرَّمَث: بفتح الراء خشب يُشدُّ إلى بعضه ويعبر به الماء.

(٢) ماءٌ دائم: ساكن وهادئ.

(٣) من غير رقبة: دون مراقبة من أحد.

الْعَوَّامُ بنُ عُقْبَةَ

زِيَارَةُ لَيْلَى

شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ، عَاشَ فِي الْعَصْرِ الأُمَوِيِّ، وَهُوَ شَاعِرٌ تُلَخِّصُهُ عِبَارَةُ «مُفْلِقٌ مُعْرِقٌ» فَهُوَ مُفْلِقٌ: أيْ يَأْتِي بِالْعَجِيبِ مِنَ الشِّعْرِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ فُحُولِهِ. وَهُوَ مُعْرِقٌ لأَنَّهُ سَلِيلُ عَائِلَةٍ شِعْرِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ فأَبُوهُ هُوَ عُقْبَةُ بنُ كَعْبِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أَبِي سُلْمَى، فأَبُوهُ وَجَدُّهُ الأَوَّلُ وَجَدُّهُ الثَّانِي كلُّهُمْ شُعَرَاءُ، وَإِذَا كَانَ جَدَّاهُ قَدِ اشْتَهَرَا بِقَصِيدَتَيْنِ: «الْمُعَلَّقَةِ» لزُهيرٍ و«الْبُرْدَةِ» لِكَعْبِ بنِ زُهير، فإِنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ جَعَلَتْ مِنَ الْعَوَّامِ بنِ عُقْبَةَ أَحَدَ «أَصْحَابِ الْوَاحِدَة»

قَالَ الْخَالِدِيَّانِ أَنَّ الْبَيْتَ الأَوَّلَ مِنْ قَصِيدَةِ الْعَوَّامِ هَذِهِ تَنَاحَرَ عَلَيْهِ الشُّعَرَاءُ. وَتُوصَفُ قَصِيدَتُهُ هَذِهِ بِكَثْرَةِ مَحَاسِنِهَا.

وَخُبِّرْتُ سَوْدَاءَ «الْغَمِيمِ» مَرِيضَةً
فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أَعُودُهَا[1]

---

(١) الغميمُ: موضع بين مكة والمدينة، وهو أقرب إلى المدينة.

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا

أَأُبْرِئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا[1]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدَنَا

مَلاَحَةُ عَيْنَيْ أُمِّ يَحْيَى وَجِيدُهَا؟

وَهَلْ أَخْلَقَتْ أَثْوَابُهَا بَعْدَ جِدَّةٍ

أَلاَ حَبَّذَا إِخْلاَقُهَا وَجَدِيدُهَا[2]

وَلَمْ يَبْقَ يَا سَوْدَاءُ شَيْءٌ أُحِبُّهُ

وَإِنْ بَقِيَتْ أَعْلاَمُ أَرْضٍ وَبِيدُهَا[3]

خَلِيلَيَّ قُومَا بِالْعَمَامَةِ وَاعْصِبَا

عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلاَّ عَمِيدُهَا

وَلَمْ يَلْبَثِ الْوَاشُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْعَصَا

إِذَا لَمْ يَكُنْ صُلْبَاً عَلَى الْبَرْيِ عُودُهَا

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدَاً قَبْلَ أَنْ يُوقِدَ النَّوَى

عَلَى كَبِدِي نَاراً بَطِيئاً خُمُودُهَا

وَلَوْ تُرِكَتْ نَارُ الْهَوَى لَتَضَرَّمَتْ

وَلَكِنَّ شَوْقاً كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي

إِذَا قَدُمَتْ آيَاتُهَا وَعُهُودُهَا

---

(١) أبرئها: أشفيها

(٢) خَلِقت: قدمت وأصبحت بالية.

(٣) الأعلامُ: الجبال.

فَقَدْ جَعَلَتْ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا

عِهَادَ الْهَوَىٰ تُولِي بِشَوْقٍ يَزِيدُهَا

فَسُودٌ نَوَاصِيهَا وَحُمْرٌ أَكُفُّهَا

وَصُفْرٌ تَرَاقِيهَا وَبِيضٌ خُدُودُهَا[١]

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَىٰ أَزُورُهَا

أَرَى الأَرْضَ تُطْوَىٰ لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا

مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبِيضِ وَدَّ جَلِيسُهَا

إِذَا مَا قَضَتْ أُحْدُوثَةً لَوْ تُعِيدُهَا[٢]

مُخَصَّرَةُ الأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا

بِأَحْسَنِ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا

يُمَنِّينَنَا حَتَّىٰ تَرِفَّ قُلُوبُنَا

رَفِيفَ الْخُزَامَىٰ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا[٣]

خَلِيلَيَّ إِنِّي الْيَوْمَ شَاكٍ إِلَيْكُمَا

وَهَلْ تَنْفَعُ الشَّكْوَىٰ إِلَىٰ مَنْ يَزِيدُهَا

حَزَازَاتِ شَوْقٍ فِي الْفُؤَادِ وَعَبْرَةٍ

أَظَلُّ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ أَذُودُهَا[٤]

---

(١) النواصي: جَمْعُ ناصية: وهي قُصاصُ الشعر على جبهة الرأس أو «الغرة» والتراقي جَمْعُ تَرقوة: وهي عظم وصل بين ثُغرة النحر والكتف من الجانبين.

(٢) امرأةٌ خفرة: حيية وخجولة.

(٣) الْخُزَامى: عُشْبَةٌ طويلة السّاق، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الرائحة، لها نَوْرٌ كَنَوْرِ البَنَفْسَجِ.

(٤) الحزازتُ: أوجاع في القلب من الشوق.

وَتَحْتَ مَجَالِ الدَّمْعِ حَرُّ بَلاَبِلِ

مِنَ الشَّوْقِ لاَ يُدْعَى لِخَطْبٍ وَلِيدُهَا[1]

نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا يَسُرُّنِي

بِهَا حُمْرُ أَنْعَامِ الْبِلاَدِ وَسُودُهَا

إِذَا جِئْتُهَا وَسْطَ النِّسَاءِ مَنَحْتُهَا

صُدُوداً كَأَنَّ النَّفْسَ لَيْسَ تُرِيدُهَا

وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ الصُّدُودِ مِنَ الْجَوَى

كَنَظْرَةِ ثَكْلَى قَدْ أُصِيبَ وَحِيدُهَا

رَفَعْتُ عَنِ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرَ وَجْهِهَا

فَلاَ أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلاَ أَسْتَزِيدُهَا

وَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتِ مِنِّي مُعَلَّقٌ

بِعُودِ ثُمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُودُهَا[2]

---

(١) البلابلُ: من البَلْبَلَةُ: وهي وَسْوَاسُ الهُمُومِ في الصَّدْرِ.

(٢) الثمامُ: نبات ضعيف، وتأود انثنى، قال ابن قتيبة وكذلك عبد القهار البغدادي: «هذا إفراط في وصف النحول».

أبو النَّشْنَاش اللِصُّ

خَرِيْطَةُ الصُّعْلُوْكِ

شَاعِرٌ صُعْلُوْكٌ، لِصٌّ مَجْهُوْلُ الاسْمِ، كَانَ يَقْطَعُ طُرَقَ الْقَوَافِلِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ أَيَّامَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الأُمَوِيِّ، وَكَانَ مَسْجُوْناً فَهَرَبَ مِنَ السِّجْنِ، فَمَرَّ بِغُرَابٍ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْتِفُ رِيْشَهُ وَيَنْعَبُ، فَجَزِعَ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ مَرَّ فِيْ طَرِيْقِهِ بِأَحِدِ الأَحْيَاءِ فَخَاطَبَ أَهْلَهُ بِقَوْلِهِ: رَجُلٌ كَانَ فِي بَلاءٍ وَشَرٍّ وحَبْسٍ وَضِيْقٍ فَنَجَا مِنْ ذَلِكَ؟ ثُمَّ نَظَرَ عَنْ يَمِيْنِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئَاً وَنَظَرَ عن يَسَارِهِ فَرَأَى غُرَابَاً عَلَى شَجَرَةٍ يَنْتِفُ رِيْشَهُ وَيَنْعَبُ. فَقَالَ لَهُ أَحَدُ رِجَالِ الْحَيِّ: إِنْ صَدَقَتِ الطيْرُ يُعَادُ إِلَى حَبْسِهِ وَقَيْدِهِ، وَيَطُوْلُ ذَلِكَ بِهِ، وَيُقْتَلُ وَيُصَلَّبُ. فَقَالَ لَهُ أَبو النَّشْنَاشِ: بِفِيْكَ الْحَجَرُ. وَأَنْشَدَ قَصِيْدَتَهُ.

وَقَدْ أُنْشِدَ عبدُ الْمَلِكِ بنُ مَرْوَانَ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ: «وَلاَ كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخفَقَ طَالِبُهُ. » قَالَ: لِصٌّ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَمَرَ بِطَلَبِهِ، وَلأَنَّهُ مَجْهُوْلُ الاسْمِ وَالْمَكَانِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ، لَكِنَّ قَصِيْدَتَهُ هَذِهِ وَجَدَتْ طَرِيْقَهَا إِلَى كُتُبِ الأَدَبِ العَرَبِيِّ.

وَسَـــائِـــلَـــةٍ أَيْـــنَ الـــرَّحِـــيْـــلُ وَسَـــائِـــلٍ
وَمَـــنْ يَـــسْـــأَلُ الـــصُّـــعْـــلُـــوْكَ أَيْـــنَ مَـــذَاهِـــبُـــهُ

مَـذَاهِـبُـهُ أَنَّ الْـفِـجَـاجَ عَـرِيـضَـةٌ
إِذَا ضَـنَّ عَـنْـهُ بِـالـنَّـوَالِ أَقَـارِبُـه
إِذَا الْـمَـرْءُ لَـمْ يَـسْـرَحْ سَـوَامَـاً وَلَـمْ يُـرِحْ
سَـوَامَـاً وَلَـمْ يَـبْـسُـطْ لَـهُ الْـوَجْـهَ صَـاحِـبُـه
فَـلَـلْـمَـوْتُ خَـيْـرٌ لِـلْـفَـتَـى مِـنْ حَـيَـاتِـهِ
فَـقِـيْـرَاً وِمِـنْ مَـوْلَـىً تَـدِبُّ عَـقَـارِبُـه
وَدَاوِيَـةٍ بَـهْـمَـاءَ يُـخْـشَـى بِـهَـا الـرَّدَى
سَـرَتْ بِـأَبِـي النَّـشْـنَـاشِ فِـيـهَـا رَكَـائِـبُـه[1]
لِـيُـدرِكَ ثَـأْرَاً أَوْ لِـيُـدْرِكَ مَـغْـنَـمَـاً
جَـزِيـلاً وَهَـذَا الـدَّهْـرُ جَـمٌّ عَـجَـائِـبُـه
وَدَعْ عَـنْـكَ مَـوْلَـى الـسُّـوءِ وَالـدَّهْـرَ إِنَّـهُ
سَـتَـكْـفِـيـكَـهُ أَيَّـامُـهُ وَتَـجَـارِبُـه
وَتَـلْـقَـى عَـدُوَّاً مِـنْ سِـوَاكَ تَـرُدُّهُ
إِلَـيْـكَ فَـتَـلْـقَـاهُ وَقَـدْ لانَ جَـانِـبُـه
وَلَـمْ أَرَ مِـثْـلَ الـفَـقْـرِ ضَـاجَـعَـهُ الْـفَـتَـى
وَلاَ كَـسَـوَادِ الـلَّـيْـلِ أَخْـفَـقَ طَـالِـبُـه
فَـعِـشْ مُـعْـذِرَاً أَوْ مُـتْ كَـرِيْـمَـاً فَـإِنَّـنِـي
أَرَى الْـمَـوْتَ لا يَـنْـجُـو مِـنَ الْـمَـوْتِ هَـارِبُـه

(١) الداويةُ: الأرض الواسعة البعيدة، والبَهْماءُ: مفازةٌ لا ماء فيها ولا يُسْمع فيها صوتٌ ولا يُهتدَى لطُرُقِها.

عَلَى أيِّ شَيءٍ يَصْعُبُ الأَمْرُ قَدْ تَرَى
بِعَيْنَيْكَ أنْ لاَ بُدَّ أنَّكَ رَاكِبُهُ
وَلَوْ كَانَ شَيءٌ نَاجِياً مِنْ مَنِيَّةٍ
لَكَانَ أُثَيْرٌ يَوْمَ جَاءَتْ كَتَائِبُهُ

تَوْبَةُ بنُ الْحُمَيرِّ

نارُ لَيْلَى

تُلخِّصُ هَذِه الْقَصِيْدَةُ قِصَّةَ الْحُبِّ الشَّاعِرِيَّةِ بَيْنَ شَاعِرٍ وَشَاعِرَةٍ عَرَبِيَّيْنِ مِنَ الْقَرْنِ الأوَّلِ الْهِجْرِيِّ: تَوْبةِ بنِ الْحُمَيْرِ وَلَيْلَى الأخْيَلِيَّةِ، فِي وَاحِدَةٍ مِنْ قَصَصِ الْحُبِّ الْمَشْهُوْرةِ فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ. قِصَّةٌ انْتَهَتْ نِهَايَةً مَأْسَاوِيَّةً بِزَوَاجِ لَيْلَى مِنْ غَيْرِهِ، وَمَقْتَلِ تَوْبَةَ، وَظَلَّتْ لَيْلَى تَرْثِيْهِ بِأَجْمَلِ الْمَرَاثِيْ، وَكَانَ الْخُلَفَاءُ وَالْوِلاةُ يَطْلُبُوْنَ مِنْهَا أنْ تُنْشِدَهُمْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ حِيْنَمَا يُرِيْدُوْنَ مِنْهَا قِرَاءَةَ شَيءٍ مِنْ شِعْرِ تَوْبَةَ بَعْدَ مَقْتَلِهِ. حَتَّى اخْتَلَطَتْ أبْيَاتٌ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ بِبَعْضِ شِعْرِ لَيْلَى الأخْيَلِيَّةِ نَفْسِهَا.

وَيَرْوِيْ صَاحِبُ الأغَانِيْ هَذِهِ الْقِصَّةَ الْمُثِيْرَةَ عَنْ مَصِيْرِ لَيْلَى مِنْ بَعْدِهِ إذْ يَقُوْلُ: إنَّ لَيْلَى الأخْيَلِيَّةَ مَرَّتْ يَوْمَاً بِقَبْرِ تَوْبَةَ وَمَعَهَا زَوْجُهَا وَهْيَ فَيْ هَوْدَجٍ.

فَقَالَتْ: وَاللّهِ لا أبْرَحُ حَتَّى أُسَلِّمَ عَلَى تَوْبَةَ، وَلَمَّا سَلَّمَتْ عَلَيْهِ حَوَّلَتْ وَجْهَهَا إلَى الْقَوْمِ وَقَالَتْ: مَا عَرَفْتُ لَهُ كِذْبَةً قَطُّ قَبْلَ هَذَا. قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَتْ: ألَيْسَ الْقَائِلُ:

وَلَوْ أنَّ لَيلَى الأخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ   عَلَيَّ وَدُوْنِي تُرْبَةٌ وَصَفَائِحُ

لَسلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدًى مِن جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

فَمَا بَالُهُ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيَّ كَمَا قَالَ! وَكَانَتْ إِلَىٰ جَانِبِ الْقَبْرِ بُوْمَةٌ كَامِنَةٌ، فَلَمَّا رَأَتِ الْهَوْدَجَ وَاضْطِرَابَهُ فَزِعَتْ وَطَارَتْ فِي وَجْهِ الْجَمَلِ، فَنَفَرَ فَرَمَىٰ بِلَيْلَى عَلَى رَأسِهَا، فَمَاتَتْ مِنْ وَقْتِهَا، وَدُفِنَتْ إِلَى جَنْبِهِ.

نَـأَتْـكَ بِـلَـيْـلَـىٰ دَارُهَـا لا تَـزُوْرُهَـا وَشَـطَّـتْ نَـوَاهَـا وَاسْـتَـمَـرَّ مَـرِيـرُهَـا

وَخَفَّتْ نَـوَاهَـا مِـنْ جُنُوبِ عُنَيْزَةٍ كَمَا خَفَّ مِنْ نَيلِ الْمَرَامِيْ جَفِيْرُهَا

وَقَـالَ رِجَـالٌ: لاْ يَـضِـيْـرُكَ نَـأْيُـهَـا بَلَىٰ كُلُّ مَا شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيْرُهَا

أَلَيسَ يَضِيْرُ الْعَينَ أَنْ تُكْثِرَ الْبُكَا وَيُـمْـنَـعَ مِـنْـهَـا نَـوْمُـهَـا وَسُـرُوْرُهَـا

أَرَى الْيَوْمَ يَأْتِي دُوْنَ لَيلَىٰ كَأَنَّمَا أَتَىٰ دُوْنَ لَـيْـلَـىٰ حِـجَّـةٌ وَشُـهُـوْرُهَـا

لِـكُـلِّ لِـقَـاءٍ نَـلْـتَـقِـيـهِ بَـشَـاشَـةٌ وَإِنْ كَـانَ حَـوْلاً كُـلُّ يَـوْمٍ أَزُوْرُهَـا

خَلِيلَيَّ رُوْحَاْ رَاشِدَيْنَ فَقَدْ أَتَتْ ضَرِيَّةُ مِنْ دُوْنِ الْحَبِيبِ فَنِيرُهَا[1]

خَلِيلَيَّ مَا مِـنْ سَاعَةٍ تَـقِـفَـانِـهَـا مِنَ اللَّيلِ إلاّ مِثْلُ أُخْرَىٰ نَـسِيـرُهَـا

وَقَدْ تَذْهَبُ الْحَاجَاتُ يَطْلُبُهَا الْفَتَىٰ شَعَاعَاً وَتَخْشَى النَّفْسُ مَا لاْ يَضِيْرُهَا[2]

وَكُنْتُ إِذَاْ مَاْ زُرْتُ لَيلَىٰ تَبَرْقَعَتْ فَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا الْغَدَاةَ سُفُوْرُهَا[3]

---

(١) ضريةُ: بئر وهي أيضاً أرض ذات نبات كثير، وفنيرها: النير جبل قريب من ضرية.

(٢) شَعاعاً: متفرقات.

(٣) يشيرُ صاحب الأغاني إلى توبة بن الحمير كان إذا أتى ليلى الأخيلية خرجت إليه في برقع، فلما شهر أمره شكوه إلى السُلطان، فأباحهم دمه إن أتاهم، فمكنوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه، فلمَّا علمت به خرجت سافرةً حتى جلست في طريقه، فلمَّا رآها سافرةً فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد، وأنها أسفرت لذلك تحذره، فركضت فرسه فنجا، وذلك قوله: وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَىٰ تَبَرْقَعَتْ. . . . . . البيت.

خَلِيلَيَّ قَدْ عَمَّ الأَسَى وَتَقَاسَمَتْ فُنُونُ الْبِلَى عُشَّاقَ لَيْلَى وَدُورُهَا

وَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا صُدُودٌ رَأَيْتُهُ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُها[1]

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى فِي ذُرَى مُتَمَنِّعٍ بِنَجْرَانَ لالْتَفَّتْ عَلَيَّ قُصُورُهَا

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى الْعِيسَ تَعْتَلِي بِنَا نَحو لَيْلَى وَهْيَ تَجْرِي ضُفُورُهَا[2]

وَمَا لَحِقَتْ حَتَّى تَقَلْقَلَ غُرْضُها وَسَامَحَ مِنْ بَعْدِ الْمَرَاحِ عَسِيرُهَا[3]

وَأُشْرِفُ بِالأَرْضِ الْيَفَاعِ لَعَلَّنِي أَرَى نَارَ لَيْلَى أَوْ يَرَانِي بَصِيرُهَا[4]

فَنَادَيْتُ: لَيْلَى وَالْحُمُولُ كَأَنَّها مَوَاقِيرُ نَخْلٍ زَعْزَعَتْهَا دَبُورُهَا[5]

فَقَالَتْ أَرَى أَنْ لاَ تُفِيدُكَ صُحْبَتِي لِهَيْبَةِ أَعْدَاءٍ تَلَظَّى صُدُورُهَا

فَمَدَّتْ لِيَ الأَسْبَابَ حَتَّى بَلَغْتُهَا بِرِفْقِي وَقَدْ كَادَ ارْتِقَائِي يَصُورُهَا[6]

فَلَمَّا دَخَلْتُ الْخِدْرَ أَطَّتْ نُسُوعُهُ وَأَطْرَافُ عِيدَانٍ شَدِيدٍ أُسُورُهَا[7]

فَأَرْخَتْ لِنَضَّاخِ الْقَفَا ذِي مِنَصَّةٍ وَذِي سِيرَةٍ قَدْ كَانَ قِدْماً يَسِيرُهَا[8]

---

(١) البسورُ: العبوس.

(٢) ضفورُها: اتساعها.

(٣) الغرضُ: الرِّحَال.

(٤) أرضٌ يفاع: أرض مرتفعة.

(٥) المواقير: أحمال النخيل من الرطب، والدبور: ريح تهب بشدَّةٍ فتكاد تقلعُ البيوتَ وتأتي على الزُّروع، والعرب تكره الدبور، وفي الحديث أنَّ الرسولَ قالَ: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور».

(٦) يصُوْر: يميل.

(٧) أطَّتْ: من الأطيط: وهو صوتُ الرَّحْلِ من شدَّة الأثقال، والنُّسوع: حبال يربط بها الرَّحْلُ، والمعنى أنَّ الرَّحلَ مَال وأصدرت حباله أصْواتاً لَمَّا دخل الخدر على حبيبته.

(٨) النضخُ: الرشُّ، أو تعرُّقُ جلدِ البعير، وهو أقلُّ من النضح، وقيل إن النضخ ما كان دون قصد، والنضح بقصد.

وَإِنِّي لَيُشْفِينِي مِنَ الشَّوْقِ أَنْ أَرَى ... عَلَى الشَّرَفِ النَّائِي الْمَخُوفِ أَزُورُهَا
وأنْ أتْرُكَ العَنْسَ الْحَسِيرَ بِأَرْضِهَا ... يَطِيفُ بِهَا عُقْبَانُهَا وَنُسُورُهَا[1]
ألاَ إنَّ لَيلَى قَدْ أَجَدَّ بُكُورُهَا ... وَزُمَّتْ غَدَاةَ السَّبْتِ لِلْبَيْنِ عِيرُهَا
فَمَا أمُّ سَوْدَاءِ الْمَحَاجِرِ مُطْفِلٌ ... بِأَحْسَنَ مِنْهَا مُقْلَتَينِ تُدِيرُهَا
أرَتْنَا حِيَاضَ الْمَوْتِ لَيلَى وَرَاقَنَا ... عُيُونٌ نَقِيَّاتُ الْحَوَاشِي تُدِيرُهَا
ألاَ يَا صَفِيَّ النَّفْسِ كَيفَ تَنُولُهَا ... لَو انَّ طَرِيداً خَائِفاً يَسْتَجِيرُهَا
تُجِيرُ وَإِنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى ... سَتُنْعِمُ يَوْماً أَوْ يُفَادَى أَسِيرُهَا
وَقَالَتْ أَرَاكَ الْيَومَ أَسْوَدَ شَاحِباً ... وَأَيُّ بَيَاضِ الْوَجْهِ حَرَّتْ حُرُورُهَا
وَإِنْ كَانَ يَوْمٌ ذُو سَمُومٍ أَسِيرُهُ ... وَتَقْصُرُ مِنْ دُونِ السَّمُومِ سُتُورُهَا
وَغَيَّرَنِي إِنْ كُنْتِ لَمَّا تَغَيَّرِي ... هَوَاجِرُ تَكْتَنِينَّهَا وَأَسِيرُهَا[2]
حَمَامَةَ بَطْنِ الْوَادِيَينِ إلا انْعَمِي ... سَقَاكِ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا
أَبِينِي لَنَا لاَ زَالَ رِيشُكِ نَاعِماً ... وَلاَ زِلْتِ فِي خَضْرَاءَ غَضٍّ نَضِيرُهَا
فَإِنْ سَجَعَتْ هَاجَتْ لِعَيْنَيْكَ عَبْرَةً ... وَإِنْ زَفَرَتْ هَاجَ الْهَوَى قَرَّ قَرِيرُهَا
وَقَدْ زَعَمَتْ لَيلَى بَأنِّي فَاجِرٌ ... لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيهَا فُجُورُهَا
فَقُلْ لِعُقَيلٍ مَا حَدِيثُ عِصَابَةٍ ... تَكَنَّفَهَا الأَعْدَاءُ أَنَّى تَضِيرُهَا
فَالاَ تَنَاهَوا تُرْكَبُ الْخَيلُ بَيْنَنَا ... وَرَكْضٌ بِرِجْلٍ أَوْ جَنَاحٌ يُطِيرُهَا
لَعَلَّكَ يَا تَيساً نَزَا فِي مَرِيرَةٍ ... مُعَاقِبُ لَيلَى أَنْ تَرَانِي أَزُورُهَا
عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُدْنِ إِنْ كَانَ زَوْجُهَا ... يَرَى لِيَ ذَنْباً غَيرَ أَنِّي أَزُورُهَا[3]

---

(١) العنسُ: الناقة الصلبة، والحسير: المكشوفة بلا رحل.

(٢) تكتنينَّها: نتحاشينها بالتستر عنها بالظل.

(٣) البُدنُ: النوق السَّمينات، وعليَّ دماءُ البُدْنِ: قسم معروف لدى العرب.

وَإِنِّي إِذَاْ مَاْ زُرْتُهَا قُلْتُ يَا اسْلَمِي   فَهَلْ كَانَ فِي قَوْلِي «اسْلَمِي» مَاْ يَضِيرُهَا؟

مِنَ النَّاْعِبَاْتِ الْمِشْيِ نَعْباً كَأَنَّمَا   يُنَاْطُ بِجِذْعٍ مِنْ أَوَاْلِ جَرِيرُهَا[1]

مِنَ الْعَرَكَاْنِيَّاْتِ حَرْفٌ كَأَنَّهَا   مَرِيرَةُ لِيفٍ شُدَّ شَزْراً مَرِيرُهَا[2]

قَطَعْتُ بِهَا أَجْوَاْزَ كُلِّ تَنُوفَةٍ   مَخُوفٍ رَدَاْهَا حِينَ يَسْتَنُّ مُورُهَا[3]

تَرَى ضُعَفَاْءَ الْقَوْمِ فِيهَا كَأَنَّهُمْ   دَعَاْمِيصُ مَاْءٍ نَشَّ عَنْهَاْ غَدِيرُهَا[4]

وَقَسْوَرَةَ اللَّيْلِ الَّذِي بَيْنَ نِصْفِهِ   وَبَيْنَ الْعِشَاْ قَدْ رِبْتُ مِنْهَاْ أَسِيرُهَا[5]

أَبَتْ كَثْرَةُ الأَعْدَاْءِ أَنْ يَتَجَنَّبُوا   كِلاْبِيَ حَتَّى يُسْتَثَاْرَ عَقُورُهَا[6]

وَمَاْ يُشْتَكَى جَهْلِي وَلَكِنَّ غِرَّتِي   تَرَاْهَا بِأَعْدَاْئِي بَطِيئاً طُرُورُهَا[7]

أَمُخْتَرِمِي رَيْبَ الْمَنُوْنِ وَلَمْ أَزُرْ   عَذَاْرَايَ مِنْ هَمْدَاْنَ بِيضاً نُحُورُهَا[8]

يَنُؤْنَ بِأَعْجَاْزٍ ثِقَاْلٍ وَأَسْوقٍ   خِدَاْلٍ وَأَقْدَاْمٍ لِطَاْفٍ خُصُورُهَا[9]

---

(١) أوال: جزيرة بالبحرين مشهورة بالنخيل، وصنع الحبال القوية، والجرير: الحبل المفتول الذي يستخدم زماماً.

(٢) الناعباتُ: سريعات العدو، والعركانيات: العاليات السَّنام الصعبات والحرف: الهزيلات، ومريرة الليف: ذات الحبل الطويل المفتول.

(٣) التنوفةُ الأرضُ البعيدةُ، والمور: الغبارُ مع شدَّةِ الرِّيح.

(٤) الدَّعاميصُ: حشرات تكثر في المياه الراكدة حين تسح الغدران.

(٥) قَسْورةُ الليل: المعنى هنا شدته.

(٦) كلبٌ عَقُورٌ: مفترسٌ يهاجم الناس.

(٧) غرَّتي، حداثتي، وطُرُورها: اكتمال هيبتها.

(٨) تخرَّمهُ، توعَّده.

(٩) أسْوُقٌ خِدَال: سِيْقَانٌ مُستديرة.

الصِمَّةُ الْقُشَيْرِي

وَدَاعُ نَجْدٍ

يَرَى كَثِيرٌ مِنَ النُّقَّادِ الْعَرَبِ الْقُدَامَى أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ أَفْضَلُ مَا قِيْلَ فِي الْغَزَلِ، سَوَاءٌ فِي الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ أو الإسلاميِّ، وَبِرَغْمِ أَنَّ لِلصِّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ قَصَائِدَ أُخرَىٰ قَلِيْلَةً إلا أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ طَغَتْ عَلَى مَا سِوَاهَا مِنْ قَصَائِدِ هَذَا الْعَاشِقِ الْبَدَوِيِّ الَّذِي قَادَهُ الْحُبُّ إِلَى الْمَنْفَى «فَقَدْ وِلِدَ وَنَشَأَ فِي نَجْدٍ فِي الْعَصْرِ الأُمَوِيِّ وَمَاتَ غَرِيْبَاً فِي طَبَرِسْتَانَ» لِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ صُوَرٍ مُوَلَّدَةٍ وَتَعْبِيْرَاتٍ حَارَّةٍ فِي تَجْرِبَةٍ رُوحِيَّةٍ أَخَّاذَةٍ تُلَخِّصُ حِكَايَةَ هَذَا الْعَاشِقِ الْبَدَوِيِّ الْمَنْفِيِّ.

خَلِيلَيَّ عُوجَا مِنكُمُ الْيَوْمَ أَوْ دَعَا ... نُحَيِّ رُسُومَاً بِالْقُبَيِّبَةِ بَلْقَعَا

أَرَبَّتْ بِهَا الأَرْوَاحُ حَتَّى تَنَسَّفَتْ ... مَعَارِفُهَا إِلاَّ الصَّفِيحَ الْمُوَضَّعَا[1]

وَغَيرَ ثَلاَثٍ فِي الدِّيَارِ كَأَنَّهَا ... ثَلاَثُ حَمَامَاتٍ تَقَابَلْنَ وُقَّعَا

أَمِنْ أَجْلِ دَارٍ بِالرَّقَاشَيْنِ أَعْصَفَتْ ... عَلَيْهَا رِيَاحُ الصَّيفِ بَدْءاً وَرُجَّعَا

---

(١) أربت: لازمته وأولعت به.

بَكَتْ عَيْنُكَ الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتَها عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
وَلَـمْ أَرَ مِـثْـلَ الْـعَـامِـرِيَّـةِ قَـبْـلَـهَـا وَلاَ بَـعْـدَهَـا يَـوْمَ إرتَـحَـلْـنَـا مُـوَدِّعَـا
تُـرِيـكَ غَـدَاةَ الْـبَـيْـنِ مُـقْـلَـةَ شَـادِنٍ وَجِـيـدَ غَـزَالٍ فِي الْقَلاَئِدِ أَتْـلَـعَـا[1]
وَمَـا أُمُّ أَحْـوَى الْـجُـدَّتَـيْـنِ خَـلاَلَـهَـا أَرَاكٌ مِنَ الأَعْرَافِ أَجْنَى وَأَيْنَعَا[2]
غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْغُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ إسْتَوَى وَتَرَفَّعَا[3]
بِـأَحْـسَـنَ مِـنْ أُمِّ الْـمُـحَـيَّـا فُـجَـاءَةً إِذَا جِيدُهَا مِنْ كِفَّةِ السِّتْرِ أَطْلَعَا
وَلَـمَّـا تَـنَـاهَـبْـنَـا سِـقَـاطَ حَـدِيـثِـهَـا غِشَاشَاً وَلاَنَ الطَّرْفُ مِنْهَا فَأَطْمَعَا[4]
فَرَشَّتْ بِقَوْلٍ كَادَ يُشْفَى مِنَ الْجَوَى تَـلُـمُّ بِـهِ أَكْـبَـادُنَـا أَنْ تَـصَـدَّعَـا
كَمَا رَشَفَ الصَّادِي وَقَائِعَ مُزْنَةٍ رَشَاشٍ تَوَلَّى صَوْبُهَا حِينَ أَقْلَعَا
شَكَوْتُ إِلَيْهَا مَا أُلاَقِي مِنَ الْهَوَى وَخَشْيَةَ شَعْبِ الْحَيِّ أَنْ يَتَوَزَّعا
فَمَا كَلَّمَتْنِي غَيْرَ رَجْعٍ وَإِنَّمَا تَرَقْرَقَتِ الْعَيْنَانِ مِنْهَا لِتَدْمَعَا
كَأَنَّكَ بِدْعٌ لَمْ تَرَ الْبَيْنَ قَبْلَهَا وَلَم تَكُ بِالآلاَفِ قَبْلُ مُفَجَّعَا
فَلَيْتَ جِمَالَ الْحَيِّ يَوْمَ تَرَحَّلُوا بِذِي سَلَم أَمْسَتْ مَزَاحِيفَ ظُلَّعَا
فَيُصْبِحْنَ لاَ يُحْسِنَّ مَشْيَاً بِرَاكِبٍ وَلاَ السَّيْرَ فِي نَجْدٍ وَإِنْ كَانَ مَهْيَعَا[5]
أَتَـجْـزَعُ وَالْـحَـيَّـانِ لَـمْ يَـتَـفَـرَّقَـا فَكَيْفَ إِذَا دَاعِي التَّفَرُّقِ أَسْمَعَا؟
فَرُحْتَ وَلَوْ أَسْمَعْتُ مَا بِيَ مِنَ الْجَوَى رَذِيَّ قِطَارٍ حَنَّ شَوْقَاً وَرَجَّعَا[6]

---

(١) الأتلعُ: العنق الطويل.

(٢) أحوى الجدتين: سمرة الشفة، والأراك: شجرٌ يُستعملُ عودُه للسِّواكِ، والأعراف: نوع من النخل.

(٣) تنغضُ: تَحرَّكَ بارتجاف.

(٤) غشاشاً: على عجل.

(٥) المهيعُ: الطريق الواسع.

(٦) الرذيُّ: الجمل الهزيل الذي لا يقوى على السَّير، والقطار: قطيع الإبل.

أَلاَ يَا غُرَابَيْ بَيْتِهَا لاَ تَرَفَّعَا ... وَطِيرَا جَمِيعاً بِالْهَوَى وَقَعَا مَعَا

حَنَنْتُ إِلَىٰ رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ ... مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الأَمْرَ طَائِعاً ... وَتَجْزَعَ إِنْ دَاعِي الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ وَدَاعَ مُفَارِقٍ ... وَلَمْ تَرَ شَعْبَيْ صَاحِبَيْنِ تَقَطَّعَا

تَحَمَّلَ أَهْلِي مِنْ قَنِينَ وَغَادَرُوا ... بِهِ أَهْلَ لَيْلَىٰ حِينَ جِيدَ وَأَمْرَعَا

أَلاَ يَا خَلِيلَيَّ اللَّذَيْنِ تَوَاصَيَا ... بِلَوْمِيَ إِلاَّ أَنْ أُطِيعَ وَأَضْرَعَا

فَإِنِّي وَجَدْتُ اللَّوْمَ لاَ يُذْهِبُ الْهَوَىٰ ... وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْيَأْسَ أَجْدَىٰ وَأَنْفَعَا

قِفَا إِنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ رَجْعِ نَظْرَةٍ ... مُصَعَّدَةٍ شَتَّىٰ بِهَا الْقَوْمُ أَوْ مَعَا

لِمُغْتَصِبٍ قَدْ عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ ... يُسِرُّ حَيَاءً عَبْرَةً أَنْ تَطَلَّعَا

تَهِيجُ لَهُ الأَحْزَانَ وَالذِّكْرَ كُلَّمَا ... تَرَنَّمَ أَوْ أَوْفَىٰ مِنَ الأَرْضِ مَيفَعا[1]

قِفَا وَدِّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى ... وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُوَدَّعَا

بِنَفْسِيَ تِلْكَ الأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا ... وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمُتَرَبَّعَا

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَىٰ ثُمَّ أَنْثَنِي ... عَلَىٰ كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتِ الْحِمَىٰ بِرَوَاجِعٍ ... عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا

مَعِي كُلُّ غِرٍّ قَدْ عَصَىٰ عَاذِلاَتِهِ ... بِوَصْلِ الْغَوَانِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعْرَعَا[2]

إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَاءَيْنِ أَسْرَعَتْ ... إِلَيْهِ الْعُيُونُ النَّاظِرَاتُ التَّطَلُّعَا

وَسِرْبٌ بَدَتْ لِي فِيهِ بِيضٌ نَوَاهِدٌ ... إِذَا سُمْتُهُنَّ الْوَصْلَ أَمْسَيْنَ قُطَّعَا

مَشَيْنَ أَطْرَادَ السَّيْلِ هَوْناً كَأَنَّمَا ... تَرَاهَنَّ بِالأَقْدَامِ إِذْ مِسْنَ ظُلَّعَا

فَقُلْتُ: سَقَى اللَّهُ الْحِمَىٰ دِيَمَ الْحَيَا ... فَقُلْنَ: سَقَاكَ اللَّهُ بِالسُّمِّ مُنْقَعَا

---

(١) الميفعُ: ما ارتفع من الأرض وأشرفَ على ما حوله.

(٢) الغرقدُ: شجرٌ كان يكثرُ في مقابر البقيع.

وَقُلْتُ: عَلَيْكُنَّ السَّلامَ فَلاَ أَرَى ... لِنَفْسِيَ مِنْ دُوْنِ الْحِمَى الْيَوْمَ مَقْنَعَا

فَقُلْنَ: أَرَاكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ كَاذِباً ... بَنَانَكَ مِنْ يُمْنَى ذِرَاعَيْكَ أَقْطَعَا

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُوْنَنَا ... وَجَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعَا

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي ... وَجِعْتُ مِنَ الإِصْغَاءِ لِيْتاً وَأَخْدَعَا[1]

فَإِنْ كُنْتُمُ تَرْجُوْنَ أَنْ يَذْهَبَ الْهَوَى ... يَقِيناً وَنَرْوَى بِالشَّرَابِ فَنَنْقَعَا

فَرُدُّوا هُبُوْبَ الرِّيحِ أَوْ غَيِّرُوا الْجَوَى ... إِذَا حَلَّ أَلْوَاذَ الْحَشَا فَتَمَنَّعَا

أَمَا وَجَلاَلِ اللَّهِ لَوْ تَذْكُرِيْنَنِي ... كَذِكْرِيْكِ مَا كَفَفْتُ لِلْعَيْنِ أَدْمُعَا

فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْراً لَوْ أَنَّهُ ... يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الأَصَمِّ تَصَدَّعَا

فَمَا وَجْدُ عُلْوِيِّ الْهَوَى حَنَّ وَاجْتَوَى ... بِوَادِي الشَّرَى وَالْغَوْرِ مَاءً وَمَرْتَعَا

تَشَوَّقَ لَمَّا عَضَّهُ الْقَيْدُ وَاجْتَوَى ... مَرَاتِعَهُ مِنْ بَيْنِ قُفٍّ وَأَجْرَعَا[2]

وَرَامَ بِعَيْنَيْهِ جِبَالاً مُنِيفَةً ... وَمَا لاَ يَرَى فِيهِ أَخُو الْقَيْدِ مَطْمَعَا

إِذَا رَامَ مِنْهَا مَطْلِعاً رَدَّ شَأْوَهُ ... أَمِينُ الْقُوَى عَضَّ الْيَدَيْنِ فَأَوْجَعَا

بِأَكْبَرَ مَنْ وَجْدٍ بِرَيَّا وَجَدْتُهُ ... غَدَاةَ دَعَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَسْمَعَا

وَلاَ بَكْرَةٌ بِكْرٌ رَأَتْ مِنْ حُوَارِهَا ... مَجَرّاً حَدِيثاً مُسْتَبِيناً وَمَصْرَعَا[3]

إِذَا رَجَّعَتْ فِي آخِرِ اللَّيْلِ حَنَّةً ... لِذِكْرِ حَدِيثٍ أَبْكَتِ الْبُزْلَ أَجْمَعَا[4]

لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لاَ تَقْنَعَ النَّفْسُ بَعْدَهُ ... بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مُقْنِعَا

وَأَعْذُلُ فِيهِ النَّفْسَ إِذْ حِيلَ دُوْنَهُ ... وَتَأْبَى إِلَيْهِ النَّفْسُ إِلاَّ تَطَلُّعَا

---

(١) الليْتُ والأخدعُ: من عُروق العنق، وقد أوجعاه لكثرة التلفُّت.

(٢) القفُّ: الأرضُ المرتفعةُ، والأجْرعُ: الْكُثَيِّبُ.

(٣) الْحُوَارُ: ابنُ الناقة، وَالْمَجَرُّ: حَمْلُ الناقة الهزيلة.

(٤) البُزْلُ: الإبل المسنّة.

سَلامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَمَا هِيَ رَاحَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ شَمْلِي وَشَمْلُكُمْ مَعَا
وَلاَ مَرْحَباً بِالرَّبْعِ لَسْتُمْ حُلُوْلَهُ وَلَوْ كَانَ مُخْضَلَّ الْجَوَانِبِ مُمْرِعَا
فَمَاءٌ بِلاَ مَرْعىً وَمَرْعىً بِغَيْرِ مَا وَحَيْثُ أَرَى مَاءً وَمَرعَىً فَمَسْبَعَا
لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى مُنَادِي فِرَاقِنَا بِتَشْتِيتِنَا فِي كُلِّ وَادٍ فَأَسْمَعَا
كَأَنَّا خُلِقْنَا لِلنَّوَى وَكَأَنَّمَا حَرَامٌ عَلَى الأَيَّامِ أَنْ نَتَجَمَّعَا

سَوَّارُ بن الْمُضَرَّب السَّعْدي

تَلَوَّنَ بِي زَمانِي

شَاعِرٌ أسلاميٌّ مَغْمُورٌ مِمَّنْ هَرَبُوا مِنْ بَطْشِ الْحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ وَقَسْوَتِهِ، لهُ شِعْرٌ قَلِيْلٌ، وَهَذِهِ الْقَصِيْدَةُ مَمَّا أَوْرَدَهُ الأَصْمعيُّ فِي مُخْتَاراتِهِ، وَهْيَ مَشْهُوْرَةٌ مَعْرُوْفَةٌ فِي كُتُبِ الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ. ولا يُعْرَفُ لِشَاعِرِها سِوىٰ بِضْعَةِ أبْيَاتٍ أُخْرَىٰ، بَيْنَهَا أرْبعَةُ أبْيَاتٍ قَالَهَا سَوَّارُ بنُ الْمُضَرَّبِ، عِنْدَ فِرَارِهِ مِنَ الْحَجَّاجِ.

أَلَـمْ تَـرَنِـي وَإِنْ أَنْـبَـأْتُ أَنِّـي ... طَوَيْتُ الكَشْحَ عَنْ طَلَبِ الْغَوَانِي

أُحِبُّ عُمَانَ مِن حُبِّي سُلَيمَىٰ ... وَمَا طِبِّي بِحُبِّ قُرَىٰ عُمَانِ

عَلاَقَةَ عَاشِقٍ وَهَوىً مُتَاحاً ... فَمَا أَنَا وَالْهَوَىٰ مُتَدَانِيَانِ

تَذَكَّرُ مَا تَذَكَّرُ مِنْ سُلَيمىٰ ... وَلَكِنَّ الْمَزَارَ بِهَا نَآنِي

فَلاَ أَنسَىٰ لَيَالِيَ بِالْكَلَنْدَىٰ ... فَنِينَ وَكُلُّ هَذَا الْعَيْشِ فَانِ[1]

وَيَوْماً بِالْمَجَازَةِ يَوْمَ صِدْقٍ ... وَيَوْماً بَيْنَ ضَنْكَ وَصَومَحَانِ[2]

---

(١) الْكَلَنْدَىٰ: الأرضُ الصُّلْبَةُ من غير حصى.

(٢) المجازةُ وضَنْك وصومَحَان: أماكن في الجزيرة.

أَلا يَا سَلْمَ سَيِّدَةَ الْغَوَانِي | أَمَا يُفْدَى بِأَرْضِكِ تِلْكَ عَانِ
وَمَا عَانِيكِ يَا ابْنَةَ آلِ قَيْسٍ | بِمَفْحُوشٍ عَلَيْهِ وَلاَ مُهَانِ
أَمِنْ أَهْلِ النَّقَا طَرَقَتْ سُلَيْمَى | طَرِيداً بَيْنَ شُنظُبَ وَالثَّمَانِ[1]
سَرَى مِنْ لَيْلِهِ حَتَّى إِذَا مَا | تَدَلَّى النَّجْمُ كَالأُدْمِ الْهِجَانِ
رَمَى بَلَدٌ بِهِ بَلَداً فَأَضْحَى | بِظَمْأَى الرِّيحِ خَاشِعَةِ الْقِنَانِ
تَمُوتُ بَنَاتُ نَيْسَبِهَا وَيَغْبَى | عَلَى رُكْبَانِهَا شَرَكُ الْمِتَانِ[2]
يُطَوِّي عِنْدَ رُكْبَةِ أَرْحَبِيٍّ | بَعِيدِ الْعَجْبِ مِنْ طَرَفِ الْجِرَانِ[3]
مَطِيَّةِ خَائِفٍ وَرَجِيعِ حَاجٍ | شَمُوذِ الذَّيْلِ مُنْطَلِقِ اللَّبَانِ[4]
قَذِيفِ تَنَائِفٍ غُبْرٍ وَحَاجٍ | تَقَحَّمَ خَائِفاً قُحَمَ الْجَبَانِ[5]
كَأَنَّ يَدَيْهِ حِينَ يُقَالُ سِيرُوا | عَلَى مَتْنِ التَّنُوفَةِ غَضْبَتَانِ
يَقِيسَانِ الْفَلاَةَ كَمَا تَغَالَى | خَلِيعَا غَايَةٍ يَتَبَادَرَانِ
كَأَنَّهُمَا إِذَا حُثَّ الْمَطَايَا | يَدَا يَسَرٍ الْمُتَاحَةِ مُسْتَعَانِ
سَبُوتُ الرَّجْعِ مَائِرَتَا الأَعَالِي | إِذَا كَلَّ الْمَطِيُّ سَفِيهَتَانِ[6]
وَهَادٍ شَغْشَعٍ هَجَمَتْ عَلَيْهِ | تَوَالٍ مَا يُرَى فِيهَا تَوَانِ

---

(١) شُنظُب والثُّمان: أماكن أخرى في الجزيرة.

(٢) النيسبُ: الطريق المستقيم الواضح، وقيل هو طريق النمل، يغبى: يخفى، والمِتَانُ: الأرض الغليظة الصلبة.

(٣) الجران: نَحْرُ البعير.

(٤) شَمُوذُ الذَّيل: رافعةٌ ذيلَها.

(٥) التنائفُ: الأراضي الواسعة البعيدة.

(٦) السَّبرت: نوع من سير الإبل، ومائرة: تحمل المِيْرَةَ أي الطعام وسائر حاجات الطريق.

أَعَاذِلَتَيَّ فِي سَلْمَى دَعَانِي ... فَإِنِّي لاَ أُطَاوِعُ مَنْ نَهَانِي
وَلَو أَنِّي أُطِيعُكُمَا بِسَلْمَى ... لَكُنْتُ كَبَعْضِ مَنْ لاَ تُرْشِدَانِ
دَعَانِي مِنْ أَذَاتِكُمَا وَلَكِنْ ... بِذِكْرِ الْمَذْحِجِيَّةِ عَلِّلانِي
فَإِنَّ هَوَايَ مَا عَلِمَتْ سُلَيْمَى ... يَمَانٍ إِنَّ مَنْزِلَهَا يَمَانِ
تَكِلُّ الرِّيحُ دُونَ بِلادِ سَلْمَى ... وَسِرَّاتُ الْمُنَوَّقَةِ الْهِجَانِ
بِكُلِّ تَنُوفَةٍ لِلرِّيحِ فِيهَا ... حَفِيفٌ لا يَرُوعُ التُّرْبَ وَانِ
إِذَا مَا الْمُسْنِفَاتُ عَلَوْنَ مِنْهَا ... رِقَاقاً أَوْ سَمَاوَةَ صَحْصَحَانِ[1]
يَخِدْنَ كَأَنَّهُنَّ بِكُلِّ خَرْقٍ ... وَإِغْسَاءَ الظَّلامِ عَلَى رِهَانِ[2]
وَإِنْ غَوَّرْنَ هَاجِرَةً بِفَيْفٍ ... كَأَنَّ سَرَابَهَا قِطَعُ الدُّخَانِ[3]
وَضَعْنَ بِهِ أَجِنَّةً مُجْهَضَاتٍ ... وُضِعْنَ لِثَالِثٍ عَلَقاً وَثَانِ
وَلَيْلٍ فِيهِ تَحْسَبُ كُلَّ نَجْمٍ ... بَدَا لَكَ مِنْ خَصَاصَةِ طَيْلَسَانِ
نَعَشْتُ بِهِ أَزِمَّةَ طَاوِيَاتٍ ... نَوَاجٍ لا تَبِينُ عَلَى إِكْتِنَانِ
تُثِيرُ عَوَازِبَ الْكُدْرِيِّ وَهْناً ... كَأَنَّ فِرَاخَهَا قُمَرُ الأَفَانِي
بَطَأْنَ خُدُودَهُ مُتَشَمِّعَاتٍ ... عَلَى سُمْرٍ تَفُضُّ حَصَى الْمِتَانِ
سَرَيْنَ جَمِيعَهُ حَتَّى تَوَلَّى ... كَمَا انْكَبَّ الْمُعَبَّدُ لِلْجِرَانِ[4]
وَشَقَّ الصُّبْحُ أُخْرَى اللَّيْلِ شَقّاً ... جِمَاحَ أَغَرَّ مُنْقَطِعِ الْعِنَانِ
وَمَا سَلْمَى بِسَيِّئَةِ الْمُحَيَّا ... وَلاَ عَسْرَاءَ عَاسِيَةِ الْبَنَانِ[5]

---

(١) الْمُسنَّفَاتُ: الْمُتَقَدِّمَات في السَّير، وسماوة: ماء في البادية.

(٢) أغسى الليل: أظلم.

(٣) الفيفُ: مفرد جمعه الفيافي، وهي الأرض المستوية الواسعة.

(٤) الجران: مقدمة عنق البعير، فإذا برك البعير، قيل ألقى جرانه بالأرض.

(٥) يدٌ عاسية: غليظة خشنة.

أَلاَ قَدْ هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقاً ... بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ
تَنَادَى الطَّائِرَانِ بِصرْمِ سَلْمَى ... عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانِ
فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمَى ... وَبِالْغَرْبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِ
وَلَوْ سَأَلَتْ سَرَاةَ الْحَيِّ عَنِّي ... عَلَى أَنِّي تَلَوَّنَ بِي زَمَانِي
لَخَبَّرَهَا ذَوُو أَحْسَابِ قَوْمِي ... وَأَعْدَائِي فَكُلٌّ قَدْ بَلاَنِي
بِدَفْعِ الذَّمِّ عَنْ حَسَبِي بِمَالِي ... وَزَبُّونَاتِ أَشْوَسَ تَيَّحَانِ[1]
وَأَنِّي لاَ أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ ... إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مِجَنَّ جَانِ

---

(١) الزبونات: من الزبن: وهو الدَّفْعُ، والتيَّحان: العريض المقدام.

صَالِحُ بنُ عَبْدِ القُدُّوس

القَصِيْدَةُ الزَّيْنَبِيَّةُ

تُنْسَبُ هَذِهِ القَصِيْدَةُ لِلإِمَامِ عَلِيِّ بنِ أَبِيْ طَالِبٍ، لَكِنَّهَا فِيْ كُتُبِ الأَدَبِ العَرَبِيِّ القَدِيْمِ تُثْبَتُ لِصَالِحِ بنِ عَبْدِ القُدُّوْسِ بِالاسْمِ نَفْسِهِ: «القَصِيْدَةِ الزَّيْنَبِيَّةِ» كَمَا فِي مُعْجَمِ الأُدَبَاءِ لِيَاقُوْتِ الحَمَوِيِّ وَأَثْبَتَهَا اليُوْسِيُّ فِي «المُحَاضَرَاتِ فِي الأَدَبِ وَاللُّغَةِ» كَامِلَةً، كَمَا أَوْرَدَهَا الأَتْلِيْدِيُّ وَنَسَبَهَا لِصَالِحِ بنِ عَبْدِ القُدُّوْسِ الَّذِيْ قُتِلَ لِتُهْمَةِ الزَّنْدَقَةِ فِي عَهْدِ الخَلِيْفَةِ العَبَاسِيِّ المَهْدِيِّ، القَصِيْدَةُ بيانٌ فِي الحِكْمَةِ، وَخُلاصَةٌ لِتَجْرِبَةٍ شُعُوْرِيَّةٍ/ ذِهْنِيَّةٍ عَمِيْقَةٍ.

صَـرَمَـتْ حَـبَـالَـكَ بَـعْـدَ وَصْـلِـكَ زَيْـنَـبُ
وَالـدَّهْـرُ فِـيْـهِ تَـغَـيُّـرٌ وَتَـقَـلُّـبُ

نَـشَـرَتْ ذَوَائِـبَـهَـا الَّـتِـيْ تَـزْهُـو بِـهَـا
سُـوْدَاً وَرَأْسُـكَ كَـالـثَّـغَـامَـةِ أَشْـيَـبُ[1]

وَاسْـتَـنْـفَـرَتْ لَـمَّـا رَأَتْـكَ وَطَـالَـمَـا
كَـانَـتْ تَـحِـنُّ إِلَـى لِـقَـاكَ وَتَـرْغَـبُ

---

(١) الثغامةُ: شجرة بيضاء الزهر والثمر ومن المجاز: أثغم رأس الرجل إذا ابيضّ.

وَكَــذَاكَ وَصْــلُ الْــغَــانِــيَــاتِ فَــإِنَّــهُ

آلٌ بِــبَــلْــقَــعَــةٍ وَبَــرْقٌ خُــلَّــبُ[1]

فَــدَعِ الــصِّــبَــا فَــلَــقَــدْ عَــدَاكَ زَمَــانُــهُ

وَازْهَــدْ فَــعُــمْــرُكَ مَــرَّ مِــنْــهُ الأَطْــيَــبُ

ذَهَــبَ الــشَّــبَــابُ فَــمَــا لَــهُ مِــنْ عَــوْدَةٍ

وَأَتَــى الْــمَــشِــيــبُ فَــأَيْــنَ مِــنْــهُ الْــمَــهْــرَبُ

دَعْ عَــنْــكَ مَــا قَــدْ كَــانَ فِــي زَمَــنِ الــصِّــبَــا

وَاذْكُــرْ ذُنُــوبَــكَ وَابْــكِــهَــا يَــا مُــذْنِــبُ

وَاذْكُــرْ مُــنَــاقَــشَــةَ الْــحِــسَــابِ فَــإِنَّــهُ

لا بُــدَّ يُــحْــصَــى مَــا جَــنَــيْــتُ وَيُــكْــتَــبُ

لَــمْ يَــنْــسَــهُ الْــمَــلَــكَــانِ حِــيــنَ نَــسِــيــتَــهُ

بَــلْ أَثْــبَــتَــاهُ وَأَنْــتَ لاهٍ تَــلْــعَــبُ

وَالــرُّوحُ فِــيــكَ وَدِيــعَــةٌ أُوْدِعْــتَــهَــا

سَــتَــرُدُّهَــا بِــالــرَّغْــمِ مِــنْــكَ وَتُــسْــلَــبُ

وَغُــرُورُ دُنْــيَــاكَ الَّــتِــي تَــسْــعَــى لَــهَــا

دَارٌ حَــقِــيــقَــتُــهَــا مَــتَــاعٌ يَــذْهَــبُ

وَالــلَّــيْــلُ فَــاعْــلَــمْ وَالــنَّــهَــارُ كِــلاهُــمَــا

أَنْــفَــاسُــنَــا فِــيــهَــا تُــعَــدُّ وَتُــحْــسَــبُ

وَجَــمِــيــعُ مَــا خَــلَّــفْــتَــهُ وَجَــمَــعْــتَــهُ

حَــقّــاً يَــقِــيــنــاً بَــعْــدَ مَــوْتِــكَ يُــنْــهَــبُ

---

(١) البلقعُ: الأرض الخالية، والآلُ: السَّراب.

تَـبّـاً لِـدارٍ لا يَـدُوْمُ نَـعِـيـمُـهَـا
وَمُـشِـيـدُها عَـمّـا قَـلِـيـلٍ يَـخْـرَبُ
فَـاسْـمَـعْ هُـدِيـتَ نَـصِـيـحَـةً أَوْلاكَـهَـا
بِـرٌّ نَـصُـوحٌ لِـلأَنـامِ مُـجَـرِّبُ
صَـحِـبَ الـزَّمَـانَ وَأَهـلَـهُ مُـسْـتَـبْـصِـرٌ
وَرَأى الأُمُـورَ بِـمَـا تَـؤُوبُ وَتَـعْـقِـبُ
لا تَـأْمَـنِ الـدَّهْـرَ الْـخَـؤُوْنَ فَـإِنَّـهُ
مَـا زَالَ قُـدْمَـاً لِـلـرِّجَـالِ يُـؤَدِّبُ
وَعَـوَاقِـبُ الأَيَّـامِ فِـي غَـصَّـاتِـهَـا
مَـضَـضٌ يُـذَلُّ لـهُ الأَعَـزُّ الأَنْـجَـبُ
فَـعَـلَـيْـكَ تَـقْـوَى الـلَّـهِ فَـالْـزَمْـهَـا تَـفُـزْ
إِنَّ الـتَّـقِـيَّ هُـوَ الْـبَـهِـيُّ الأَهْـيَـبُ
وَاعْـمَـلْ بِـطَـاعَـتِـهِ تَـنَـلْ مِـنْـهُ الـرِّضَـا
إِنَّ الْـمُـطِـيـعَ لَـهُ لَـدَيْـهِ مُـقَـرَّبُ
وَاقْـنَـعْ فَـفِـي بَـعْـضِ الْـقَـنَـاعَـةِ رَاحَـةٌ
وَالْـيَـأْسُ مِـمَّـا فَـاتَ فَـهْـوَ الْـمَـطْـلَـبُ
فَـإِذَا طَـمَـعْـتَ كُـسِـيـتَ ثَـوبَ مَـذَلَّـةٍ
فَـلَـقَـدْ كُـسِـيَ ثَـوْبَ الْـمَـذَلَّـةِ أَشْـعَـبُ
وَتَـوَقَّ مِـنْ غَـدْرِ الـنِّـسَـاءِ خِـيَـانَـةً
فَـجَـمِـيـعُـهُـنَّ مَـكَـائِـدُ لَـكَ تَـنْـصَـبُ
لا تَـأْمَـنِ الأُنْـثَـى حَـيَـاتَـكَ إِنَّـهـا
كَـالأُفْـعُـوَانِ يُـرَاعُ مِـنْـهُ الأَنْـيَـبُ

لاَ تَـأْمَـنِ الأُنْـثَـى زَمَـانَـكَ كُـلَّـهُ

يَـوْمَـاً وَلَـوْ حَـلَـفَـتْ يَـمِـيْـنَـاً تَـكْـذِبُ

تُـغْـرِيْ بِـلِـيْـنِ حَـدِيْـثِـهَـا وَكَـلاَمِـهَـا

وَإِذَا سَـطَـتْ فَـهْـيَ الـصَّـقِـيْـلُ الأَشْـطَـبُ

وَابْـدَأْ عَـدُوَّكَ بِـالـتَّـحِـيَّـةِ وَلْـتَـكُـنْ

مِـنْـهُ زَمَـانَـكَ خَـائِـفَـاً تَـتَـرَقَّـبُ

وَاحْـذَرْهُ إِنْ لاَقَـيْـتَـهُ مُـتَـبَـسِّـمَـاً

فَـالـلَّـيْـثُ يَـبْـدُوْ نَـابُـهُ إِذْ يَـغْـضَـبُ

إِنَّ الْـعَـدُوَّ وَإِنْ تَـقَـادَمَ عَـهْـدُهُ

فَـالْـحِـقْـدُ بَـاقٍ فِـي الـصُّـدُوْرِ مُـغَـيَّـبُ

وَإِذَا الـصَّـدِيْـقُ لَـقَـيْـتَـهُ مُـتَـمَـلِّـقَـاً

فَـهْـوَ الْـعَـدُوُّ وَحَـقُّـهُ يُـتَـجَـنَّـبُ

لاَ خَـيْـرَ فِـي وُدِّ امْـرِئٍ مُـتَـمَـلِّـقٍ

حُـلْـوِ الْـلِـسَـانِ وَقَـلْـبُـهُ يَـتَـلَـهَّـبُ

يَـلْـقَـاكَ يَـحْـلِـفُ إِنَّـهُ بِـكَ وَاثِـقٌ

وَإِذَا تَـوَارَى عَـنْـكَ فَـهْـوَ الْـعَـقْـرَبُ

يُـعْـطِـيْـكَ مِـنْ طَـرَفِ الْـلِـسَـانِ حَـلاَوَةً

وَيَـرُوْغُ مِـنْـكَ كَـمَـا يَـرُوْغُ الـثَّـعْـلَـبُ

وَصِـلِ الْـكِـرَامَ وَإِنْ رَمَـوْكَ بِـجَـفْـوَةٍ

فَـالـصَّـفْـحُ عَـنْـهُـمْ بِـالـتَّـجَـاوُزِ أَصْـوَبُ

وَاخْـتَـرْ قَـرِيْـنَـكَ «وَاصْـطَـفِـيْـهِ» تَـفَـاخُـرَاً

إِنَّ الْـقَـرِيْـنَ إِلَـى الْـمُـقَـارِنِ يُـنْـسَـبُ

إِنَّ الْغَنِيَّ مِنَ الرِّجَالِ مُكَرَّمٌ
وَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْهَبُ

وَيُبَشُّ بِالتَّرْحِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ

وَالْفَقْرُ شَيْنٌ لِلرِّجَالِ فَإِنَّهُ
حَقاً يَهُونُ بِهِ الشَّرِيفُ الأَنْسَبُ

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
بِتَذَلُّلٍ وَاسْمَحْ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا

وَدَعِ الْكَذُوبَ فَلاَ يَكُنْ لَكَ صَاحِباً
إِنَّ الْكَذُوبَ يَشِينُ حُرّاً يَصْحَبُ

وَزِنِ الْكَلاَمَ إِذَا نَطَقْتَ وَلاَ تَكُنْ
ثَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيُعْطَبُ

وَالسِّرُّ فَاكْتِمْهُ وَلاَ تَنْطِقْ بِهِ
إِنَّ الزُّجَاجَةَ كَسْرُهَا لاَ يُشْعَبُ

وَكَذَاكَ سِرُّ الْمَرْءِ إِنْ لَمْ يَطْوِهِ
نَشَرَتْهُ أَلْسِنَةٌ تَزِيدُ وَتَكْذِبُ

لاَ تَحْرِصَنْ فَالْحِرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ
فِي الرِّزْقِ بَلْ يَشْقَى الْحَرِيصُ وَيَتْعَبُ

وَيَظَلُّ مَلْهُوفاً يَرُومُ تَحَيُّلاً
وَالرِّزْقُ لَيْسَ بِحِيلَةٍ يُسْتَجْلَبُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
رَغْداً وَيُحْرَمُ كَيِّسٌ وَيُخَيَّبُ
وَارْعَ الأَمَانَةَ وَالْخِيَانَةَ فَاجْتَنِبْ
وَاعْدِلْ وَلاَ تَظْلِمْ يَطِبْ لَكَ مَكْسَبُ
وَإِذَا أَصَابَكَ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسَلَّماً لاَ يُنْكَبُ
وَإِذَا رُمِيتَ مِنَ الزَّمَانِ بِرِيبَةٍ
أَوْ نَالَكَ الأَمْرُ الأَشَقُّ الأَصْعَبُ
فَاضْرَعْ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَدْنَى لِمَنْ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
كُنْ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الأَنَامِ بِمَعْزَلٍ
إِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَرَى لاَ يُصْحَبُ
وَاحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ
يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحَ الأَجْرَبُ
وَاحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْماً صَائِباً
وَاعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لاَ يُحْجَبُ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِبَلْدَةٍ
وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
فَارْحَلْ، فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةُ الْفَضَا
طُولاً وَعَرْضاً، شَرْقُهَا وَالْمَغْرِبُ
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
فَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

الأُحَيْمِر السَّعْدي

القَصِيْدَة الوحشية

شَاعِرٌ لِصٌّ عَاشَ بَيْنَ الْعَهْدَيْنِ الأمَوِيِّ وَالْعباسِيِّ، كَانَ يَقْرَأُ شِعْرَهُ لِلْوُحُوْشِ وَالرِّيْحِ والصَّحْرَاءِ الْبَعِيْدَةِ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَصِلْنَا مِنْ أشْعَارِهِ إلا بَعْضُ الأبْيَاتِ وَهذِهِ الْقَصِيْدَةُ الْمُعَبِّرةُ عَنْ عُزْلَةِ الْبَشَرِ وأُلْفَةِ الْوُحُوْشِ، وَإذَا كَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ وَحْشِيَّةً فِي بِيْئَتِهَا، فَإنَّهَا أكْثَرُ الأشْعَارِ أُلْفَةً فِي لُغَتِهَا وَمَعَانِيْهَا. قَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ فِي «الشِّعْرِ والشُّعَرَاءِ»: «كَانَ الأحَيْمِرُ لِصّاً كَثِيْرَ الْجِنَايَاتِ، فَخَلَعَهُ قَوْمُهُ، وَخَافَ السُّلْطَانَ، فَخَرَجَ فِي الْفَلَوَاتِ وَقِفَارِ الأَرْضِ.. قَالَ: فَظَنَنْتُ أنِّي قَدْ جِزْتَ نَخْلَ وَبَار[1]، أوْ قَدْ قَرَّبْتُ مِنْها، وَذَلِكَ لأنِّي كُنْتُ أرَى النَّوَى فِي رَجِيْعِ الظبَاءِ[2]، وَصِرْتُ إلَى مَوَاضِعَ لَمْ يَصِلْ أحَدٌ إلَيْهَا قَطُّ قَبْلِيْ. وَكُنْتُ أغْشَى الظِّبَاءَ وغيْرَهَا مِنَ

---

(١) أرضُ وَبَار: أرضٌ سكنها قومُ عادٍ، تزعمُ العرب أنه بعد أنْ هَلَكَ قَومُ عاد سكنها الجنُّ.

(٢) النَّوَى: نواة التمر، والرَّجِيْعُ: ما تخلفه الظباء من فضلات، يريد أن مراعي الظباء كانت في تلك الأشجار لأنه وجد في فضلاتِ الظباء نوى من تمر أشجار تلك النخيل: «نخيل وبار»

بَهَائِمِ الْوَحْشِ فَلاَ تَنْفِرُ مِنّي، لأَنَّها لَمْ تَرَ غَيْرِيَ قطُّ وَكُنْتُ آخُذُ مِنْهَا لِطَعَامِيَ مَا شِئْتُ، إلا النَّعَامَ، فإنِّي لَمْ أرَهُ قطُّ إلا شَارِداً فَزِعاً».

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذِّئْبِ إِذْ عَوَى
وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

يَرَى اللَّهُ إِنِّي لِلأَنِيسِ لَكَارِه
وَتُبْغِضُهُمْ لِي مُقْلَةٌ وَضَمِيرُ

فَلِلَّيلِ إِنْ وَارَانِيَ اللَّيلُ حُكْمُهُ
وَلِلشَّمْسِ إِنْ غَابَتْ عَلَيَّ نُذُورُ

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أُرَىٰ
أُجَرِّرُ حَبْلاً لَيْسَ فِيهِ بَعِيرُ

وَأَنْ أَسْأَلَ الْوَغْدَ اللَّئِيمَ بَعِيرَهُ
وَبِعْرَانُ رَبِّي فِي الْبِلادِ كَثِيرُ

لَئِنْ طَالَ لَيْلِي بِالْعِرَاقِ لَرُبَّمَا
أَتَىٰ لِيَ لَيْلٌ بِالشَّآمِ قَصِيرُ

مَعِي فِتْيَةٌ بِيضُ الوُجُوهِ كَأَنَّهُم
عَلَى الرَّحْلِ فَوْقَ النَّاعِجَاتِ بُدُورُ

أَيَا نَخَلاتِ الْكَرْمِ لا زَالَ رَائِحاً
عَلَيْكُنَّ مُنْهَلُّ الْغَمَامِ مَطِيرُ

سُقِيتُنَّ مَا دَامَتْ بِكَرْمَانَ نَخْلَةٌ
عَوَامِرَ تَجْرِي بَيْنَكُنَّ بُحُورُ

سُقِيتُنَّ مَا دَامَتْ بِنَجْدٍ وَشِيجَةٌ
وَلا زَالَ يَسْعَىٰ بَيْنَكُنَّ غَدِيرُ

أَلاَ حَبَّذَا الْمَاءُ الَّذِي قَابَلَ الْحِمَى
وَمُرْتَبِعٌ مَنْ أَهْلِنَا وَمَصِيرُ
وَأَيَّامُنَا بِالْمَالِكِيَّةِ إِنَّنِي
لَهُنَّ عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ ذَكُورُ
وَيَا نَخَلاتِ الْكَرْخِ لا زَالَ مَاطِرٌ
عَلَيْكُنَّ مُسْتَنُّ الرِّيَاحِ دَرُورُ
وَمَا زالَتِ الأَيَّامُ حَتَّى رَأَيْتُنِي
بِدَوْرَقَ مُلْقَى بَيْنَهُنَّ أَدورُ
تُذَكِّرُنِي أَظْلالُكُنَّ إِذَا دَجَتْ
عَلَيَّ ظِلالَ الدَّوْمِ وَهْيَ هَجِيرُ
وَقَدْ كُنْتُ رَمْلِيّاً فَأَصْبَحْتُ ثَاوِياً
بِدَورَقَ مُلْقَى بَيْنَهُنَّ أَدُورُ
وَقَدْ كُنْتُ ذَا قُرْبٍ فَأَصْبَحْتُ نَازِحاً
بِكَرْمانَ مُلْقى بَيْنَهُنَّ أَدورُ
وَنُبِّئْتُ أَنَّ الْحَيَّ سَعْداً تَخَاذَلُوا
حَمَاهُمْ وَهُمْ لَو يَغْضَبُونَ كَثِيرُ
أَطَاعُوا لِفِتْيَانِ الصَّبَاحِ لِئَامَهُمْ
فَذُوقُوا هَوَانَ الْحَرْبِ حَيْثُ تَدُورُ
خَلا الْجَوْفُ مِنْ قُتَّالِ سَعْدٍ فَمَا بِهَا
لِمُسْتَصْرِخٍ يَدْعُو الثُّبُورَ نَصِيرُ
نَظَرْتُ بِقَصْرِ الأَبْرَشِيَّةِ نَظْرَةً
وَطَرْفِي وَرَاءَ النَّاظِرِينَ بَصِيرُ

فَرِدٌ عَلَيَّ الْعَيْنَ أَنْ أَنْظُرَ الْقُرَى
قُرَى الْجَوْفِ نَخْلٌ مُعْرِضٌ وَبُحُورُ

وَنَبْهَاءُ يَزْوَرُّ الْقَطَا عَنْ فَلاتِهَا
إِذَا عَسْبَلَتْ فَوْقَ الْمِتَانِ حَرُوْرُ

كَفَى حَزَناً أَنَّ الْحِمَارَ بنَ بَحْدَلٍ
عَلَيَّ بِأَكْنَافِ السِّتَارِ أَمِيرُ

وَأَنَّ ابنَ مُوسى بَائِعَ الْبَقْلِ بِالنَّوَى
لَهُ بَيْنَ بَابٍ وَالسِّتَارِ خَطِيرُ

وَإِنِّي أَرَى وَجْهَ الْبُغَاةِ مُقَاتِلاً
أُدَيْرَةَ يَسْدِي أَمْرَنَا وَيُنِيرُ

هَنِيئاً لِمَحْفُوظٍ عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا
وَلابنِ لَزَّازٍ مَغْنَمٌ وَسُرُورُ

أَنَاعِيمُ يَحْوِيهِنَّ بِالْجَرَعِ الْغَضَا
جَعَابِيبُ فِيهَا رِثَّةٌ وَدُثُورُ[1]

---

(١) الأناعيمُ: جَمْعُ الجمع للأنعام وهي الإبل، وجعابيب: جَمْعُ جعبوب وهو الدميم القصير، وقيل هو الدنيء من الرجال.

الْفَارِعَةُ الْخَارِجِيَّةُ

بُكَائِيَّةٌ عَلَى الْخَابُوْر

لاْ يَكَادُ يَخْلُوْ كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الْحماسَاتِ أَوْ سَائِرِ الْمُخْتَارَاتِ الشُّعْرِيَّةِ الْقَدِيْمَةِ أَوْ كُتُبِ الْبَلاغَةِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ الْفَرِيْدَةِ أَوْ بَعْضِ أَبْيَاتِهَا، وَلَعَلَّها أَجْمَلُ مَرْثيةٍ قَالَتْهَا امْرأةٌ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ، تُضَاهِي بِهَا مَرَاثِي الْخَنْساءِ لأَخِيْهَا صَخْرٍ.

قَالَتْهَا الْفَارِعَةُ الْخَارِجِيَّةُ، وفِي بَعْضِ الْكُتُبِ اسْمُها: لَيْلَى الشَّيْبَانِيَّةُ، فِي أَخِيْهَا الْوَلِيْدِ بن طَرِيْفٍ الشَّارِيِّ قَائِدِ الْخَوارِجِ الشُّرَاةِ فِي عَهْدِ هَارُوْنِ الرَّشِيْدِ، الَّذِيْ قَتَلَه يَزِيْدُ بنُ مِزْيَدٍ الشَّيْبَانِيُّ عَلَىْ أَطْرَافِ الْمَوْصِلِ وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا قَرَابةٌ، تَقُوْلُ كُتُبُ الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ سَارَتْ بَيْن الرُّكْبَانِ، وَلِذَلِكَ أَثْبَتَها ابنُ خِلِّكَانَ كَامِلةً فِي وَفَيَاتِهِ، لَمَا تَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ غَرَابة وَحُسْنٍ، منْ شَاعِرَةٍ أَجَادَتْ «وَهْيَ قَلَّمَا تَجُوْد»

بِـتَـلِّ نُـبَـاْتَـىْ رَسْـمُ قَـبْـرٍ كَـأَنَّـهُ   عَلَىْ جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَاْلِ مُنِيفِ[1]

---

(١) تلُّ نباتى: تلٌّ في نواحي الموصل وقيل في نصيبين.

نَضَمَّنَ جُوْداً حَاتِمِيّاً وَنَائِلاً ... وَسَوْرَةَ مِقْدَامٍ وَرَأْيَ حَصِيفِ

أَلا قَاتَلَ اللَّهُ الْجُثَا كَيفَ أَضْمَرَتْ ... فَتىً كَانَ لِلْمَعْرُوفِ غَيرِ عَيُوفِ (١)

فَإِلاَّ تُجِبْنِي دِمْنَةٌ هِيَ دُوْنَهُ ... فَقَدْ طَالَ تَسْلِيمِي وَطَالَ وُقُوفِي

وَقَدْ عَلِمَتْ أَنْ لاَ ضَعِيفاً تَضَمَّنَتْ ... إِذَا عَظُمَ الْمَرْزِى ولا اِبنَ ضَعِيفِ

خَفِيفٌ عَلَىٰ ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا ... وَلَيسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ

فَتىً لاَ يَلُوْمُ السَّيفَ حِينَ يَهُزُّهُ ... عَلَىٰ مَا اِخْتَلَىٰ مِنْ مِعْصَمٍ وَصَلِيفِ (٢)

فَتىً لا يُحِبُّ الزَّادَ إِلاَّ مِنَ التُّقَىٰ ... وَلا الْمَالَ إِلاَّ مِنْ قَناً وَسُيُوفِ

وَلا الْخَيلَ إِلاَّ كُلَّ جَرْدَاءَ شَطْبَةٍ ... وَكُلَّ حِصَانٍ بِالْيَدَينِ غَرُوْفِ (٣)

وَلاَ الذُّخْرَ إِلاَّ كُلَّ جَرْدَاءَ صَلْدَمٍ ... معاودةٍ للكرِّ بَينَ صُفُوْفِ (٤)

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ هُنَاكَ وَلَمْ تَقُمْ ... مَقَاماً عَلَى الأَعْدَاءِ غَيرَ خَفِيفِ

وَلَمْ تَسْتَلِمْ يَوْماً لِرَدِّ كَرِيهَةٍ ... مِنَ السَّرْدِ فِي خَضْرَاءَ ذَاتِ رَفِيفِ

وَلَمْ تَسْعَ يَوْمَ الْحَرْبِ، وَالْحَرْبُ لاقِحٌ ... وَسُمْرُ الْقَنَا يَنْكُزْنَهَا بِأُنُوفِ (٥)

وَمَا زَالَ حتَّى أَزْهَقَ الْمَوْتُ نَفْسَهُ ... شَجاً لِعَدُوٍّ أَوْ لَجاً لِضَعِيفِ

فَإِنْ يَكُ أَرْدَاهُ يَزِيدُ بنُ مِزْيَدٍ ... فَيَا رُبَّ خَيلٍ فَضَّهَا وَصُفُوفِ

فَيَا شَجَرَ الْخَابُوْرِ مَا لَكَ مُوْرِقاً ... كَأَنَّكَ لَمْ تَجزَعْ عَلى ابْنِ طَرِيفِ

حَلِيفِ النَّدَىٰ مَا عَاشَ يَرْضَىٰ بِهِ النَّدَىٰ ... فَإِنْ مَاتَ لاَ يَرْضَى النَّدَىٰ بِحَلِيفِ

---

(١) الجثا: التراب المتجمع مشكلاً هيئة القبر.

(٢) الصليف: جانب العنق.

(٣) الأجردُ من الخيول: الذي لا شعر على جسده، وفرس شطبة: طويلة حسنة.

(٤) الصلدمُ: الجواد القوي الشديد الحافر.

(٥) النكزُ: الغرز واللسع.

فَقَدْنَاكَ فُقْدَانَ الرَّبِيعِ وَلَيْتَنَا   فَدَيْنَاكَ مِنْ سَادَاتِنَا بِأُلُوفِ

ألا يَا لَقَوْمِي لِلْحِمَامِ وَلِلْبَلَى   وَلِلأَرْضِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِرُجُوفِ

ألا يَا لَقَوْمِي لِلنَّوَائِبِ وَالرَّدَى   وَدَهْرٍ مُلِحٍّ بِالْكِرَامِ عَنِيفِ

وَلِلبَدْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ إِذْ هَوَى   وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُسُوفِ

وَلِلَّيْثِ فَوْقَ النَّعْشِ إِذْ يَحْمِلُونَهُ   إِلَى حُفْرَةٍ مَلْحُودَةٍ وَسُقُوفِ

بَكَتْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ يَوْمَ وَفَاتِهِ   وَأَبْرَزَ مِنْهَا كُلُّ ذَاتِ نَصِيفِ

يَقُلْنَ وَقَدْ أَبْرَزْنَ بَعْدَكَ لِلْوَرَى   مَعَاقِدَ حُلْيٍ مِنْ بَرَىً وَشنوفِ[1]

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ مِصَاعاً وَلَمْ تَقُمْ   مَقَاماً عَنِ الأَعْدَاءِ غَيْرِ خَفِيفِ[2]

وَلَمْ تَشْتَمِلْ يَوْمَ الْوَغَى بِكَتِيبَةٍ   وَلَمْ تَبْدُ فِي خَضْرَاءَ ذَاتِ رَفِيفِ

دِلاصٍ تَرَى فِيهَا كُدُوحاً مِنَ الْقَنَا   وَمِنْ ذُلُقٍ يَعْجِمْنَهَا بحروفِ[3]

وَطَعْنَةِ خَلْسٍ قَدْ طَعَنْتَ مُرِشَّةٍ   عَلى يَزَنِيٍّ كَالشِّهَابِ رَعُوفِ[4]

وَمَائِدَةٍ مَحْمُودَةٍ قَدْ عَلَوْتَهَا   بِأَوْصَالِ بُخْتِيٍّ أَحَذَّ عَنِيفِ[5]

---

(١) البري: قرطٌ في الأنف والشنوف: القرط في الإذن.

(٢) المصاع: المبارزة بالسيوف.

(٣) الدلاص: الدرع الملساء اللينة، والكدوحُ: الخدوشُ، والذُلق: السيوفُ، دلالة على حدَّتها.

(٤) طعنةٌ خَلسٍ: طعنةٌ مخاتلةٌ وحذرةٌ، وطعنةٌ مُرِشَّةٌ: لَها رَشاشٌ من الدَّم.

(٥) البختي: نوعٌ من الإبلِ الخراسانية، والأحذّ: السَّريع.

إبْنُ أَبِي السعْلات

الْقَصِيْدَةُ الْمَنْسِيَّة

هَذِهِ شَهَادَةٌ شِعْرِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٌ لِشَاعِرٍ كُوْفِيٍّ، عَنْ عَصْرٍ قَالَ الْمُؤَرِّخُوْنَ إِنَّهُ زَاهِرٌ. لَكِنَّ ابْنَ أَبِي السَّعْلاتِ يَكْشِفُ عَنْ وَجْهٍ آخَرَ لِذَلِكَ الْعَصْرِ حَيْثُ يَفْضَحُ الْفَسَادَ الإِدارِيَّ فِي الْكُوْفَةِ خِلالَ فَتْرَةِ الْمَأْمُوْنِ، واسْتِبْدَادِ الإقْطَاعِ وَالْوُلاةِ والْقَضَاةِ وَأَصْحَابِ الْخَرَاجِ، فِيْ لَفْتَةٍ نَادِرَةٍ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ خَلالَ ذَلِكَ الْعَصْر.

هُوَ شَاعِرٌ مَغْمُوْرٌ حَقّاً، لَمْ تُؤَرِّخْ لَهُ الْمَصَادِرُ، وَلَوْلا مَا أَرَّخَهُ هُوَ عَنْ عَصْرِهِ لَمَا عَرَفْنَا إِلَى أَيِّ عَصْرٍ يَنْتَمِيْ، فَقَدْ أَغْفَلَتْهُ جَمِيْعُ الْمَصَادِرِ الأَدَبِيَّةِ تَقْرِيْبَاً، وَلَمْ يَذْكُرْهُ إِلا طَيْفُوْرُ فِي الْمَنْثُوْرِ وَالْمَنْظُوْم: ضِمْنَ الْقَصَائِدِ الْمُفْرَدَاتِ الَّتِيْ لا مَثِيْلَ لَهَا[1] وَيَبْدُوْ أَنَّهُ الْمَصْدَرُ الْوَحِيْدُ عَنْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ الَّتِي لا مَثِيْلَ لَهَا حَقّاً خَاصَّةً فِي مَوْضُوْعِهَا، وَجُرْأَتِهَا.

---

(١) «المنثور والمنظوم ـ القصائدُ المفرداتُ التي لا مثيل لها تأليف أبي الفضل طيفور، تحقيق محسن غياض وعنه نقل إبراهيم النجار في الجزء الرابع من كتابه: «شعراء عباسيون منسيون»

قَصِيْدَةٌ مَنْسِيَّةٌ نَادِرَةٌ تُعَبِّرُ عَنْ غُرْبَةٍ مُرَكَّبَةٍ: غُرْبَةِ الرُّوْحِ وَانْحِسَارِ التَّوَاصُلِ، وَغُرْبَةٍ لُغَوِيَّةٍ ثَقَافِيَّةٍ عَمِيْقَةٍ.

أَلَمْ تَرَ أَنِّي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
لَهُنَّ صُرُوْفٌ بِالْفَتَى تَتَصَرَّفُ

تَبَدَّلْتُ بِالْمِصْرِ السَّوَادَ فَلَمْ يَكُنْ
بِهِ بَدَلاً أَعْتَاضُ عَنْهُ وَأُخْلَفُ

يُرَاطِنُنِي أَنْبَاطُهُ مِنْ كَلامِهَا
بِمَا لَيْسَ مِنْهُ مَا أُبِيْنُ وَأَعْرِفُ

وَلا يَعْرِفُونَ الْقَوْلَ مِنِّي كَأَنَّنِي
أُحَاوِلُ أَعْيَارَ السُّيُوفِ وَتَكْرِفُ[1]

إِذا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى اِمْرَءاً نَاكَ أُمَّهُ
سَيَزْعُمُ جَهْلاً أَنَّ ذَلِكَ أَشْرَفُ

وَمُعْتَصِمٍ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ قَلْبُهُ
وَيُظْهِرُ قَوْمٌ أَنَّهُ مُتَحَنِّفُ

تَعَرَّوا مِنَ الأَخْلاقِ إِلاّ سِعَايَةً
فَكُلُّهُم فِيْهَا يَخُبُّ وَيُوجِفُ[2]

وَأَصْدَقُهُم فِي الْقَوْلِ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
وَأَوْفَاهُمُ بِالْوَعْدِ مَنْ هُوَ مُخْلِفُ

---

(١) أعيارُ السيوف: أي السيوف التي تكون بها نتوءات من وسطها، وتكرف: تشمُّ ولا تستطيبُ فَتَبْتَعِدُ.

(٢) السِّعايةُ: أن يسعى أحدُهم للإيقاع بصاحبه، لدى أولي الأمر، وهي الوشاية لدى السُّلطة.

فَـلا قَـدَّسَ الـلَّـهُ الـزَّمَـانَ مَـحَـلَّـهُ
وَلا زالَ عَـنْـهُ نَـافِـعُ الـغَـيْـثِ يُـصْـرَفُ
بِـلادٌ يُـضَـرُّ الْـحُـرُّ فِـيـهَـا بِـنَـفْـسِـهِ
وَيُـعْـتَـبُ فِـيـهَـا الْـمُـسلِـمُ الْـمُـتَـعَـفِّـفُ
فَـمِـنْـهَـا الـنَّـجَـا ثُـمَّ الـنَّـجَـا نَـحْـوَ بَـلْـدَةٍ
تُـكَـرَّمُ فِـيـهَـا مَـا أَتَـيْـتَ وَتُـتْـحَـفُ
بِـهَـا مِـنْ مَـوَالِـيـكَ الأَقَـارِبِ عُـصْـبَـةٌ
تُـحَـدِّبُـهـا قُـرْبَـى عَـلَـيْـكَ وَتَـعْـطِـفُ
إِذَا سَـامَـكَ الْـمَـرْءُ الْـعَـزِيـزُ ظُـلامَـةً
أَبَـتْ ذَاكَ أَسْـيَـافٌ وَسُـمْـرٌ تُـثَـقَّـفُ
إِلَـى الـلَّـهِ أَشْـكُـو مَـا لَـنَـا مِـنْ ظُـلامَـةٍ
وَفِـي الـلَّـهِ لِـلْـمَـظْـلـومِ كَـافٍ وَمُـنْـصِـفُ
تَـحَـيَّـفُـنَـا الـعُـمَّـالُ مِـن كُـلِّ جَـانِـبٍ
وَلا يُـسْـتَـطَـاعُ الْـعَـامِـلُ الْـمُـتَـحَـيِّـفُ[1]
بِـكُـوفَـتِـنَـا وَالٍ عَـلَـى صَـلَـوَاتِـنَـا
ظَـلُـومٌ غَـشُـومٌ ظَـاهِـرُ الـفِـسْـقِ مُـتْـرَفُ
وَقَـاضٍ ضَـعِـيفُ الْـحِـلْـمِ وَالْـعَـقْـلِ جَـاهِـلٌ
يَـصُـدُّ عَـنِ الْـحَـقِّ الْـمُـبِـيـنِ وَيَـجْـنَـفُ[2]

---

(١) تَحَيَّفنا: أحاطوا بنا من كلِّ جانب، والعامل: الوالي، والْمُتحيِّف من الحيف: الجور والظلم.

(٢) الْجَنَفُ، الْمَيْلُ والْجَوْرُ والعُدُولُ، ومنه قَوْلُه تعالَى في سورة البقرة آية ١٨٢: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾.

يُـغِـيْـرُ عَـلـى أَمْـوَالِـنـا وَضِـيَـاعِـنَـا
فَـيُسْـعِـدُهُ الْـقَـاضِـي عَـلَـيْـهَـا وَيَـكْـنُـفُ[1]

فَـإِن لَـفَّـفَ الـوَالِـي عَـلَـيْـنَـا شُـهُـوْدَهُ
زَكـا عِـنْـدَ قَـاضِيـنـا الشَّـهِـيْـدُ الْـمُـلَـفَّـفُ[2]

وَحُـجَّـتُـنَـا لا تُـقْـبَـلُ الـدَّهْـرَ عِـنْـدَهُ
وَشَـاهِـدُنَـا عَـنْ عَـمْـدِ عَـيْـنٍ مُـوَقَّـفُ

فَـرَزْنَـا إِلَـى الْـقَـاضِـيْ مَـخَـافَـةَ غَـيْـرِهِ
فَـكَـانَ مِـنَ الْـقَـاضِـي الَّـتِـي هِـيَ أَخْـوَفُ

وَأَضْـحَـى عَـلَـيْـنَـا عَـامِـلانِ بِـبـابِـلٍ
أَخُـو ذَنَـبٍ لا خَـيْـرَ فِـيْـهِ وَأَقْـلَـفُ

فَـمَـا فِـيْـهِـمُ إِلاّ مُـوَارٍ خِـزَايَـةً
هِـيَ الـسَّـوْأَةُ الـسَّـوآءُ إِنْ لَـمْ يُـكَـشَّـفُـوا[3]

يَـسِـيْـرانِ فِـيْـنـا سِـيْـرَةً مَـا أَتَـى بِـهَـا
رَسُـوْلٌ وَلا وَحْـيٌ مِـنَ الـلَّـهِ يُـعْـرَفُ

وَلَـمْ يَـكُ فِـي عَـهْـدِ الأَمِـيْـرِ إِلَـيْـهِـمَـا
أَمِـيْـرُكَ أَتْـقَـى لِـلإِلَـهِ وَأَنْـصَـفُ

---

(١) يكنفه، يرعاه.

(٢) لفَّفَ: لفق وزوَّر: والمُلفَّف: المُزوَّر، وهي مجاز من الرجل الملفف: أي المتدثِّر.

(٣) الخزايةُ: من الخزي، وهي استحياء الإنسان من شيء أو فعل قبيح أتاه، وقد تصرفنا بقافية البيت، لأنها وردت «لم يكشفُ» بالضم، لدى كلٍّ من طيفور والنجار، وليس بواو الجماعة، وهذا خطأ، كما أن المعنى لا يستقيم إلا إذا أخذنا بهذا التعديل المذكور.

وَلا إمتَثلا فِينَا سِوَى «بُخْتِنَصَّرٍ»
فَإنَّهُمَا مِنْهُ لَأعْتَى وَأَعْسَفُ[1]

فَظَاظَةُ هَذَا نَشْتَكِيهَا وَعُنْفَهُ
وَهَا ذَاكَ مِنْ هَذَا أَفَظُّ وَأَعْنَفُ

أَتَعْجَبُ مِنْ عَمْرٍو لأنْ كَانَ وَالِيَاً
وَذَلِكَ مِن إبنِ النَّبِيطَةِ أظْرَفُ

وَمَا مِنْهُمَا إلاّ إرتَدَى لُؤْمَ أَصْلِهِ
وَمَا مِنْهُمَا إلاّ بِهِ مُتَلَحِّفُ[2]

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنّي الأَمِيرَ رِسَالَةً
كَأَحْسَنِ مَا يُبْنَى الْكَلامُ وَيُرْصَفُ

بِأنْ قَدْ أتى الْعِلْجَانُ مَا لَوْ عَلِمْتَهُ
لَنَكَّلَ بِالعِلْجَيْنِ عِنْدَكَ مَوْقِفُ[3]

لَقَدْ أَلْزَمَا أَهْلَ الضِّيَاعِ مَؤُونَةً
تُحِيطُ بِغِلاّتِ الضِّيَاعِ وَتُجْحِفُ

نَواصِبُ سُوءٍ أَلَّفَ السُّوءُ بَيْنَهَا
كَمَا ضُمَّ بِالشَّعبِ الإنَاءُ الْمُؤَلَّفُ[4]

---

(١) بختنصرٌ: هو نبوخذنصّر الثاني أو بختنصر الكلداني أشهر ملوك بابل، اجتاح منطقة بلاد الشام، ودمر أورشليم «القدس» وسبا عشرات الآلاف من سكان منطقة بلاد الشام إلى بابل، ووضعه الشاعرُ هنا رمْزاً للطغيان والعسف.

(٢) في الأصل: وردت «متحلّف» ولعلّهُ خطأ في التصحيف، والأصح: متلحّفُ، وما يزيد هذا التخريج، كلمة «ارتدى» في صدر البيت.

(٣) العلجُ: الرجلُ الغليظُ الشَّدِيْدُ. وقيل: هو الكافرُ من العجم.

(٤) الشّعبُ: من الأضداد وتعني التقسيم والْجَمْعَ، وهي هنا بالمعنى الثاني: الجمع.

إِذا نَــزَلا فِــي قَــرِيَــةٍ غَــابَ سَــعْــدُهــا
وَيَــوْمُــهُــمَــا بَــادِي الْــكَــوَاكِــب أَكْــسَــفُ
وَدَبَّــابَــةٍ لا أَحْــسَــنَ الــلَّــهُ حِــفْــظَــهَــا
تَــظَــلُّ عَــلَــى غَــلاّتِــنَــا تَــتَــطَــوَّفُ
إِذَا مَــا اِسْــتَــشَــارَتْ دِرْهَــمــاً مِــنْ مَــكَــانِــهِ
تَــضَــمَّــنَــهُ سَــيْــرٌ عَــلــى الــعَــضْــدِ أَجْــوَفُ[1]
وَمُــسْــتَــخْــلِــفٍ قَــدْ عَــاشَ مِــنْ قَــبْــلِ حَــقِّــهِ
يُــدَانُ عَــلَــى أَمْــوَالِــنَــا وَيُــسَــلِّــفُ
إِذَا حَــاوَلَ الأَرْزَاقَ مِــنْــهَــا رَأَيْــتَــهُ
يُــضَــرِّبُ أَبْــشَــارَ الــعُــلُــوجِ وَيَــكْــشِــفُ[2]
وَيُــغْــضِــبُ عَــمْــدَاً نَــفْــسَــهُ كَــيْ نَــخَــافَــهُ
فَــنَــحْــنُ حَــوَالَــيْــهِ نُــفَــدِّي وَنُــلْــطِــفُ
وَلَــنْ يَــنْــفَــعَ الإِلْــطَــافُ إِلاّ بِــصُــرَّةٍ
تُــدافِــعُ عَــنَّــا بَــعْــضَ مَــا نَــتَــخَــلَّــفُ
فَــأَرْزَاقُ عُــمَّــالِ الــرَّسَــاتِــيــقِ سُــنَّــةٌ
عَــلَــيْــنَــا شُــهُــورَ الْــحَــوْلِ مَــا نَــتَــخَــوَّفُ[3]
فَــإِنْ نَــزَلُــوا يَــوْمَــاً بِــنَــا فَــجِــدَاؤُنَــا
تُــعَــاجَــلُ ذَبْــحَــاً وَالــدَّجَــاجُ الْــمُــعَــلَّــفُ

(١) السَّيرُ: قطعةٌ من الْجِلْدِ تستعملُ قيداً ووثاقاً.
(٢) أبشارٌ: جَمْعُ بَشَرَة، بمعنى: يضربُ وجوهَهُم.
(٣) الرساتيقُ: النواحي والأريافُ عند أطراف المدن.

وَيَـخْـرُجُ مِـنَّـا «الأَشْـتَـيَـامُـونَ» سُـخْـرَةً
وَيَـغْـرِفُ ظُـلْـمَـاً دِرْهَـمَـيْـهِ الْـمُـحَـلَّـفُ[1]

وَلِـلْـحَـازِرِ الْـخَـرَّاصِ فِـي الْـحَـزْرِ عِـفَّـةٌ
فَـلا تَـهُـنَ لِـلْـحَـزَّارِ مـا يَـتَـعَـفَّـفُ[2]

وَفِـي فَـتْـحِ أَبْـوَابِ الـبَـيَـادِرِ مُـثْـلَـةٌ
يُـكَـلِّـفُـهَـا وَالـظُّـلْـمُ مِـمَّـا يُـكَـلِّـفُ[3]

وَمَـا فَـارَقَـتْـنَـا فِـي الـدِّيَـاسِ عِـصَـابَـةٌ
تَـلُـجُّ عَـلَـيْـنَـا بِـالْـعَـذَابِ وَتَـعْـنُـفُ[4]

---

(١) الاشتيامون: الملاحُون، وهي مفردُ «اشتيام» وهو رئيس الرُّكَّاب على السَّفينة كما جاء في لسان العرب، ويبدو أن اللفظة أعجمية مولَّدة وقد وردت في شعر البحتري على هذا النحو:

إذا زَمْـجَـرَ الـنُّـوتِـيُّ فَـوْقَ عَـلاتِـهِ ... رَأَيْـتَ خَـطِـيـبـاً فِـي ذُؤابَـةِ مِـنْـبَـرِ
يَـغُـضُّـونَ دُونَ الإشْـتِـيَـامِ عُـيُـونَـهُـمْ ... وَفَـوْقَ الـسِّـمَـاطِ لِـلْـعَـظِـيـمِ الْـمُـؤَمَّـرِ
إذا عَصَفَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهَا ... جَنَاحَا عُقَابٍ فِي السَّمَاءِ مُهَجِّرِ

(٢) الحازرُ الخرَّاص: الذي يخمِّنُ ما على النَّخْلِ من رُطَبٍ وَتَمْرٍ، والخرَّاصُ أيضاً: الكذَّاب.

(٣) المُثْلَةُ: العُقُوبَةُ والتَّنْكِيلُ، ومَثَلْتُ به أمْثُلُ، ومنه قَوْلُه تعالى في سورة الرعد آية ٦: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ وقُرئ: «الْمُثُلاتُ» بضَمِّ المِيمِ و«الْمُثْلاتُ» بتَسْكِيْنِ الثَّاءِ.

(٤) الدياسُ: فرز حبوب القمح والشعير عن السَّنابل المتكسرة من الدِّياس «الدَّوْس بالقدمين أو بواسطة الثيران» لبيعها في السُّوق أو للادِّخار في موسم حصاد الحبوب بأنواعها، ويسبقُ الدِّيَاسَ، الصِّرامُ: وهو قطعُ سنابلِ القمحِ وجَمعُها، وبعد ذلك يبدأ «الدِّيَاسُ».

وَلَـمَّـا أتـى الـغَـلاَّت قَـالَـتْ قُـلُـوُبُـنـا
كُـلُـومٌ مِـنَ الـغَـلاَّتِ مَـا تَـتَـهَـرَّفُ[1]

وَقَـدْ قَـسَـمُـوا بِـالـتُّـرَّهَـاتِ طَـعَـامَـنَـا
وَكَـيْـلُـهُـمُ فِي الْقَـلْـبِ سَرْدٌ مُطَـفَّـفُ[2]

وَعـادُوا عَـلَـيْـنَـا آخِـذِيـنَ نَـقَـائِـصَـاً
فَـيَـا مَـنْ رَأى كَـرَمَـاتِـنـا كَـيْـفَ تُـنْـسَـفُ

وَقَـدْ أَخَـذَ الـكَـيَّـالُ أَضْـعَـافَ أَجْـرِهِ
سِوَى بَهْمَةٍ كانَتْ عَلى الأَرْضِ تَضْعُفُ[3]

فَـلَـمْ يَـبْـقَ لِـلْـحَـرَّاثِ إلاّ حُـثَـالَـةٌ
يَـظَـلُّ لَـدَيْـهَـا قَـائِـمَـاً يَـتَـلَـهَّـفُ

وَمُـسـتَـخْـرِجٍ يُـعْـطَـى مِـنَ الـكَـيْـلِ شَـرْطَـهُ
وَإلاّ فَـإِنَّ الـصَّـكَّ فِـي الْـوَجْـهِ يُـقْـذَفُ

وَلِـلْـجِـهْـبِـذِ الـصَـرَّافِ لِـلأَلْـفِ خَـمْـسَـةٌ
وَسَـبْـعُـونَ مِـنَّـا وَافِـيَـاتٌ وَنَـيِّـفُ[4]

وَكُـتَّـابِ سُـوْءٍ إنْ سَـأَلْـتَ حِـسَـابَـهُـم
وَلَـمْ تُـرِهِـمْ أَوْسَـاخَ نَـقْـدِكَ سَـوَّفُـوا

---

(١) الغلاتُ: جَمْعُ غلة، وهو الدَّخْل من كِراءِ دار وأَجْر غلام وفائدة أَرض، وما تتهرَّف: لا تذهب بسرعة.

(٢) تُطْفِيفُ: نَقْصٌ يَخُونُ به صاحبُه في كَيْلٍ أَو وَزْنٍ، ومنه قولُهُ تعالى في سورة المطففين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾.

(٣) البهمةُ: أولادُ الغنم، يستوي فيها المذكر والمؤنث.

(٤) الْجِهْبِذُ: بكسر الجيم، مُعرَّب، هو منتقدُ الدَّراهم العارف بها.

وَوَالٍ فُتُوحٍ يَجْتَبِينَا ضَرَائِباً

يُؤَنِّبُ فِي إِبْطائِها وَيُعَنِّفُ[1]

إِذَا نَحْنُ أَدَّيْنَا إِلَيْهِ ضَرِيبَةً

يَعُودُ لأُخْرَى يَقْتَضِيهَا فَيُلْحِفُ

فَمَا نَحْنُ لابْنِ الفَتْحِ إِلاّ حَمُولَةٌ

تُحَمَّلُ أَعْبَاءَ الصِّغَارِ وَتوكَفُ[2]

وَوَالِي حَوَالِيْ يَجْتَبِي صَدَقَاتِنَا

لَدَيْهِ مِنَ النُكْرَاءِ مَا لَيْسَ يُعْرَفُ

يُصَدِّقُ أَهلَ الكُفرِ بِاللَّهِ سُنَّةً

يُخَالِفُهُ فِيهَا رَسُولٌ وَمُصْحَفُ

وَيُلزِمُ مَنْ لَمْ يَكْفُرِ اللَّهَ جِزْيَةً

وَذَلِكَ ظُلْمٌ ظَاهِرٌ مُتَكَشِّفُ

وَلا عُذْرَ إِلاّ مِنْ أُمُورٍ مَعُونَةٍ

عَلَى الخَصْمِ فِي أَحْكَامِهِ يَتَعَجْرَفُ

تَرَاهُ عَلَى دُكَّانِهِ مُتَقَلِّباً

يُراصِدُ مَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ

بَطِينٌ إِذَا كَانَ التَّشاحُنُ بَيْنَنَا

وَفِي سِلْمِنا طَاوِي الخَوَاصِرِ أَهْيَفُ

---

(١) يُعنِّفُ: من التعنيف وهو اللوم والتوبيخ والتقريع.

(٢) الحمولةُ: التي تطيق حمل الأثقال، وهي هنا تخصُّ الجماعة التي تحمل الديَّات عن أبنائها، وتوكف: تأثم.

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِي وَما دَرَى
كَما تَخبِطُ العَشْوَاءُ وَاللَّيلُ مُسدِفُ[1]

إذَا نَشَرَ الأعْلامَ وَارتَجَّ ظِلُّهُ
وَظَلَّتْ بِهِ الأَرْضُ العَرِيضَةُ تَرجُفُ

فَقَدْ شَقِيَتْ رُكْبَانُ بَكْرِ بنِ وائِلٍ
وَصُبَّ عَلَيهِنَّ الْجُرَافُ الْمُجَرَّفُ[2]

فَمَا سَلَّمَ اللَّهُ امْرِءاً نَزَلُوا بِهِ
وَلا حَسبُهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا ثُمَّ يَعْلِفُوا

وَلَكِنْ لَهُمْ فِي عَرْصَةِ الدَّارِ جَولَةٌ
يُثَقَّلُ مِنهَا خُرجُهُ الْمُتَخَفِّفُ[3]

وَلَمْ يَبْقَ فِي الطُّسُوجِ بَعْدَ فَرَاغِهِ
مِنَ العَيشِ إلاّ يَابِسٌ مُتَكَفِّفُ[4]

يُنادِي أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ اسْتِغَاثَةً
مِنَ الظُّلمِ وَالعُدْوَانِ وَالْعَيْنُ تَذرِفُ

فَإنَّ أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ وَإِنْ نَأى
فَبِالقُرْبِ مِنَّا مَنْ يَحُوطُ وَيَكْنُفُ

---

(١) مُسْدِفُ: مظلم.

(٢) الجرافُ المجرف: السَّيل الجارف، بما يجرفه من الأرض من طين وحجارة وسواهما.

(٣) عرصةُ الدار: باحتها.

(٤) الطسُّوج: معربة وهي الناحية الواقعة على تخوم المدينة وجمعها: طساسيج.

خَلِيفَتُهُ «إِسْحاقُ» نَفْسِي فِدَاؤُهُ
هُوَ الْمُشْتَكى مِنْ بَعْدُ وَالْمُتَنَصَّفُ
تَدَارَكْ هَدَاكَ اللَّهُ مِنَّا بِقِيَّةً
تَكَادُ مِنَ الضَّرَّاءِ وَالْجَهْدِ تُتْلَفُ
وَلا تُفْلِتَنْ عُمَّالَنَا مِنْ عُقُوبَةٍ
وَإِغْرَامِهِم مَا أَغْرَمُوا وَتَصَرَّفُوا
فَقَدْ حَكَمَ الرَّحْمَنُ فِي نُظَرائِهِم
وَبَيَّنَهُ آيُ الْكِتابِ الْمُصَرَّفُ
بِأَنْ يُقتَلوا أَو يُصلَبوا أَوْ يُقَطَّعوا
خِلافاً وَيُنفَوا فِي الْبِلادِ لِيُعرَفُوا
وَذلِكَ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَها
عَذابٌ عَظِيمٌ دائِمٌ لا يُخَفَّفُ

شَاعِرٌ مَجْهُوْلٌ

يَتِيْمَةُ التَّوْحِيْدِيِّ

هَذِهِ قَصِيْدَةٌ يَبْدُوْ أَنَّهَا تَعُوْدُ لأَحَدِ ظُرَفَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَاسِيِّ، لَمْ يَرْوِهَا أَحَدٌ مَا عَدَا أَبَا حَيَّانَ التَّوْحِيْدِيّ، فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ «الْبَصَائِرِ وَالذَّخَائِرِ» فَقَدْ نَقَلَ فِيْ تَقْدِيْمِهِ لِلْقَصِيْدَةِ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بنِ الْمُعَذَّلِ قَوْلَهُ: «هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ مِمَّا ظُلِمَ صَاحِبُهَا وَأُخْمِلَ ذِكْرُهُ، وَصيَّرَهَا شَاذَّة لا يُعْرَفُ قَائِلُهَا، وَلَوْلا كَرَاهَتِي ظُلْمَ الأَدَبِ لادَّعَيْتُهَا» وَابْنُ الْمُعَذَّلِ هَذَا، شَاعِرٌ بَصْرِيٌّ وَكَانَ أَحَدَ أَكْثَرِ شُعَرَاءِ التَّهَتُّكِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيّ، وَيَبْدُو أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ إغْفَالِهَا، إنَّ الْمُتَغَزَّلَ بِهِ وَاحِدٌ مِنْ «عِلِيَّةِ الْقَوْمِ» وَمَا يُلْفِتُ النَّظَرَ، فِيْ قَصِيْدَةِ شَاعِرِنَا الْمَجْهُوْلِ، أَنَّهُ يَقْلبُ نَمَطِيَّةَ الأَسْتِهْلال فِيْ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ رَأْسَاً عَلَى عَقَبٍ، إذْ يَخْتَتِمُ قَصِيْدَتَهُ بِبَيْتَيْنِ، أَوَّلُهُمَا مُصَرَّعٌ، يَذْكُرُ فِيْهِمَا الدِّيْارَ، وَيَقِفُ عَلَى الْمَنَازِلِ وَالأَحِبَّة!

وَلَقَدْ قَضَيتُ مِنَ الْمُدَامَةِ وَالصِّبَا ... وَطَرَاً وَلاعَبْتُ الْغَزَالَ الأَكْحَلا

وَمَجَجْتُ فِي فِيْهِ الْعُقَارَ وَمَجَّهُ ... فِيْ فِيَّ ثُمَّ غَمَزْتُهُ فَتَدَلَّلا[1]

---

(١) مجَّ: يقصدُ نقلَ الشّرابِ من فَمٍ لِفَمٍ، والعُقارُ: الْخَمْرُ، سمِّيت بذلك لأنها عاقَرَتِ=

وَأَتَيْتُ أُخْرَى فَانْثَنَى مُتَمَايِلاً فَلَثَمْتُ خَدّاً وَارْتَشَفْتُ مُقَبَّلاً
وَأَبَاحَنِي مِنْ رِيقِهِ بِلِسَانِهِ عَذْباً يُرَاحُ لَهُ الفُؤَادُ مُعَسَّلا
وَلَوَيْتُ مِعْصَمَهُ فَصَدَّ بِوَجْهِهِ خَجِلاً وَمَالَ وَسَاءَنِي أَنْ يَخْجَلا
كَمُطَوَّقَيْنِ تَدَانَيَا فَتَقَابَلا حَتَّى إِذَا خَافَا الأَنِيسَ تَزَيَّلا[1]
فَعَفَفْتُ عَنْهُ وَقَدْ قَدَرْتُ وَلَمْ أَزَلْ آتِي الأَعَفَّ مِنَ الأُمُورِ الأَجْمَلا
وَلَقَدْ أَرُوحُ إِلَى النَّدَامَى لاحِفاً لِلأَرْضِ هُدَّابَ الإِزَارِ مُمَرْجَلا[2]
وَلَقَدْ أُنَازِعُهَا عَلَى عِلاتِهَا مُتَرَاخِياً سَبْطَ الْبَنَانِ مُرَفَّلا[3]
مُسْتَهْلِكاً لِلْمَالِ فِي لَذَّاتِهِ يَمْضِي لِلَذَّتِهِ وَيَعْصِي العُذَّلا
وَإِذَا لَحَاهُ الْعَاذِلُونَ وَأَكْثَرُوا وَلَّى وَقَالَ رُؤُوسُكُمْ وَالْجَنْدَلا[4]
عَاطَيْتُهُ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ صَهْبَاءَ أَرْخَتْ عَظْمَهُ وَالْمَفْصَلا
جِرْيَالَةً تَحْذِي الْلِسَانَ كَأَنَّمَا ذَرَّتْ مَرَارَتُهَا عَلَيْهَا الْفُلْفُلا[5]
طُبِخَتْ بِنَارِ الشِّعْرَيَيْنِ وَمَسَّهَا بَرْدُ الشَّمَالِ فَبَاخَ مِنْهَا مَا عَلا[6]
وَمَضَتْ لَهَا حُجَجٌ فَمَدَّتْ دُونَهَا سِتْراً بَنَتْهُ الْعَنْكَبُوتُ مُهَلْهَلا
حَتَّى إِذَا فُضَّتْ تَضَوَّعُ رِيحُهَا وَكَأَنَّ تُفَّاحاً بِهَا وَسَفَرْجَلا
وَكَأَنَّ نَكْهَتَهَا إِذَا هِيَ صُفِّقَتْ مِسْكٌ يُخَالِطُ عَنْبَراً وَقُرُنْفُلا[7]

= العَقْلَ، أو عاقَرتِ الدّنَّ، أي لازَمَتْهُ.

(١) تزايلا: تفرقا.

(٢) الهدابُ: المسترسل من الثياب، والممرجل، ثوبٌ مُطرَّز.

(٣) فلانٌ سبطُ البنان: كريمُ اليدِ جوادٌ، والمُرفَّل: الطويل.

(٤) الجندلُ: الصخرة.

(٥) الجريالةُ: الخمرة الصرف، وتحذي تلسع.

(٦) الشعريان: كوكبان كان العرب يعدان ظهورهما بداية للانقلاب الصيفي.

(٧) صفقتْ: سكبت من الدنّ إلى الكأس.

طَابَتْ وَأَدْمَنَهَا فَأَرْخَتْ طَرْفَهُ فَيُخَالُ أَحْوَلَ وَهْوَ لَيْسَ بِأَحْوَلا

وَأَقُوْلُ: هَا خُذْهَا إِلَيكَ وَعَاطِنِي فَيَقُوْلُ: هَاتِ وَكَانَ قَبْلُ يَقُوْلُ: لا

مَا زِلْتُ أَعْدِلُ بِالزُّجَاجِةِ مَيْلَهُ حَتَّى تَقَوَّمَ مَيْلُهُ فَتَعَدَّلا

وَإِذَا الزُّجَاجَةُ عَقَّدَتْ مِنْ صَعْبِهِ نَاوَلْتُهُ أُخْرَى بِهَا فَتَحَلَّلا

دَاوَيْتُهُ مِنْهَا بِهَا فَشَفَيْتُهُ وَشَحَذْتُ مِنْهُ بِالأَخِيرِ الأَوَّلا

وَجَرَتْ مَجَارِيَهَا الشَّمُوْلُ فَسَهَّلَتْ مِنْ طَبْعِهِ مَا خِفْتَ أَنْ لا يَسْهُلا

فَكَأَنَّهُ وَالتَّاجُ فَوْقَ جَبِينِهِ قَمَرٌ تَرَاءَتْهُ الْعُيُوْنُ مُكَلَّلا

وَلَقَدْ شَرِبْتُ بِكَأْسِهَا وَبِطَاسِهَا وَعَدَلْتُ بِالْقَاقُوزَتَيْنِ الْقُنْقُلا[1]

وَشَفَيْتُ مِنْهَا وَاشْتَفَيْتُ وَلَمْ أَدَعْ فِيْ لَذَّةٍ لِيْ بَعْدَهَا مُتَعَلَّلا

يَا صَاحِبَيَّ قِفَا نُحَيِّي الْمَنْزِلا وَتَلَبَّثَا لِيْ سَاعَةً لا تَعْجَلا

إِنِّي تُذَكِّرُنِي الْمَنَازِلُ أَهْلَهَا فَيَشُوْقُنِي الاَّ أَعُوْجَ فَأَسْأَلا

---

(١) القاقوزتان: مثنى القاقوزة: وهي الطاسة التي تشرب بها الخمرة، فارسية معربة، والقنقل: دنُّ الخمر الكبير، وفي المعاجم: هو مكيال ضخم أكبر من الصاع، يسع أكثر من ثلاثين منّاً «حوالي الثلاثين كيلو غراماً»

مَانِي الْمُوَسْوِس

يَتِيْمَةُ مَجْنُوْنِ الدَّيْر

شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، اسْمُهُ مُحَمَّدُ بنُ الْقَاسِمِ، وَ«الْمُوَسْوِسَ» لَقَبٌ حَمَلَهُ أَكْثَرُ مِنْ شَاعِرٍ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَهُوَ يَدُلُّ على شَيءٍ مِن الْخَلْطِ وَالْوَسَاوِسِ التِي تَعْتَرِيْ الشَّخْصَ. يَقُوْلُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي طَبَقَاتِهِ عَنِ الْمُوَسْوِسِيْنَ: «هَكَذَا هَؤلاءِ الشُّعَرَاءُ الَّذِيْنَ خُوْلِطُوْا بَعْدَ قَوْلِهِمُ الشِّعْرَ، يَوْجَدُ فِي كَلامِهِمْ تَفَاوُتٌ كَثِيْرٌ شَدِيْدٌ، فَإِذَا جَاءُوا إِلَى الشِّعْرِ مَرُّوا عَلى رُؤُوْسِهِمْ وَرَسْمِهِمِ الْمَعْهُوْدِ قَبْلَ أَنْ يُوَسْوِسُوا»

وَعَنْ شَاعِرِ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ، يَنْقِلُ عَنْ أَبِي شَجَرة قَوْلَهُ: «كَانَ مَانِي الْمَجْنُوْنُ مِنْ أَشْعَرِ النَّاس»

قَدِمَ مَانِي إِلَى بَغْدَادَ فِي أَيَّام الْمُتَوَكِّلِ، وَاسْتَقَرَّ فِيْهَا حَتَّى وَفَاتِهِ، لَمْ يَكْتُبْ مِنَ الشِّعْرِ إلا الْغَزَلَ، أَغْلَبُهُ نُتَفٌ وَمَقْطُوْعَاتٌ لا تَصِلُ إِلَى تُخُوْمِ الْقَصِيْدَةِ.

وَهَذِهِ الْقَصِيْدَةُ التِيْ اشْتَهَرَتْ عِبْرَ الْقُرُوْنِ، بَقِيْتَ أَجْزَاءٌ مِنْهَا ضَائِعَةً وَمُوَزَّعَةً فِي مُتُوْنِ الْمَصَادِرِ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الأوْلَى الَّتِي يَتُمُّ فِيْهَا تَحْقِيْقُهَا مِنْ تِلْكَ الْمَصَادِرِ وَنَشْرُهَا بِهَذَا الْحَجْمِ، فَقَدْ وَرَدَتْ فِي دِيْوَانِهِ

الَّذِيْ حَقَّقَهُ عَادِلُ الْعَامِلُ (وَزَارَة الثَّقَافَة ـ دِمَشْق ١٩٨٨) بِسِتَّةِ أَبْيَاتٍ فَقَطَ. كَمَا لَمْ يُوْرِد إِبْرَاهِيْمُ النَّجَّارُ فِي كِتَابِهِ «شُعَرَاء عَبَّاسِيُّوْنَ مَنْسِيُّوْنَ» أَيَّةَ أَبْيَاتٍ مِنْهَا فِي بَحْثِهِ عَنْ شِعْرِ «مَانِي» لَكِنَّهُ نَسَبَ بَعْضَاً مِنْ أَبْيَاتِ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ، فِي قِسْمٍ تَالٍ، إِلَى مَجْهُوْل..

صَاحَ الْغُرَابُ بِوَشْكِ الْبَيْنِ فَارْتَحَلُوا
وَقَرَّبُوا الْعِيسَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَاحْتَمَلُوا

وَغَادَرُوا الْقَلْبَ مَا تَهْدَأ لَوَاعِجُهُ
كَأَنَّهُ بِضِرَامِ النَّارِ مُشْتَعِلُ

وَفِي الْجَوَانِحِ نَارُ الْحُبِّ تَقْذِفُهَا
أَيْدِي النَّوَىٰ بِزِنَادِ الشَّوْقِ إِذْ رَحَلُوا

لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عِيسَهُمُ
وَرَحَّلُوهَا وَسَارَتْ بِالدُّجَى الإِبِلُ

وَقَلَّبَتْ مِنْ خِلَالِ السَّجْفِ نَاظِرَهَا[1]
تَرْنُو إِلَيَّ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِلُ

وَوَدَّعَتْ بِبَنَانٍ عِقْدُهَا عَنَمٌ
نَادَيْتُ: لَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ يَا جَمَلُ[2]

---

(١) السجفُ: الستر الذي يُوضع على هودج النساء في الظعن.

(٢) عنمٌ: العَنَمُ في لسانِ العربِ لابْنِ منظور: شجر لَيِّنُ الأغصانُ لَطِيفُها يُشَبَّهُ به البَنان كأنه بَنان العَذارى، واحدتها عَنَمَةٌ، وهو مِمَّا يُستاكُ به، وقيل: هو ضربٌ من الشجر له نَوْرٌ أحمر تشبَّه به الأصابعُ المخضوبة.

وَيلِي مِنَ البَينِ مَاذَا حَلَّ بِي وَبِهِم
يَا نَازِحَ الدَّارِ حَلَّ البَينُ وَارْتَحَلُوا
يَا حَادِيَ العِيسِ عَرِّجْ كَيْ أُوَدِّعَهُم
يَا حَادِيَ العِيسِ فِي تَرحَالِكَ الأَجَلُ
إِنِّي عَلَى العَهدِ لَمْ أَنقُضْ مَوَدَّتَهُم
يَا لَيتَ شِعرِي لِطُولِ البُعْدِ مَا فَعَلُوا؟

* * *

لَمَّا عَلِمْتُ بِأَنَّ القَومَ قَدْ رَحَلُوا
وَرَاهِبُ الدَّيرِ بِالنَّاقُوسِ مُشْتَغِلُ
شَبَكْتُ عَشْرِي عَلَى رَأْسِي وَقُلْتُ لَهُ:
يَا رَاهِبَ الدَّيرِ هَلْ مَرَّتْ بِكَ الإِبِلُ؟
فَحَنَّ لِي وَبَكَى، وَرَقَّ لِي وَرَثَى
وَقَالَ لِي: يَا فَتَى ضَاقَتْ بِكَ الحِيَلُ
إِنَّ الخِيَامَ الَّتِي قَدْ جِئْتَ تَطْلُبُهُم
بِالأَمْسِ كَانُوا هُنَا وَالآنَ قَدْ رَحَلُوا
سَقْياً وَرَعْياً وَإِيمَاناً وَمَغْفِرَةً
لِلْبَاكِيَاتِ عَلَينَا حِينَ نَرْتَحِلُ
يُبْكَى عَلَينَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ
أَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً أَمِ الإِبِلُ؟

خَالدُ بنُ صفْوَانَ الْقنَّاص

قَصِيْدَةُ الْعَرَوْس

هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ الَّتِي لا يُعْرَفُ لِصَاحِبِهَا سِوَاهَا، حَقَّقَهَا عَبْدُ الْعَزِيْزِ الْمَيْمَنِيُّ الرَّاجَكُوْتِيُّ فِي كِتَابِهِ «الطَّرَائِفِ الأَدَبِيَّةِ ـ طَبْعَةُ لَجْنَةِ التَّألِيْفِ وَالتَّرْجَمَةِ وَالنَّشْرِ ـ الْقَاهِرَة ١٩٣٧» وَشَاعِرُهَا كَمَا يَقُوْلُ عَنْهُ (نَكِرَةٌ) لَمْ يَتَوَصَّلْ إلَى مَعْرِفَتِهِ بِرُغْمِ أَنَّهُ يُرَجِّحُ كَوْنَهُ مِنْ عَوَامِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الأَوَّلِ، لَكِنَّ قَصِيْدَتَهُ اشْتَهَرَتْ بَيْنَ الْعَرَبِ بِاسْمِ «الْعَرُوْس» وَأَوْرَدَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي طَبَقَاتِهِ مَقَاطِعَ مِنْهَا بِوَصْفِهَا «سَائِرَةً بَيْنَ النَّاسِ» وَنَقَلَ عَنْ مِرْدِاسَ بنِ مُحَمَّد قَوْلَهُ: أنَّ مَنْ رَوَاهَا ثُمَّ لَمْ يَقُلِ الشِّعْرِ فَلاَ تَرْجُ خَيْرَهُ. وَأَضَافَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: وَأَنَا أَقُوْلُ أَيْضاً: إنَّ مَنْ رَوَى هَذِهِ ثُمَّ لَمْ يَقُلِ الشِّعْرَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ.

عُوْجَا عَلَى طَلَلٍ بِالقُفْصِ خِلاَنِي ... أقْـوَىٰ فَـقُـطَّـانُـهُ أرَآلُ هِـيْـقَـانِ[1]

كَـالـدَّيْـبُـلِـيَّـاتِ أوْ إجـلٍ قَـرَاهِـبَـةٍ ... مِنْ بَيْنِ أَحْمَرَ يَرْعَاهَا وَثِيْرانِ[2]

---

(١) القَفْصُ: موضع، والآرال: ابن النعام والهيقان: النعام.

(٢) الديبليات: بقر الوحش، والإجل: القطيع، والقراهبةُ: جَمْعُ قَرْهَب، وهو الثور=

وَغَيَّرَتْ آيَهُ رِيحٌ شَآمِيَةٌ وَوَبْلُ مُثْعَنْجِرٍ بِالسَّيْلِ مِرْنَانِ[1]

أَجَشُّ مُغْلَنْطِقٌ مُغْدَوْدِقٌ غَدِقٌ مُهْرَوْرِقٌ وَدِقٌ مُسْحَنْفِرٌ دَانِ[2]

أَضْحَى خَلاءً وَأَمْسَى أَهْلُهُ شَحَطُوا نَوَاهُمُ حَيْثُ أَمُّوا أَرْضَ نَجْرَانِ

أَرْضاً نَأَتْ وَنَأَى لِلْحَيِّ قَاطِنُهَا إِذْ حَلَّ أَرْضاً بِهَا أَبْنَاءُ ذُبْيَانِ

يَا صَاحِبَيَّ أَلِمَّا سَاعَةً وَقِفَا فِي دَارِ أُخْتِ بَنِي ذُهْلِ بنِ شَيْبَانِ

وَمَا وُقُوفُ امْرِئٍ هَاجَتْ صَبَابَتَهُ سُفْعُ الْمَلاَطِمِ مِنْ تَلْوِيحِ نِيرَانِ[3]

وَمُفْرَدٌ تَرَكَتْ أَيْدِي الإِمَاءِ بِهِ غَدَائِرَ الشَّعْرِ شُعْثاً غَيْرَ إِدْهَانِ[4]

عَلَيهِ مِثْلُ وِشَاحِ الْخَوْدِ قَدْ نَحَلا مِنْ طُولِ عَهْدِهِمُ بِالْحَيِّ رِبْقَانِ[5]

فَالدَّارُ مُوحِشَةٌ مَا إِنْ بِعَرْصَتِهَا إِلاَّ النَّعَامُ وَإِلاَّ بُقْعُ غِرْبَانِ

يَحْجُلْنَ فِي عَطَنٍ قَدْ كُنتُ أَعْهَدُهُ قَبْلَ الْحُلُولِ بِهِ لِلْعَيْنِ مَلآنِ[6]

كَأَنَّمَا هِيَ رَأْيَ الْعَيْنِ عَنْ قُذُفٍ أَصَاغِرٌ مِنْ بَنِي نُوبٍ وَحُبْشَانِ

دارٌ لِجَارِيَةٍ حَوْرَاءَ لاهِيَةٍ كَالشَّمسِ ضَاحِيَةً فِي حُسْنِ جِنَّانِ[7]

= الْمُسِنُّ الضَّخْمُ.

(١) المثعنجر: شديد الهطول، والمرنان: صوتُ الرَّعد والسَّحاب.

(٢) مغلنطقٌ ومغلندقٌ ومغدودقٌ: الممتلئ، والكثير، والمختنق بالماء، وهو يريد به وصف السَّحاب، والزَّجل،: صوت المطر، والمهرورق: المصبوب، والودق: المطر القريب من الأرض، والمسحنفرُ: الشَّدِيدُ.

(٣) سفعٌ: سود، والملاطم: الخدود.

(٤) المفردُ: الوتد، حيث ظل وحيداً تعلَّقُ عليه الأوشحة والأرسان والقلائد.

(٥) الربقان: القلائد، يقول أن الوتد قد هزل مما عليه من الأرسان والقلائد

(٦) العطنُ: المكان الذي تنوخ فيه الإبل للسقي ليلاً أما المكان الآخر، فيسمى المراح والمأوى.

(٧) ضاحيةٌ: كاشفة، والْجِنَّان: جَمْعُ جنّ.

بِالوَصلِ راضِيَةٍ عَهدِي مُواتِيَةٍ ... عَنِّي مُحامِيَةٍ تَجفُو وَتَنسانِي

هِركَولَةٍ بَهَرٍ تَختالُ فِي طُرَرٍ ... تَشفِيكَ مِن أُشُرٍ غَرّاءَ مِفتانِ[1]

عَلَتْ مَآلِيَها مِنها عَوالِيها ... تَأوِي عَلالِيَها فِي سِترِ أَكنانِ[2]

كَحلاءَ فِي دَعَجٍ عَيناءَ فِي بَرَجٍ ... نَجلاءَ فِي زَجَجٍ تَسلُو وَتَقلانِي[3]

شَنباءَ فِي بَهَجٍ لَمياءَ فِي فَلَجٍ ... خَدلاءَ فِي بَلَجٍ أَدنُو وَتَنآنِي[4]

غَيداءَ فِي رَبَلٍ لَفّاءَ فِي رَتَلٍ ... هَيفاءَ فِي ثِقَلٍ فِي النَّومِ تَغشانِي

لَعساءَ فِي خَصَرٍ قَنواءَ فِي صِغَرٍ ... كَالرِّيمِ فِي بَقَرٍ مِن وَحشِ عَدنانِ[5]

جَيداءَ فِي حَوَرٍ وَسَنَى عَلَى خَفَرٍ ... شَمّاءَ فِي بَهَرٍ مِن خَيرِ نِسوانِ

فِي جِيدِها سُمُطٌ مِن تَحتِها قُمُطٌ ... مِن فَوقِها قُرُطٌ أَعلاهُ شِنفانِ

غِلمانُها سُخُطٌ كَأَنَّهُم شُرُطٌ ... أَنجالُهُم لُقُطٌ مِن نَسلِ شَيطانِ

عُلِّقتُها حِجَجاً مُزوَرَّةً غَنَجاً ... بِالهَجرِ فَهيَ شَجاً لِي بَينَ أَقرانِي

تُلهِي مُسامِرَها تُذكِي مَجامِرَها ... تَغدُو غَدائِرُها بِالمِسكِ وَالبانِ

تَكسُو مَجاسِدَها مِنها قَلائِدَها ... تُعبِي عَتائِدَها مَعشُوقَ أَدهانِ[6]

---

(١) أمرأةٌ هِرْكولةٌ: عظيمة الوركين كبيرة العجز، والبهر: المضيئة، والطرر: حاشية الثوب والأُشُر: تَحدُّدٌ ورِقّةٌ في أطراف الأسنان.

(٢) المآلي: ثياب النوم. والعلالي غرف النوم، والأكنان: الْحُجُبُ والأستار.

(٣) الدعجُ: شدة سواد المقلة، والبرج: شدة بياض العين، والزجج: الحواجب الدقيقة المنحوتة.

(٤) الشنباءُ: جميلة الأسنان: والبهج: الحسن والبهاء، واللمى: سواد يميل إلى الحمرة في لون الشفاه، والفلج: مفرق بين الأسنان، والخدلاء: طويلة السّاقين والسّاعدين.

(٥) لعساءُ: سمرة الشفة، وقنواء: حِدَّة في قصبة الأنف.

(٦) المجاسدُ: الثيابُ المصبوغةُ بالزّعفران، والعتائد: جَمْعُ عتيدة وهي آنية العطر.

صُفْرٌ تَرائِبُهَا زُجٌّ حَوَاجِبُهَا ... سُودٌ ذَوَائِبُهَا كَالْحَالِكِ الْقَانِي

بِيضٌ مَحَاجِرُها فَعْمٌ نَوَاشِرُهَا ... يَشْفَى مُبَاشِرُهَا مِنْهَا بِعِصْيَانِ[1]

زَهْرَاءُ خَرْعَبَةٍ رُودٍ مُبَطَّنَةٍ ... لِلعَيْنِ مُعْجِبَةٌ تَنْفِي لأَحْزَانِي[2]

خَوْدٍ مُهَذَّبَةٍ فِي الْخِدْرِ، مُخْصِبَةٍ ... عَنِّي مُحَجَّبَةٌ عَمْداً لِخِذْلاَنِ

رَاحَتْ مُبَتَّلَةً عَيْطَاءَ عَيْطَلَةً ... كَالرِّيْمِ هَيْكَلَةً فِي زُهْرِ كَتَّانِ[3]

لِلْوُدِّ مَازِجَةً لِلْخِدْرِ وَالِجَةً ... لَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ تَهْفُو بِبُهْتَانِ

وَفِتْيَةٍ نُجُبٍ مِنْ مَعْشَرٍ غُلُبٍ ... فِي مُنْتَهَى نَسَبٍ تَنْمِي لِغَسَّانِ

أَكَابِرٍ رُجُحٍ أَخَايِرٍ سُمُحٍ ... أَكَارِمٍ نُجُحٍ مِنْ نَسْلِ قَحْطَانِ

رَاحُوا عَلَى عَجَلٍ فِي مَوْكِبٍ حَفِلٍ ... فِي غَيْرِ مَا عِلَلٍ فِي خَيْرِ إِبَّانِ

فِي مَهْمَهٍ قَصَدُوا حَتَّى إِذَا وَرَدُوا ... وَالنَّاسُ قَدْ هَجَدُوا وَاللَّيْلُ لَوْنَانِ[4]

تَمْرَاؤُه يَقَقٌ فِي لَوْنِهِ بَلَقٌ ... قَدْ حَفَّهُ غَسَقٌ فِي غَيْرِ تِبْيَانِ[5]

أَضْحَوا وَقَدْ قَطَعُوا بِيداً لَهَا لُمَعٌ ... فِيهَا الطَّلا رُتَّعٌ أَطْلاَءَ ظِلْمَانِ[6]

حَلُّوا بِذِي طَرَبٍ يَسْمُو إِلَى حَسَبٍ ... فِي بَاذِخٍ أَشِبٍ أُخْتٍ لإِخْوَانِ

فِي قَصْرِهَا غُرَفٌ مِنْ تَحتِها سُقُفٌ ... مِن فَوقِها شُرَفٌ زِينَتْ بِإِيوَانِ

قَدْ حَفَّهُ كُثُبٌ مِنْ حَوْلِهِ قُضُبٌ ... مَكْنُونَةٌ شُطُبٌ حُفَّتْ بِبُسْتَانِ[7]

---

(١) الفعمُ: الممتلئ لحماً، والنواشر: الكتفان.

(٢) الخرعبةُ: الناعمة، والرود: الشابة.

(٣) العيطاءُ: الطويلة العنق، والهيكلةُ: الضَّخْمةُ.

(٤) المهمهُ: الفلاة لا ماء بها ولا أنيس.

(٥) اليققُ: شدَّةُ البياض، والبلقُ: اختلاطُ البياض بالسَّوَاد.

(٦) اللمعُ: السَّراب، والطلا: صغار الشياه.

(٧) الشطبُ: سعف النخل.

خِـلالَـهُ نَـهَـرٌ وَبَـيْـنَـهُ شَـجَـرٌ   يَـزِيـنُـهُ ثَـمَـرٌ مِـنْ زَهْـرِ قِـنْـوَانِ[1]

أَغْـصَـانُـهَـا نُـضُـرٌ أَوْرَاقُـهَـا خُـضُـرٌ   أَنْـهَـارُهَـا غُـزُرٌ مِـنْ ضَـرْبِ شَـفَّـانِ

زُهْـرٌ مَـنَـابِـتُـهَـا دَامَـتْ غَـضَـارَتُـهَـا   بُـحٌّ فَـوَاخِـتُـهَـا مِـنْ طُـولِ تَـرْنَـانِ

صَرَّتْ جَنَادِبُهَا عَاشَتْ عَنَاظِبُهَا   تَغْوِي ثَعَالِبُهَا مِنْ حَوْلِ عِيدَانِ[2]

تَلْهُو بِدُرَّاجِهَا عَنْ صَوْتِ صَنَّاجِهَا   أَوْ طِيبِ بَهْرَاجِهَا أَوْ نَوْحِ وِرْشَانِ

أَوْ صَوْتِ قُمْرِيَّةٍ تَدْعُو بِصُفْرِيَّةٍ   تَبْكِي لِكُدْرِيَّةٍ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانِ[3]

مَـكَّـاؤُهَـا غَـرِدٌ فِـي رَوْضَـةٍ فَـرِدٌ   مِنْ طِيبِهَا صَرِدٌ حَلاَّهُ طَوْقَانِ[4]

عُصْفُورُهَا طَرِبٌ فِي لَوْنِهِ خَطَبٌ   فِي صَوْتِهِ صَخَبٌ يَبْكِي لِصُرْدَانِ[5]

أَوْ بَاشِقٌ كَلِبٌ لِلطَّيْرِ مُنْتَهِبٌ   قَدْ عَاقَهُ تَعَبٌ مِنْ جَمْعِ غِرْبَانِ

تُـفَّـاحُـهَـا هَـدِلٌ أُتْـرُجُـهَـا خَـضِـلٌ   عُنْقُودُهَا زَجِلٌ حُفَّتْ بِرُمَّانِ[6]

بَيْضَاءُ فِي حُمْرَةٍ حَمْرَاءُ فِي صُفْرَةٍ   صَفْرَاءُ فِي خُضْرَةٍ مِنْ بَيْنِ أَلْوَانِ

جَاءُوا عَلَى مَهَلٍ مِنْ غَيْرِ مَا عِلَلٍ   يَمْشُونَ فِي حُلَلٍ مِنْ وَشْيِ صَنْعَانِ

شُمٌّ مَرَاعِفُهُمْ جُمٌّ مَلاحِفُهُمْ   قَامَتْ وَصَائِفُهُمْ أَمْثَالُ غِلْمَانِ

دُرْمٌ مَرَافِقُهَا بُقْعٌ مَنَاطِقُهَا   قُرٌّ قَرَاطِقُهَا زِينَتْ بِتِيجَانِ[7]

---

(١) القنوان: عذوق النخلة.

(٢) العناظبُ: الجراد.

(٣) الكدريةُ: القطاة.

(٤) الْمَكَّاءُ: طائرٌ لهُ صَفِيرٌ يُشبهُ التَّرْنِيمَ، والصَّرْدُ: طائرٌ يُشبهُ الْهُدْهُدَ.

(٥) الخطبُ: البياض الذي فيه حمرة، والصَّرْدَان: جَمْعُ صَرْد وَهُو الطائر كما تقدَّمَ شرحهُ.

(٦) الأُتْرُجُ: فاكهة من الحمضيات.

(٧) الدُّرمُ: المكسوة باللحم، والقراطقُ: الثيابُ أو القمصان.

يَسْعَيْنَ فِي لَطَفٍ يَرْعِدْنَ مِنْ عُنُفٍ كَالرَّاحِ فِي صُحُفٍ أَشْبَاهُ غِزْلانِ[1]

صَهْبَاءَ صَافِيَةٍ صَفْرَاءَ فَاقِعَةٍ لِلْمَرْءِ رَافِعَةٌ مِنْ عَصْرِ دِهْقَانِ

تَشْفِي بِشُرْبَتِهَا مِنْ طِيبِ فَرْحَتِهَا تَحْكِي بِنَكْهَتِهَا تُفَّاحَ لُبْنَانِ

وَالْمِسْكَ إِنْ مُزِجَتْ وَالسُّكَّ إِنْ فُتِقَتْ وَالوَيْلَ إِنْ بُزِلَتْ صِرْفاً لِرَشْفَانِ[2]

فِي الدَّنِّ قَدْ عتقَتْ حَوْلَيْنِ فَامْتَنَعَتْ تَحْكِي إِذَا صُفِقَتْ إِكْلِيلَ مَرْجَانِ

تَجُولُ فِي طَوْقِهَا كَالدُّرِّ مِنْ فَوْقِهَا تَكْفِيكَ مِنْ ذَوْقِهَا مِنْ غَيْرِ إِدْمَانِ

يَعْمَلْنَ مُعْمَلَةً زُهْراً مُفَدَّمَةً صُفْراً مُقَوَّمَةً مِنْ تِبْرِ عِقْيَانِ[3]

كَأَنَّهَا بُقَعٌ مِنْ أَطْيَرٍ، وُقَعٌ لاحَتْ لَهَا سُفُعٌ أَصْغَتْ بِآذَانِ

فِي رِيشِهَا طَرَقٌ أَلْوَانُهَا زُرُقٌ أَذْنَابُهَا بُلُقٌ مِنْ طَيْرِ جُلْجَانِ

حُمْرٌ قَوَائِمُهَا صُفْرٌ خَرَاطِمُهَا بِيضٌ حَلاقِمُهَا رِيعَتْ بِنِيرَانِ

أَقْعَتْ عَلَى فَرَقٍ فِي صَحْصَحٍ أَنِقٍ يَنْظُرْنَ فِي حَدَقٍ مِنْ خَوْفِ عِقْبَانِ[4]

وَعِنْدَهُمْ قَيْنَةٌ فِي شَدْوِهَا غُنَّةٌ لَيْسَتْ بِهَا ضِنَّةٌ مِنْ قَرْعِ حَنَّانِ[5]

نُفْجٌ رَوَادِفُهَا عَذْبٌ مَرَاشِفُهَا دُكْنٌ مَطَارِفُهَا مِنْ خَزِّ نَجْرَانِ[6]

يُلْهِيكَ مَطْرَبُهَا يُسْلِيكَ مَضْرِبُهَا يُنْسِيكَ مَلْعَبُهَا أَقْوَالَ فِتْيَانِ

---

(١) الصحفُ: الكؤوس.

(٢) السُّكُّ: نوع من أنواع الطيب.

(٣) مندمةٌ: الأباريق حين يوضع على أفواهها الحرير ليصفو ما فيها.

(٤) أَقْعَتْ: جَلَسَتْ على أطرافها، والفَرَق: الخوف، والصَحْصَح: المستوي من الأرض، والأَنِق: الحسن، يصفُ الطَّيْرَ بأنها تنظر إلى العقبان فتقعي وتستتر خوفاً منها.

(٥) الضِّنةُ: البخل، والغُنَّة: التَّرْخِيمُ في الصَّوتِ، والحنَّان: العودُ الشجيّ في عزفه.

(٦) النفجُ: الممتلئات.

نَحْكِي بِتِهجَاسِها تَقْطِيعُ أنفَاسِهاْ ... بَاتَتْ عَلَى رَأْسِهَاْ إِكْلِيلُ مُرْجَانِ
فِي صَوْتِهَا صَلَقٌ فِي عُوْدِهَاْ نَزَقٌ ... أَوْتَارُهَا نُطقٌ تَلْفِظُهُ كَفَّانِ[1]
حَتَّىٰ إِذَاْ ثَمِلُوا مِنْ طُوْلِ مَا نَهِلُوا ... قَالُوا وَمَا عَقَلُوا تِمْثَالَ وَسْنَانِ
قَتْلَىٰ وَمَاْ قُتِلوا جهلَىٰ وَمَاْ جَهِلُوا ... سَكْرَىٰ وَمَا اِنْتَقَلُوا مِنْ حُكْمِ لُقْمَانِ
مَاْتُوا وَمَاْ قُبِرُوا عَاْشُوا وَمَاْ نُشِرُوا ... قَاْمُوا وَمَاْ حُشِروا مِنْ تَحْتِ رَيْحَانِ
دارَتْ قَوَاقِرُهُمْ لانَتْ مَغَامِزُهُمُ ... طَابَتْ غَرَائِزُهُمْ مِنْ خَيْرِ أَخْدَانِ[2]
حَنَّتْ مَزَامِرُهُم طَابَتْ مَسَامِرُهُمْ ... عَالَتْ عَنَاصِرُهُمْ مِنْ قَصْرِ غُمْدَانِ
قَالُوا لَدَىٰ طَرَبٍ بِالْقَوْلِ لاَ كَذِبِ ... الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْراً كُلَّ أَزْمَانِ

---

١) الصلقُ: شدة الصوت.

٢) القواقرُ: الكؤوس، والمغامز: العيوب، والطبائع الغليظة.

مُدْرك الشَّيْبَانِي

الْمُزْدَوَجَةُ فِي الْعِشْقِ الْمِثْلِيِّ

شَاعِرٌ مِنْ أَعْرَابِ بَادِيَةِ الْبَصْرَةِ، دَخَلَ بَغْدَادَ صَغِيْراً وَنَشَأَ فِيْهَا، وَكَانَ لَهُ مَجْلِسٌ فِي بَغْدَادَ، يَحْضُرُهُ الْفِتْيَةُ فَقَطْ، فَإِنْ رَأَىٰ مُدْرِكٌ شَيْخَاً أَوْ رَجُلاً بِلِحْيَةٍ، طَرَدَهُ مِنَ الْمَجْلِسِ بِلَبَاقَةٍ، وَكَانَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ دَيْرٌ مَسِيْحِيٌّ، يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ، فَعَشِقَ غُلاماً اسْمُهُ عَمْرو بنُ يُوْحَنَّا وَاسْتَدْرَجَهُ لِحُضُوْرِ مَجْلِسِهِ، وَكَتَبَ لَهُ فِي يَوْمٍ رِسَالَةً، عَلِمَ بِهَا مَنْ كَانُوا يَحْضَرُوْنَ الْمَجْلِسَ فَاسْتَحْيَا عَمْرو وَانْقَطَعَ عَنِ الْحَلْقَةِ وَعَادَ إِلَى الدَّيْرِ، أَمَّا مُدْرِكٌ فَكانَ يَلْزَمُ الدَّيْرَ لِيَحْظَىٰ بِرُؤْيَةِ عَمْرو، وَزَادَ بِهِ الْوِسْوَاسُ حَتَّى اخْتَلطَ عَقْلُهُ وَلَزِمَ الْفِرَاشَ مُدَّةً طَوِيْلَةً، وَلَمَّا زَارَهُ عَمْرو بِإِلْحَاحٍ مِنْ أَصْدِقَاءِ مُدْرِك، أَمْسَكَ بِيَدِهِ، فَشَهَقَ مُدْرِكٌ شَهْقَةً وَاحِدَةً ثُمَّ مَاتَ، كَمَا جَاءَ فِي «مُعْجَمِ الأُدَبَاءِ لِيَاقُوْتِ الْحَمَوِيِّ» وَ«تَزْيِيْنِ الأَسْوَاقِ فِي أَخْبَارِ الْعُشَّاقِ للأَنْطَاكِيْ» وَ«مَصَارِعِ الْعُشَّاقِ للسَّرَّاجِ».

قَصِيْدَةٌ تُقَدِّمُ لَنَا صُوْرَةَ مُحِبٍّ لاهُوْتِيٍّ حَيْثُ يَظْهَرُ أَثَرُ تِلْكَ الثَّقَافَةِ فِي قَصِيْدَتِهِ الْفَرِيْدَةِ الْعَجِيْبَةِ هَذِهِ. وَعِشْقٍ مِثْلِيٍّ يَصِلُ إِلَى حَدِّ التَّصَوُّفِ، وَهُوَ

هُنا على غَيْرِ مَا عَهِدْنَاهُ، عَنْ التَّغَزُّلِ بالْمُذكَّرِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ، مِنْ تَهَتُّكِ مَوْصُوْفٍ.

وَقَدْ ظَنَّ الْبَعْضُ أنَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ لِصَفِيِّ الدِّيْنِ الْحِلِّيِّ الَّذِيْ خَمَّسَهَا فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ أيْ بَعْدَ مَا يَزِيْدُ عَلَى أرْبَعَةِ قُرُوْنٍ مِنْ كِتَابَتِهَا.

مِنْ عَاشِقٍ نَاءٍ هَوَاهُ دَانِ … نَاطِقِ دَمعٍ صَامِتِ اللِّسَانِ
مُوثَقِ قَلْبٍ مُطْلَقِ الْجِثْمَانِ … مُعَذَّبٍ بِالصَّدِّ وَالْهِجْرَانِ

مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ كَسَبَتْ يَدَاهُ … غَيْرَ هَوىً نَمَّتْ بِهِ عَيْنَاهُ
شَوقاً إِلَى رُؤيَةِ مَنْ أشْقَاهُ … كَأَنَّما عَافَاهُ مَنْ أَضْنَاهُ

يا وَيْحَهُ مِنْ عَاشِقٍ مَا يَلقَى … مِنْ أدمُعٍ مُنْهَلَّةٍ ما تَرْقَا
نَاطِقَةٍ وَمَا أحَارَتْ نُطْقَا … تُخْبِرُ عَنْ حُبٍّ لَهُ اسْتَرَقَّا

لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ طَرْفٍ يَبكِي … بِأدمُعٍ مِثْلِ نِظَامِ السِّلْكِ
تُطْفِئهِ نِيرَانُ الْهَوَى وَتُذْكِي … كَأَنَّما قَطْرَ السَّمَاءِ تَحْكِي

إِلَى غَزَالٍ مِنْ بَنِي النَّصَارَى … عِذَارُ خَدَّيهِ سَبَى الْعَذَارَى
وَغَادَرَ الأُسْدَ بِهِ حَيَارَى … فِي رِبْقَةِ الْحُبِّ لَهُ أَسَارَى

رِئْمٌ بِدَارِ الرُّوْمِ رَامَ قَتْلِي … بِمُقلَةٍ كَحْلاءَ، لا عَنْ كُحْلِ[1]
وَطُرَّةٍ بِهَا اسْتَطَارَ عَقْلِي … وَحُسْنِ وَجهٍ وَقَبِيحِ فِعْلِ

رِئْمٌ بِهِ أيُّ هِزَبْرٍ لَمْ يُصَدْ … يَقتُلُ بِاللَّحظِ وَلا يَخْشَى الْقَوَدْ[2]

---

(١) الرئمُ: الظبية البيضاء الصافية البياض.

(٢) الهزبرُ: الأسد، والقود: القصاص.

مَتى يَقُلْ: هَا قَالَتِ الألْحَاظُ قَدْ .. كَـأنَّـهُ نَـاسُـوْتُـهُ حِـيْـنَ اتَّـحَـدْ

مَـا أَبـصَـرَ الـنَّـاسُ جَـمِـيْـعَـاً بَـدْرَاً وَلا رَأوا شَـمْـسَـاً وَغُـصْـنـاً نَـضْـرَا

أَحْسَنَ مِنْ «عَمرٍو» فَدَيْتُ عَمْرَا ظَبْيٌ بِعَيْنَيْهِ سَقَانِي الْخَمْرَا

هَـا أَنَـا ذَا بِـقَـدِّهِ مَـقْـدُوْدُ وَالـدَّمـعُ فِـي خَـدِّي لَـهُ أُخْـدُوْدُ

مـا ضَـرَّ مَـنْ فَـقـدي بِـهِ مَـوْجـوْد لَـوْ لَـمْ يُـقَـبِّـحْ فِـعْـلَـهُ الـصُّـدُوْدُ

إِنْ كَـانَ دِيْـنِـي عِـنْـدَهُ الإِسْـلامُ فَـقَـدْ سَـعَـتْ فِـيْ نَـقْـضِـهِ الآثَـامُ

وَاخـتـلَّـتِ الـصَّـلاةُ وَالـصِّـيَـامُ وَجَـازَ فِـي الـدِّيْـنِ لَـهُ الْـحَـرَامُ

يَـا لَـيْـتَـنِـي كُـنْـتُ لَـهُ صَـلِـيْـبَـا أَكُـوْنُ مِـنْـهُ أَبَـداً قَـرِيْـبَـا

أُبْـصِـرُ حُـسْـنَـاً وَأَشُـمُّ طِـيْـبَـا لا وَاشِـيَـاً أَخْـشَـى وَلا رَقِـيْـبَـا

بَـلْ لَـيْـتَـنِـي كُـنْـتُ لَـهُ قُـرْبَـانَـا أَلْـثُـمُ مِـنْـهُ الـثَّـغْـرَ وَالـبَـنَـانَـا

أَوْ جَـاثَـلِـيْـقَـا كُـنْـتُ أو مَـطْـرَانَـا كَـيْـمَـا يَـرَى الـطَّـاعَـةَ لِـي إِيْـمَـانَـا[1]

بَلْ لَيتَني كُنْتُ «لِعَمْرٍو» مُصْحَفاً يَـقْـرَأُ مِـنِّـي كُـلَّ يَـوْمٍ أَحْـرُفَـا

أو قَـلَـمـاً يَـكْـتُـبُ بِـيْ مَـا أَلَّـفَـا مِنْ أَدَبٍ مُـسْـتَـحْـسَـنٍ قَـدْ صُـنِّـفَـا

بَـلْ لَـيْـتَـنِي كُـنْـتُ «لِـعَـمْـرٍو» عُـوَذَةْ أَوْ حُـلَّـةً يَـلْـبَـسُـهَـا مَـقْـذَوَّذَةْ[2]

أَوْ بُـرْكَـةً بِـاسْـمِـهِ مَـأْخُـوْذَةْ أَوْ بَـيْـعَـةً فِـي دَارِهِ مَـنْـبُـوذَةْ

بَـلْ لَـيْـتَـنِـي كُـنْـتُ لَـهُ زُنَّـارا يُـدِيْـرُنِـي فِـي الْـخَـصْـرِ كَـيْـفَ دَارَا

---

(١) الجاثليق: لفظ يوناني معناه «العمومي» ويقصد به الرئيس الديني الأعلى عند الكلدان النساطرة في أيام الملوك السّاسانيين ويقابله حالياً «البطريارك»

(٢) العوَذَةُ: التميمة، ومقذوذة: مُزينة بالريش.

حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ طَوَى النَّهَارَا   صِرْتُ لَهُ حِينَئِذٍ إِزَارَا

قَدْ، وَالَّذِي يُبْقِيهِ لِي، أَفْنَانِي   وَابْتَزَّ عَقْلِي وَالضَّنَى كَسَانِي
ظَبْيٌ عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّدَانِي   حَلَّ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنْ جِثْمَانِي

وا كَبِدِي مِنْ خَدِّهِ الْمُضَرَّجِ   وَاكَبِدِي مِنْ ثَغْرِهِ الْمُفَلَّجِ(1)
لا شَيْءَ مِثْلُ الطَّرْفِ مِنْهُ الأَدْعَجِ   أَذْهَبُ لِلنُّسْكِ وَلِلتَّحَرُّجِ(2)

إِلَيْكَ أَشْكُو يَا غَزَالَ الإِنْسِ   مَا بِي مِنَ الْوَحْشَةِ بَعْدَ الأُنْسِ
يَا مَنْ هِلالِي وَجْهُهُ وَشَمْسِي   لا تُقْتَلُ النَّفْسُ بِغَيْرِ نَفْسِ

جُدْ لِي كَمَا جُدْتَ بِحُسْنِ الْوُدِّ   وَارْعَ كَمَا أَرْعَى قَدِيمَ الْعَهْدِ
وَاصْدُدْ كَصَدِّيَ عَنْ طَوِيلِ الصَّدِّ   فَلَيْسَ وَجْدٌ بِكَ مِثْلَ وَجْدِي

هَا أَنَا فِي بَحْرِ الْهَوَى غَرِيقُ   سَكْرَانُ مِنْ حُبِّكَ لا أُفِيقُ
مُحْتَرِقٌ مَا مَسَّنِي حَرِيقُ   يَرْثِي لِيَ الْعَدُوُّ وَالصَّدِيقُ

فَلَيْتَ شِعْرِي فِيكَ هَلْ تَرْثِي لِي   مِنْ سَقَمٍ بِي وَضَنًى طَوِيلِ؟
أَمْ هَلْ إِلَى وَصْلِكَ مِنْ سَبِيلِ   لِعَاشِقٍ ذِي جَسَدٍ نَحِيلِ؟

فِي كُلِّ عِضْوٍ مِنْهُ سُقْمٌ وَأَلَمْ   وَمُقْلَةٌ تَبْكِي بِدَمْعٍ وَبِدَمْ
شَوْقاً إِلَى بَدْرٍ وَشَمْسٍ وَصَنَمْ   مِنْهُ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى إِذَا ظَلَمْ!

أَقُولُ إِذْ قَامَ بِقَلْبِي وَقَعَدْ   يَا «عَمْرُو» يَا عَامِرَ قَلْبِيَ بِالْكَمَدْ
أُقْسِمُ بِاللَّهِ يَمِينَ الْمُجْتَهِدْ   إِنَّ امْرأً أَسْعَدْتَهُ لَقَدْ سَعِدْ

---

(1) مقلجُ الأسنان: منفرجُ الأسنان، في أسنانه فرق.

(2) التحرُّج: شدَّة الورع.

يَا «عَمْرُو» نَاشَدْتُكَ بِالْمَسِيحِ أَلا اِسْتَمَعْتَ الْقَوْلَ مِنْ فَصِيحِ

يُخْبِرُ عَنْ قَلْبٍ لَهُ جَرِيحِ بَاحَ بِمَا يَلْقَى مِنَ التَّبْرِيحِ

يَا «عَمْرُو» بِالْحَقِّ مِن اَللاهُوتِ وَالرُّوحِ رُوحِ الْقُدْسِ وَالنَّاسُوتِ

ذَاكَ الَّذِي فِي مَهْدِهِ الْمَنْحُوتِ عُوِّضَ بِالنُّطْقِ مِنَ السُّكُوتِ

بِحَقِّ نَاسُوتٍ بِبَطْنِ مَرْيَم حَلَّ مَحَلَّ الرِّيقِ مِنْهَا فِي الْفَم

ثُمَّ اِسْتَحَالَ فِي قَنُومِ الأَقْدَمْ فَكَلَّمَ النَّاسَ وَلَمَّا يُفْطَم[1]

بِحَقِّ مَنْ بَعْدَ الْمَمَاتِ قُمِّصَا ثَوْبَاً عَلَى مِقْدَارِهِ مَا قُمِّصَا

وَكَانَ لِلَّهِ تَقِيَّا مُخْلِصَا يَشْفِي وَيُبْرِي أَكْمَهاً وأَبرَصَا[2]

بِحَقِّ مُحيِي صُوَرَةِ الطُّيُورِ وَبَاعِثِ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ

وَمَنْ إِلَيْهِ مَرْجِعُ الأُمُورِ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبُحُورِ

بِحَقِّ مَا فِي شَامِخِ الصَّوَامِعِ مِنْ سَاجِدٍ لِرَبِّهِ وَرَاكِعِ

يَبْكِي إِذَا مَا نَامَ كُلُّ هَاجِعِ خَوْفَاً إِلَى اللَّهِ بِدَمْعٍ هَامِعِ

بِحَقِّ قَوْمٍ حَلَقُوا الرُّؤوسَا وَعَالَجُوا طُولَ الْحَيَاةِ بُؤسَا

وَقَرَعُوا فِي الْبَيْعَةِ النَّاقُوسَا مُشْمَعِلِّينَ يَعْبُدُونَ عِيسَى[3]

---

(١) الأقنوم: الأصل والجوهر والشخص، والأقانيم الثلاثة عند المسيحيين: هي الأب والإبن والروح القدس، وعند الاسكندرانيين هي النفس الكلية والعقل والواحد«جميل صليبا ـ المعجم الفلسفي» وفي «كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: الأقانيم عند النصارى ثلاث صفات من صفات اللّه وهي: العلم والوجود والحياة، وعبروا عن الوجود بالأب وعن الحياة بالروح القدس وعن العلم بالكلمة، وقالوا أقنوم الكلمة اتحدت بعيسى عليه السَّلام».

(٢) الأكْمَه: الشخص الذي يولد أعمى.

(٣) مُشمعلين: يرتِّلون صلواتهم.

بِـحَـقِّ «مَـارتَ» مَـرْيَـم وَبـولِـسِ بِحَقِّ شَمْعُوْنِ الصَّفا وَبُطْرُسِ[1]
بَـحَـقِّ «دَانِـيـلَ» بِـحَـقِّ يـونُـسِ بِحَقِّ «حَزقيلَ» وَبَيتِ الْمَقْدِسِ

وَنِـيـنَـوَى إِذْ قَـامَ يَـدْعُـو رَبَّـهُ مُـطَـهِّـراً مِـنْ كُـلِّ سُوءٍ قَـلْـبَـهُ
وَمُـسْـتَـقِـيـلاً فَـأَقَـالَ ذَنـبَـهُ وَنَـالَ مِـنْ أَبِـيـهِ مَـا أَحَـبَّـهُ

بِـحَـقِّ مَـا فِـي قُـلَّـةِ الْـمَـيْـرُوْنِ مِنْ نَـافِـعِ الأَدْوَاءِ لِـلْـمَـجْـنُـوْنِ[2]
بِـحَقِّ مَـا يُـؤْثَـرُ عَـنْ «شَـمْـعُـوْنِ» مِنْ بَـرَكَـاتِ الْـخُـوصِ وَالـزَّيـتُـونِ
بِـحَـقِّ أَعْـيَـادِ الـصَّـلِـيـبِ الـزُّهْـرِ وَعِـيْـدِ «شَـمْـعُـوْنَ» وَعِـيْـدِ الْـفِـطْـرِ
وَبِـالـشَّـعَـانِـيْـنِ الْـعَـظِـيـمِ الْـقَـدْرِ وَعِـيْـدِ «مَـرْمَـارِي» الـرَّفِـيْـعِ الـذِّكْـرِ

وَعِـيْـدِ «أَشْـعَـيَـا» وَبِـالْـهَـيَـاكِـلِ وَ «الدُّخْنِ» اللاتِي بِكَفِّ الْحامِلِ[3]
يُشْـفَـى بِـهَـا مِـنْ خَـبَـلٍ كُـلُّ خابِـلِ وَمِنْ دَخِيلِ السُّقْمِ فِي الْمَفَاصِلِ

بَـحَـقِّ سَـبْـعِـيْـنَ مِـنَ الـعِـبَـادِ قَـامُـوا بِـدِيْـنِ الـلَّـهِ فِـي الـبِـلَادِ
وَأَرْشَـدُوا الـنَّـاسَ إِلَـى الـرَّشَـادِ حَـتَّـى اهْـتَدَى مَنْ لَـمْ يَـكُـنْ بِـهَـادِ

بِـحَـقِّ ثِـنْـتَـيْ عَـشْـرَةٍ مِـنَ الأُمَـمْ سَارُوا إِلَى الأَقْطَارِ يَتْلُوْنَ الْحِكَمْ
حَتَّى إِذَا صُبْحُ الدُّجَى جَلَّى الظُّلَمْ صَـارُوا إِلَـى الـلَّـهِ وَفَـازُوْا بِـالـنِّـعَـمْ

---

(١) مارت مريم: السَّيدة مريم باللغة السريانية.
(٢) الْمَيْرُوْن: كلمةٌ يونانيةٌ تعني «الزَّيتَ أو العطرَ». وفي الكهنوتية المسيحية، هو زيتٌ مَمزوجٌ بمواد عطريّة شتَّى، يندرجُ في طقوس المعمودية ويعدُّ من أسرار الكنيسةِ السَّبعة، حيث يتمُّ به «سر التثبيت» والقلة هنا، كناية عن قلة «الميرون» في الطقس، حيث بالكاد تمسح به القدم بعد التعميد مباشرة.
(٣) الدخن: دقيق الذرة البيضاء.

بِحَقِّ مَا فِي مُحْكَمِ الإِنْجِيلِ مِنْ مُحْكَمِ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ
وَخَبَرٍ ذِي نَبَإٍ جَلِيلِ يَرْوِيهِ جِيلٌ قَدْ مَضَى عَنْ جِيلِ

بِحَقِّ «مُرْقُسَ» الشَّفِيقِ النَّاصِحِ بِحَقِّ «لُوقَا» ذِي الْفَعَالِ الصَّالِحِ
بِحَقِّ يوحَنَّا الْحَلِيمِ الرَّاجِحِ وَالشُّهَدَاءِ بِالفَلا الصَّحَاصِحِ[1]

بِحَقِّ مَعْمُودِيَّةِ الأَرْوَاحِ وَالْمَذْبَحِ الْمَشْهُورِ فِي النَّوَاحِي
وَمَنْ بِهِ مِنْ لابِسِ الأَمْسَاحِ وَعَابِدٍ بَاكٍ وَمِنْ نَوَّاحِ[2]

بِحَقِّ تَقْرِيبِكَ فِي الآحَادِ وَشُرْبِكَ القَهْوَةَ كالْفِرْصَادِ[3]
وَطُولِ تَبْيِيضِكَ لِلأَكْبَادِ بِمَا بِعَيْنَيْكَ مِنَ السَّوَادِ

بِحَقِّ مَا قُدِّسَ «شَعْيَا» فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وَبِالتَّنْزِيهِ
بِحَقِّ «نَسْطُورٍ» وَمَا يَرْوِيهِ عَنْ كُلِّ نَامُوسٍ لَهُ فَقِيهِ

شَيْخَانِ كَانَا مِنْ شُيُوخِ العِلْمِ وَبَعْضِ أَرْكَانِ التُّقَى وَالْحِلْمِ
لَمْ يَنْطِقَا قَطُّ بِغَيْرِ فَهْمِ مَوْتُهُمَا كَانَ حَيَاةَ الْخَصْمِ

بِحُرْمَةِ الأُسْقُفِ وَالْمَطْرَانِ وَالْجَاثَلِيقِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي
وَالْقَسِّ وَالشَّمَّاسِ وَالدَّيْرَانِي وَالبَطْرَكِ الأَكْبَرِ وَالرُّهْبَانِ

بِحُرمَةِ الْمَحْبُوسِ فِي أَعْلَى الْجَبَلْ وَ «مارِ قولا» حِينَ صَلَّى وَابْتَهَلْ
وَبالكَنِيسَاتِ الْقَدِيمَاتِ الأُوَلْ وَبالسَّلِيمِ الْمُرْتَضَى بِمَا فَعَلْ

---

(١) الصحاصح: البيداء، وقيل هي الأرض التي لا ماء فيها أو شجر.

(٢) الأمساح: صيغةُ جَمْعٍ من «مُسوح» وهي العباءات، ويريد بها هنا لباس الكهنوت المسيحي في المذبح.

(٣) التقريب: نوعٌ من السَّير، يقارب السرعة، والفرصاد: التوت الأحمر.

بِحُرمَةِ الأَسقُوفِيا وَالْبَيرَمِ ... وَما حَوى مِغفَرُ رَأسِ مَريَمِ

بِحُرمَةِ الصَّومِ الْكَبِيرِ الأَعظَمِ ... وَحَقِّ كُلِّ بَركَةٍ وَمَحرَمِ

بِحَقِّ يَومِ الذَّبحِ ذِي الإِشرَاقِ ... وَلَيلَةِ الْمِيلادِ وَالسُّلاقِ[1]

وَالْمَذهَبِ الْمُذهِبِ لِلنُّقَاقِ ... وَالفِصْحِ يَا مُهَذَّبَ الأَخلاقِ

بِكُلِّ قُدَّاسٍ عَلى قُدَّاسِ ... قَدَّسَهُ الْقَسُّ مَعَ الشَّمَّاسِ

وَقَرَّبُوا يَومَ الْخَمِيسِ النَّاسِي ... وَقَدَّمُوا الْكَأسَ لِكُلِّ حَاسِ

أَلا رَغِبتَ فِي رِضَا أَدِيبِ ... بَاعَدهُ الْحُبُّ عَنِ الْحَبِيبِ

فَذَابَ مِنْ شَوقٍ إِلى الْمُذِيبِ ... أَغلَى مُنَاهُ أَيسَرُ التَّقرِيبِ

فَانظُر أَمِيرِي فِي صَلاحِ أَمرِي ... مُحتَسِباً فِيَّ عَظِيمَ الأَجرِ

مُكتَسِباً فِيَّ جَمِيلَ الشُّكرِ ... فِي نَثرِ أَلفَاظٍ وَنَظمِ شِعرِ

---

(١) السلاق: هو عيد خميس الأربعين، تعتقد المسيحية أن السيِّد المسيح تسلق فيه من بين تلاميذه إلى السَّماء من بعد القيام، ووعدهم بإرسال الفارقليط وهو روح القدس.

أَبُو الْحَسنِ الأَنْبَارِيُّ

أجْمَلُ الْمَصْلُوبِيْنَ

هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ قَالَهَا أَبو الْحَسَنِ الأَنْبَارِيُّ فِي رِثَاءِ الْوَزِيْرِ «ابْنِ بَقِيَّةَ» الَّذِيْ قَتَلَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَصَلَبَهُ عَلَىٰ رَأْسِ جِسْرٍ بِبَغْدَادَ، قَالَ عَنْهَا الصَّفَديُّ فِي الْوَافِيْ بِالْوَفِيَّاتِ: «لَمْ أرَ فِيْ مَصْلُوْبٍ أحْسَنَ مِنْهَا» وَقَالَ عَنْهَا الثَّعَالِبِيُّ فِي يَتِيْمَتِهِ «قَصِيْدَةٌ فَرِيْدَةٌ تَدُلُّ عَلَى أنَّ صَاحِبَهَا مِنْ أفْرَادِ الشُّعَرَاءِ» وَأبْدَى الْجَرْجَانِيُّ فِي «أسْرَارِ الْبَلاغَةِ» إعْجَابَهُ «بِمَا صَنَعَ فِيْهَا مِنَ السِّحْرِ، حَتَّى قَلَبَ جُمْلَةَ مَا يُسْتَنْكَرُ مِنْ أحْوَالِ الْمَصْلُوْبِ إلَى خِلافِهَا، وَتَأوَّلَ فِيْهَا تَأوِيْلاتٍ أرَاكَ فِيْهَا وَبِهَا مَا تُقْضِي مِنْهُ الْعَجَبَ» وَعَدَّهَا النُّوِيْرِي فِي «نِهَايةِ الأَرَبِ» مِنْ نَوَادِرِ الْمَراثِيْ. وَكَانَ الأنْبَارِيُّ قَدْ كَتَبَ قَصِيْدَتَهُ فِي رِثَاءِ صَدِيْقِهِ «ابْنِ بَقِيَّةَ» وَرَمَى بِهَا نُسَخاً فِي شَوَارِعِ بَغْدَادَ، فَتَدَاوَلَهَا الأُدَبَاءُ إلَى أنْ اتَّصَلَ الْخَبَرُ بِعَضُدِ الدَّوْلَةِ، فَلَمَّا أنْشِدَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ تَمَنَّى أنْ يَكُوْنَ هوَ الْمَصْلُوْبُ دُوْنَهُ.

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ   بِحَقٍّ أَنْتَ إِحْدَى الْمُعْجِزَاتِ

كَأنَّ النَّاس حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا   وُفُوْدُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصِّلاتِ

كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيباً ... وَكُلُّهُمُ قِيَامٌ لِلصَّلاةِ

مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ احْتِفَاءً ... كَمَدِّهِمَا إِلَيْهِمْ بِالْهِبَاتِ

وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الأَرْضِ عَنْ أَنْ ... يَضُمَّ عُلاكَ مِنْ بَعْدِ الْوَفَاةِ

أَصَارُوا الْجَوَّ قَبْرَكَ وَاسْتَعَاضُوا ... عَنِ الأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ

لِعِظَمِكَ فِي النُّفُوسِ بَقِيتَ تُرْعَى ... بِحُرَّاسٍ وَحُفَّاظٍ ثِقَاتِ

وَتُشْعَلُ حَوْلَكَ النِّيرَانُ لَيْلاً ... كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ

رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلُ زَيْدٌ ... عَلاهَا فِي السِّنِينَ الْمَاضِيَاتِ

وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأَسٍّ ... تُبَاعِدُ عَنْكَ تَعْيِيرَ الْعِدَاةِ

وَلَمْ أَرَ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعاً ... تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ

أَسَأْتَ إِلَى النَّوَائِبِ فَاسْتَثَارَتْ ... فَأَنْتَ قَتِيلُ ثَأْرِ النَّائِبَاتِ

وَكُنْتَ تُجِيرُ مِنْ صَرْفِ اللَّيَالِي ... فَصَارَ مُطَالِباً لَكَ بِالتِّرَاتِ

وَصَيَّرَ دَهْرُكَ الإِحْسَانَ فِيهِ ... إِلَيْنَا مِنْ عَظِيمِ السَّيِّئَاتِ

وَكُنْتَ لِمَعْشَرٍ سَعْداً فَلَمَّا ... مَضَيْتَ تَفَرَّقُوا بِالْمُنْحِسَاتِ

غَلِيلٌ بَاطِنٌ لَكَ فِي فُؤَادِي ... يُخَفَّفُ بِالدُّمُوعِ الْجَارِيَاتِ

وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامٍ ... بِفَرْضِكَ وَالْحُقُوقِ الْوَاجِبَاتِ

مَلأْتُ الأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَافِي ... وَنُحْتُ بِهَا خِلافَ النَّائِحَاتِ

وَلَكِنِّي أُصَبِّرُ عَنْكَ نَفْسِي ... مَخَافَةَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْجُنَاةِ

وَمَا لَكَ تُرْبَةٌ فَأَقُولُ تُسْقَى ... لأَنَّكَ نَصْبُ هَطْلِ الْهَاطِلاتِ

عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَتْرَى ... بِرَحْمَاتٍ غَوَادٍ رَائِحَاتِ

ابْنُ زُرَيْقٍ الْبَغْدَادِيُّ

فِرَاقِيَّةُ الْبَغْدَادِيّ

من أَشْهَرِ الْقَصَائِدِ الْيَتِيْمَةِ وَأَكْثَرِهَا غَرَابَةً، فَقَدْ زَعَمَ صَاحِبُ «الْوَافِي بِالْوَفَيَاتِ» أَنَّهَا قَصِيْدَةُ مَدْحٍ إذْ يَقُوْلُ: «لَهُ الْقَصِيْدَةُ الَّتِي مَدَحَ بِهَا الْعَمِيْدَ أَبَا نَصْرٍ وَزِيْرَ طُغْرُلْبَك» وَطُغْرُلْبَكَ، سُلْطَانُ السَّلاجِقَةِ فِي بَغْدَادَ، وَوَزِيْرُهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ كَذَلِكَ وَلاَ عَلاقَةَ لِلْقَصِيْدَةِ، عَلَى هَذَا الأَسَاسِ، بِالْهِجْرَةِ مِنْ بَغْدَادَ إِذَنْ. ثُمَّ يُوْرِدُ الصَّفَدِيُّ الْعَيْنِيَّةَ بِأَبْيَاتِهَا كَامِلَةً[1] وَهُوَ مَا جَعَلَ نُعْمَانَ مَاهِرِ الْكَنْعانِيّ يُشَكِّكُ فِي وُجُوْدِ ابْنِ زُرَيْقٍ لِغِيَابِ الْمَدْحِ الْمَزْعُوْمِ فِيْ قَصِيْدَتِهِ، لَكِنَّ صَاحِبَ «مَصَارِعِ الْعُشَّاقِ» يُوْرِدُ رِوَايَةً أُخْرَىْ أَقْرَبَ لِلصِّحَةِ حَيْثُ يَقُوْلُ: إنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ قَصَدَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْدَلُسِيَّ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِنَسَبِهِ، فَأَرَادَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ يَبْلُوَهُ وَيَخْتَبِرَهُ، فَأَعْطَاهُ شَيْئاً نَزِراً، فَقَالَ الْبَغْدَادِيُّ: إنَّا للَّهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ! سَلَكْتُ

---

(١) لا يكتفي الصفدي بهذا في ما يتعلق بتشويش صورة ابن زريق، والتباسها، إذ يورد له قصيدة أخرى من أربعين بيتاً في رثاء دبك، مِمَّا يشير إلى أن لابن زريق هذا قصائدَ أخرى.

الْبَرَارِيَ وَالْبِحَارَ وَالْمَهَامِهَ وَالْقِفَارَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَأَعْطَانِي هَذَا الْعَطَاءَ النَّزرَ؟ فَانْكَسَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَاعْتَلَّ فَمَاتَ.

وَشُغِلَ عَنْهُ الأَنْدَلُسِيُّ أَيَّاماً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ فَخَرَجُوا يَطْلُبُوْنَهُ، فَانْتَهَوا إِلَى الْخَانِ الَّذِيْ كَانَ فِيْهِ وَسَأَلُوا الْخَانِيَّةَ «صَاحِبَةَ الْخَانِ أَوْ الْفُنْدُقِ» عَنْهُ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَمُذْ أَمْسِ لَمْ أَرَهُ، فَصَعَدُوا فَدَفَعُوا الْبَابَ، فَوَجَدُوا الرَّجُلَ مَيْتاً، وَعِنْدَ رَأْسِهِ رُقْعَةٌ كَتَبَ عَلَيْهَا قَصِيْدَتَهُ.

وَيُقَالُ: مَنْ تَخَتَّمَ بِالْعَقِيْقِ، وَقَرَأَ لأَبِيْ عَمْرو وَتَفَقَّهَ لِلشَّافِعِيِّ، وَحَفِظَ قَصِيْدَةَ ابْنِ زُرَيْقٍ، فَقَدَ اسْتَكْمَلَ الظَّرْفَ.

لا تَعْذَلِيهِ فَإِنَّ العَذْلَ يُولِعُهُ
قَدْ قُلْتِ حَقّاً وَلَكِنْ لَيسَ يَسْمَعُهُ

جَاوَزْتِ فِي لَومِهِ حَدّاً أَضَرَّ بِهِ
مِنْ حَيثُ قَدَّرْتِ أَنَّ اللَومَ يَنفَعُهُ

فَاسْتَعْمِلِي الرِّفْقَ فِيْ تَأنِيبِهِ بَدَلاً
مِنْ عَذْلِهِ فَهُوَ مُضْنَى القَلْبِ مُوْجَعُهُ

قَدْ كَانَ مُضطَلَعاً بِالخَطبِ يَحْمِلُهُ
فَضُيِّقَتْ بِخُطُوبِ الدَّهرِ أَضْلُعُهُ

يَكْفِيهِ مِنْ لَوْعَةِ التَّشْتِيتِ أَنَّ لَهُ
مِنَ النَّوَى كُلَّ يَوْمٍ مَا يُرَوِّعُهُ

مَا آبَ مِنْ سَفَرٍ إِلاَّ وَأَزْعَجَهُ
رَأْيٌ إِلَى سَفَرٍ بِالرَّغْمِ يَزْمَعُهُ

كَأَنَّمَا هُوَ فِيْ حِلٍّ وَمُرْتَحَلٍ
مُوَكَّلٍ بِفَضَاءِ اللَّهِ يَذْرَعُهُ

إِنَّ الزَّمانَ أَرَاهُ فِي الرَّحِيلِ غِنىً
وَلَوْ إِلَى السِّنْدِ أَضْحَى وَهُوَ يَزْمَعُهُ

تَأْبَى المَطَامِعُ إلاَّ أَنْ تُجَشِّمَهُ
لِلرِزْقِ كَدّاً وَكَمْ مِمَّنْ يُوَدِّعُهُ

وَما مُجَاهَدَةُ الإِنْسَانِ تَوْصِلُهُ
رِزقَاً وَلا دَعَةُ الإِنْسَانِ تَقْطَعُهُ

قَدْ وَزَّعَ اللَّهُ بَيْنَ الخَلْقِ رِزْقَهُمُ
لَمْ يَخْلُق اللَّهُ مِنْ خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ

لَكِنَّهُمْ كُلِّفُوا حِرْصَاً فَلَسْتَ تَرَىٰ
مُسْتَرْزِقَاً وَسِوَىٰ الغَايَاتِ تُقْنِعُهُ

وَالحِرْصُ فِي الرِّزْقِ، وَالأَرْزَاقُ قَدْ قُسِمَتْ،
بَغْيٌ، أَلا إِنَّ بَغْيَ المَرْءِ يَصْرَعُهُ

وَالدَّهْرُ يُعْطِي الفَتَىٰ مِنْ حَيثُ يَمْنَعُهُ
إِرْثاً وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيثِ يُطْمِعُهُ

أَسْتَودِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَراً
بِالكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ[1]

---

(١) فلك الأزرار: فتحة مستديرة في الخباء، فالزِّر كما جاء في «لسان العرب»: واحد الأَزْرَارِ التي تشدّ بها الكِلَلُ والسُّتورُ على ما يكون في حَجَلَةِ العروس، وقيل: الأزرَارُ: خَشَبَاتٌ يُخْرَزْنَ في أَعْلَى شُقَقِ الخِبَاءِ وأُصولها في الأرض، وهذا البيت من الأبيات المُحَيِّرَةِ حقّاً، فقد كان أوّلُ من أوردهُ: الجاحظُ في «المحاسن والأضداد ـ طبعة مصر ١٩٠٦ وكذلك طبعة مكتبة الخانجي ١٩٩٤» على لسان جارية غنته أمام أحد أمراء المغرب العربي، والجاحظُ كما هو معروف عاش قبلَ=

وَدَّعــتُــهُ وَبِــوُدِّي لَــوْ يُــوَدِّعُــنِــي
صَــفْــوُ الْــحَــيَــاةِ وَأَنِّــي لا أُودِّعُــهُ

وَكَــمْ تَــشَــفَّــعَ بِــي أنْ لا أُفَــارِقَــهُ
وَلِــلــضَّــرُورَاتِ حَــالٌ لا تُــشَــفِّــعُــهُ

وَكَــمْ تَــشَــبَّــثَ بِــي يَــوْمَ الــرَّحِــيــلِ ضُــحَــىً
وَأَدْمُــعِــي مُــسْــتَــهِــلَّاتٍ وَأَدْمُــعُــهُ

لا أَكْــذِبُ الــلَّــهَ ثَــوْبُ الــصَّــبْــرِ مُــنْــخَــرِقٌ
عَــنِّــي بِــفُــرْقَــتِــهِ لَــكِــنْ أُرَقِّــعُــهُ

إِنِّــي أَوَسِّــعُ عُــذْرِي فِــي جِــنَــايَــتِــهِ
بِــالْــبَــيْــنِ عِــنْــهُ وَجُــرْمِــي لا يُــوَسِّــعُــهُ

= ابن زريق المفترض براوية الصفدي بقرنين، وأضافَ أبو حيان التوحيدي في «الإمتاع والمؤانسة» بيتاً آخر في روايته لقصة قريبة من الأولى وأضاف بيتاً آخر فوردت هكذا:

أستودعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَراً — بِالكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ
وَدَّعْتُهُ وَبِوُدِّي لَوْ يُوَدِّعُنِي — صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنِّي لا أُودِّعُهُ

أما الثعالبي فقد نسبَ في يتيمة الدَّهْر «طبعة دار الكتب العلمية ـ ١٩٨٣» في الصفحة ٣٤٠ من الجزء الأول، الأبيات التالية من القصيدة للوأواء الدمشقي:

إِسْتَودِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَراً — بِالكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ
وَدَّعْتُهُ وَبِوُدِّي لَوْ يُوَدِّعُنِي — رُوحُ الْحَيَاةِ وَأَنِّي لا أُودِّعُهُ
وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضُحَىً — وَأَدْمُعِي مُسْتَهِلَّاتٍ وَأَدْمُعُهُ
وَكَمْ تَشَفَّعَ بِي أنْ لا أُفَارِقَهُ — وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لا تُشَفِّعُهُ

وراوية الجاحظ الذي سبق الوأواءَ الدمشقيَّ أيضاً، وبأكثر من قرن، تدحضُ هذه النسبة، والترجيح الممكن هنا أن هذه الأبيات كانت موجودة منذ القرن الثاني للهجرة، وقد ضمنها ابن زريق في قصيدته تلك.

أُعْطِيتُ مُلْكاً فَلَمْ أُحْسِنْ سِياسَتَهُ
وَكُلُّ مَنْ لا يَسُوسُ المُلْكَ يَخْلَعُهُ

وَمَنْ غَدَا لابِساً ثَوْبَ النَّعِيمِ بِلاْ
شُكْرٍ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزَعُهُ

إعتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خِلِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ
كَأساً أُجَرَّعُ مِنْها ما أُجَرَّعُهُ

كَمْ قائِلٍ لِيَ: ذُقْتُ البَيْنَ قُلْتُ لَهُ:
الذَّنْبُ وَاللَّهِ ذَنْبِي لَسْتُ أَدْفَعُهُ

ألاّ أَقَمْتَ فَكانَ الرُّشْدُ أَجْمَعُهُ
لَوْ أَنَّنِي يَوْمَ بانَ الرُّشْدُ اتْبَعُهُ

لَوْ أَنَّنِي لَمْ تَقَعْ عَيْنِي عَلَى بَلَدِ
فِي سَفْرَتِي هَذِهِ إلاّ وَأَقْطَعُهُ

إِنِّي لأَقْطَعُ أيّامِي وَأُنْفِدُها
بِحَسْرَةٍ مِنْهُ فِي قَلْبِي تُقَطِّعُهُ

بِمَنْ إذا هَجَعَ النُّوّامُ بِتُّ لَهُ
بِلَوْعَةٍ مِنْهُ لَيْلِي لَسْتُ أَهْجَعُهُ

لا يَطْمَئِنُّ لِجَنْبِي مَضْجَعٌ وَكَذا
لاْ يَطْمَئِنُّ لَهُ مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُهُ

ما كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّهْرَ يَفْجَعُنِي
بِهِ وَلا أَنَّ بِي الأَيّامَ تَفْجَعُهُ

حَتَّى جَرَى البَيْنُ فِيما بَيْنَنا بِيَدٍ
عَسْراءَ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَتَمْنَعُهُ

قَدْ كُنْتُ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي جَازِعاً فَرِقاً

فَلَمْ أوقَّ الَّذي قَدْ كُنْتُ أجْزَعُهُ

بِاللَّهِ يا مَنْزِلَ الْعَيْشِ الَّذي دَرَسَتْ

آثارُهُ وَعَفَتْ ـ مُذْ بِنْتُ ـ أَرْبُعُهُ

هَلْ الزَّمَانُ مُعِيدُ فِيكَ لَذَّتُنا

أم اللَّيالِي الَّتِي أمْضَتْهُ تُرْجِعُهُ؟

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَنْ أَصْبَحَتَ مَنْزِلَهُ

وَجَادَ غَيْثٌ عَلى مَغْنَاكَ يُمْرِعُهُ

مَنْ عِنْدَهُ لِيَ عَهْدٌ لا يُضَيِّعُهُ

كَمَا لَهُ عَهْدُ صِدْقٍ لا أُضَيِّعُهُ

وَمَنْ يُصَدِّعُ قَلْبي ذِكْرَهُ وَإِذَا

جَرَى عَلى قَلْبِهِ ذِكْري يُصَدِّعُهُ

لأَصْبِرَنَّ لِدَهْرٍ لا يُمَتِّعُنِي

بِهِ وَلا بِيَ فِي حالٍ يُمَتِّعُهُ

عِلْماً بِأَنَّ اصْطِباري مُعْقِبُ فَرَجاً

فَأَضْيَقُ الأَمْرِ إنْ فَكَّرتَ أوْسَعُهُ

عَسَى اللَّيَالِي الَّتِي أَضْنَتْ بِفُرْقَتِنَا

جِسْمِي سَتَجمَعُنِي يَوْماً وَتَجْمَعُهُ

وَإنْ تُغِلْ أَحَداً مِنَّا مَنِيَّتُهُ

لا بُدَّ فِي غَدِهِ الثَّانِي سَيَتْبَعُهُ

أبو سعد النَّيْرَمَانِيّ

عَنِ الْوَادِي الْمَهْجُوْرِ

ثَمَّةَ أَكْثَرُ مِنْ وَشِيجَةٍ بَيْنَ شَاعِرِ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ وَابْنِ زُرَيْقٍ الْبَغْدَادِيِّ، فَهُمَا مُعَاصِرَانِ لِبَعْضِهِمَا بَالرَّغْمِ مِنَ السِّيْرَةِ الْمُلْتَبِسَةِ لابْنِ زُرَيْق، وَكِلاهُمَا اشْتُهِرَ بِلَقَبِ «الْكَاتِب» وَكُلٌّ مِنْهُمَا اسْمُهُ الأَوَّلُ: «عَلِيٌّ» وَكِلاهُمَا جَاوَرَ الأُمَرَاءَ وَطَلَبَ عَطَايَاهُمْ، وَكِلاهُمَا كَتَبَ قَصِيْدَتَهُ عَنْ بَغْدَادَ، وَبِالتَّحْدِيْدِ عَنْ فِرَاقِهَا عَلَى كَرَاهَةٍ، وَطَلَبَاً لِحَاجَةٍ مَا وَلِضِيْقِ الْحَالِ، كَمَا نَسْتَفِيْدُ مِنَ الْخَاتِمَةِ الْمُسْتَعَارَةِ فِي قَصِيْدَةِ النَّيْرَمَانِيِّ هَذِهِ، وَكَذَلِكَ فِيْ أَبْيَاتٍ عَدِيْدَةٍ مِنْ قَصِيْدَةِ ابْنِ زُرَيْق، وَكُلٌّ مِنَ الشَّاعِرَيْنَ ضَمَّنَ قَصِيْدَتَهُ أَبْيَاتَاً لِشُعَرَاءِ سَابِقِيْن لَهُ.

وَمِنْ هُنَا تَبْرُزُ أَهَمِيَّةُ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الشَّاعِرَيْنِ وَقَصِيْدَتَيْهِمَا، فِيْ أَيِّ بَحْثٍ مُمْكِنٍ.

والنَّيْرَمَانِي، نِسْبَةٌ إِلَى نَيْرَمَانَ وَهْيَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْجَبَلِ فِي هَمَذَانَ وَهْوَ عَلِيٌّ بن مُحَمَّدِ بنِ خَلَفٍ أَبُوْ سَعْدٍ النَّيْرَمَانِيّ، لَهُ كِتَابٌ نَادِرٌ وَرَائِدٌ فِي مَجَالِهِ، سَمَّاهُ (مَنْثُوْرَ الْمَنْظُوْم الِبَهَائِيّ) وَفِيْهِ أَحَالَ حَمَاسَةَ أَبِيْ تَمَامٍ إِلَى نَثْرٍ. والْكِتَابَ أَهْدَاهُ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ بنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ لِهَذَا وَصَفَهُ بِالْبَهَائِيّ،

وَكَانَ يَعْمَلُ كَاتِباً فِي دِيْوَانِ بَنِي بُوَيْهَ قَبْلَ مُغَادَرَتِهِ بَغْدَادَ. ويبدو أنَّ وَالِدَهُ، كَانَ مقرَّباً مِنَ الْخَلِيْفَةِ الْعَبَّاسِيِّ: الرَّاضِي بِاللَّهِ، وَعَمِلَ كَاتِباً فِي دَوَاوِيْنِهِ، كَمَا تُشِيْرُ كُتُبُ التَّارِيْخِ.

اشْتُهِرَتْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ مِنْ بَيْنِ شِعْرِ النَّيْرَمَانِيِّ الْقَلِيْلِ كَوَاحِدَةٍ مِنْ أَجْمَلِ مَا قِيْلَ فِي فِرَاقِ بَغْدَادَ وَاسْتِذْكَارِ مَجَالِسِهَا وَأَهْلِهَا.

خَلِيلَيَّ فِي بَغْدَادَ هَلْ أَنْتُمَا لِيَا
عَلَى الْعَهْدِ مِثْلِي أَمْ غَدَا الْعَهْدُ بَالِيَا؟

وَهَلْ ذَرَفَتْ يَوْمَ النَّوَى مُقْلَتَاكُمَا
عَلَيَّ كَمَا أُمْسِي وَأُصْبِحُ بَاكِيَا؟

وَهَلْ أَنَا مَذْكُورٌ بِخَيْرٍ لَدَيْكُمَا
إِذَا مَا جَرَى ذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ نَائِيَا

وَهَلْ فِيكُمَا مَنْ إِنْ تَنَزَّلَ مَنْزِلاً
أَنِيقاً وَبُسْتَاناً مِنَ النُّوْرِ حَالِيَا

أَجَدَّ لَهُ طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ
مُنىً يَتَمَنَّاهَا فَكُنْتُ الأَمَانِيَا

كِتَابِيَ عَنْ شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَيْكُمَا
كَأَنَّ عَلَى الأَحْشَاءِ مِنْهُ مَكَاوِيَا

وَعَنْ أَدْمُعٍ مُنْهَلَّةٍ، فَتَأَمَّلاَ
كِتَابِيَ تُنْبِئْ آثَارُهَا فِي كِتَابِيَا

وَلاَ تَيْأَسَا أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا
كَأَحْسَنِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ تَصَافِيَا

فَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا
يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا[1]

وَلاَ تَأْنَسَا بِالْوَرْدِ بَعْدِي وَأَعْرِبَا
مَقَالَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَخْدَعُ سَاجِيَا

وَلَمَّا تَفَرَّقْنَا تَطَيَّرْتُ أَنْ أَرَى
مَكَانَكِ مِنِّي - لاَ خَلاَ مِنْكِ - خَالِيَا

فَضَمَّنْتُهُ وَرْداً كَرَيَّاكِ رِيحُهُ
يُذَكِّرُنِي مِنْكِ الَّذِي لَسْتُ نَاسِيَا

وَلاَ تَطْلِبَا صَوْنِي إِذَا مَا تَغَنَّتَا
تسر وفوز جَادَتَا لِي الأَغَانِيَا

وَخَبَّرْتُمَا أَنَّ تَيْمَاءَ مَنْزِلٌ
لِلَيْلَى إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاسِيَا[2]

فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدِ انْقَضَتْ
فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلَى الْمَرَامِيَا

فَدَى لَكَ يَا بَغْدَادُ كُلُّ مَدِينَةٍ
مِنَ الأَرْضِ حَتَّى خِطَّتِي وَدِيَارِيَا[3]

---

(١) يُنسبُ هذا البيت لأكثر من شاعر فهو لمجنون ليلى «قيس بن الملوح» كما جاء في «الأغاني»، ونسبه البصري في حماسته لقيس بن ذريح، وهناك من ينسبه لابن الدمينة.

(٢) هَذا البيتُ كالبيتِ السَّابِقِ في اختلافِ نسبتِهِ فِي كُتُبِ الأَدِب الْعَرَبِيِّ، فَإِضافَةِ إِلَى الْقَيْسَيْنِ «قَيْسِ بنِ الْمُلوَّحِ وَقيس بن ذَريح» يُنْسَبُ كَذَلِكَ إِلَى جَمِيل بُثينة، كما في «الأغاني» و«منتهى الطلب من إشعار العرب» لابن المبارك.

(٣) الخِطَّة: الأَرْضُ الَّتي تُنْزِلُها ولم يَنْزِلُها نازِلٌ قبْلَكَ، وجمعُ الخِطَّة: خِطَطٌ، وَقَدْ =

فَقَدْ سِرْتُ فِي شَرْقِ الْبِلادِ وَغَرْبِهَا

وَطَوَّفْتُ خَيْلِي بَيْنَهَا وَرِكَابِيَا

فَلَمْ أَرَ فِيهَا مِثْلَ بَغْدَادَ مَنْزِلاً

وَلَمْ أَرَ فِيهَا مِثْلَ دَجْلَةَ وَادِيَا

وَلا مِثْلَ أَهْلِيهَا أَرَقَّ شَمَائِلاً

وَأَعْذَبَ أَلْفَاظاً وَأَحْلَى مَعَانِيَا

وَكَمْ قَائِلٍ: لَوْ كَانَ وِدُّكَ صَادِقاً

لِبَغْدَادَ لَمْ تَرْحَلْ، فَكَانَ جَوَابِيَا:

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْمُوسَرُونَ بِأَرْضِهِمْ

وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتِرِينَ الْمَرَامِيَا

= خَطَّها لنَفْسِهِ خَطًّا واخْتَطَّها وهو أَن يُعلِمُ عليها علامَةً بالخَطِّ، لِيُعْلَمَ أَنَّه قَدْ اخْتارَها لِيَبْنِيَها داراً، ومِنْهُ خِطَطُ البصرَةِ والكوفَةِ.

الشَّهْرَزُوْرِيُّ

طَرِيْقُ الْعَوْدَةِ

أَبو مُحَمَّدٍ الْمُرْتَضَى بنُ الشَّهْرَزُوْرِيِّ، وَلِدَ فِي شَهْرَزُوْرَ «وَهْوَ سَهْلٌ فِي شَمَالِ الْعَرَاقِ» وَإِلَيْهِ نُسِبَ. عَاشَ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ الْهِجْرِيَّيْنِ، أَقَامَ فِي بَغْدَادَ فَتْرَةً ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَعَمَلَ فِي الْقَضَاءِ، تُعْرَفَ هَذِهِ الْقَصِيْدَة «بالْقَصِيْدَة الْمَوْصِلِيَّةِ» وَحَكَى ابْنُ خلِّكَانَ فِي «وَفَيَاتِ الأَعْيَانِ» أنَّ هَذِهِ القَصِيْدَةَ، قَلِيْلَةُ الْوُجُوْدِ فِيْ الْكُتُبِ لِذَلِكَ أَوْرَدَهَا كَامِلَةً، وَفِي الْوَاقِعِ فإِنَّ أَحَداً لَمْ يَنْقِلْهَا مِنْ قَبْلِهِ. كَما نَقَلَ عَنْ أَحَدِ الْمَشَايِخَ قَوْلَهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ الَّتِي تَحْمِلُ نَكْهَةً صُوْفِيَّةً خَاصَةً وَفَرِيْدَةً، أَنَّهُ رَأَى فِي النَّوْمِ قَائِلاً يَقُوْلُ: مَا قِيْلَ فِي الطَّرِيْقِ مِثْلُ «الْقَصِيْدَة الْمَوْصِلِيَّة»

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَسْعَسَ اللَّيلُ وَمَلَّ الْحَادِي وَحَارَ الدَّلِيلُ

فَتَأَمَّلْتُهَا وَفِكْرِي مِنَ الْبَيْنِ عَلِيلٌ وَلَحْظُ عَيْنِي كَلِيلُ

وَفُؤَادِي ذَاكَ الْفُؤَادُ الْمُعَنَّى وَغَرَامِي ذَاكَ الْغَرَامُ الدَّخِيلُ

ثُمَّ قَابَلْتُهَا وَقُلْتُ لِصَحْبِي: هَذِهِ النَّارُ نَارُ لَيْلَى فَمِيلُوا

فَرَمَوا نَحْوَهَا لِحَاظاً صَحِيحَاتٍ فَعَادَتْ خَوَاسِئاً وَهْيَ حُولُ

ثُمَّ مَالُوا إِلَى الْمَلامِ وَقَالُوا: خُلَّبٌ مَا رَأَيْتَ أَمْ تَخْيِيلُ
فَتَجَنَّبْتُهُمْ وَمِلْتُ إِلَيْهَا وَالْهَوَى مَرْكَبِي وَشَوْقِي الزَّمِيلُ
وَمَعِي صَاحِبٌ أَتَى يَقْتَفِي الآثَارَ وَالْحُبُّ، شَرْطُهُ التَّطْفِيلُ
وَهْيَ تَعْلُو وَنَحْنُ نَدْنُو إِلَى أَنْ حَجَزَتْ دُونَهَا طُلُولٌ مُحُولُ
فَدَنَوْنَا مِنَ الطُّلُولِ فَحَالَتْ زَفَرَاتٌ مِنْ دُونِهَا وَغَلِيلُ
قُلْتُ: مَنْ بِالدِّيَارِ؟ قَالُوا: جَرِيحٌ وَأَسِيرٌ مُكَبَّلٌ وَقَتِيلُ
مَا الذي جِئْتَ تَبْتَغِي؟ قُلْتُ: ضَيْفٌ جَاءَ يَبْغِي الْقِرَى فَأَيْنَ النُّزُولُ
فَأَشَارَتْ بِالرَّحْبِ دُونَكَ فَاعْقِرْهَا فَمَا عِنْدَنَا لِضَيْفٍ رَحِيلُ
مَنْ أَتَانَا أَلْقَى عَصَا السَّيْرِ عَنْهُ قُلْتُ: مَنْ لِي بِهَا وَأَيْنَ السَّبِيلُ؟
فَخَطَطْنَا إِلَى مَنَازِلِ قَوْمٍ صَرَعَتْهُمْ قَبْلَ الْمَذَاقِ الشَّمُولُ
دَرَسَ الْوَجْدُ مِنْهُمْ كُلَّ رَسْمٍ فَهْوَ رَسْمٌ وَالْقَوْمُ فِيهِ حُلُولُ
مِنْهُمُ مَنْ عَفَى وَلَمْ يَبْقَ لِلشَّكْوَى وَلاَ لِلدُّمُوعِ فِيهِ مَقِيلُ
لَيْسَ إلاّ الأَنْفَاسُ تُخْبِرُ عَنْهُ وَهْوَ عَنْهَا مُبَرَّأٌ مَعْزُولُ
وَمِنَ الْقَوْمِ مَنْ يُشِيرُ إِلَى وَجْدٍ تَبَقَّى عَلَيْهِ مِنْهُ الْقَلِيلُ
وَلِكُلٍّ مِنْهُمْ رَأَيْتُ مَقَاماً شَرْحُهُ فِي الْكِتَابِ مِمَّا يَطُولُ
قُلْتُ: أَهْلَ الْهَوَى سَلامٌ عَلَيْكُمْ لِيَ فُؤَادٌ عَنْكُمْ بِكُمْ مَشْغُولُ
وَجُفُونٌ قَدْ أَقْرَحَتْهَا مَعَ الدَّمْعِ حَنِيناً إِلَى لِقَاكُمْ سُيُولُ
لَمْ يَزَلْ حَافِزٌ مِنَ الشَّوْقِ يَحْدُونِي إِلَيْكُمْ وَالْحَادِثَاتُ تَحُولُ
وَاعْتِذَارِي ذَنْبٌ فَهَلْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ عُذْرِي فِي تَرْكِ عُذْرِي قُبُولُ
جِئْتُ كَيْ أَصْطَلِي فَهَلْ لِيَ إِلَى نَارِكُمُ، هَذِهِ الْغَدَاةَ، سَبِيلُ
فَأَجَابَتْ شَوَاهِدُ الْحَالِ عَنْهُمْ: كُلُّ حَدٍّ مِنْ دُونِهَا مَغْلُولُ

لا تَـرُوقَـنَّـكَ الـرِّيَـاضُ الأَنِـيـقَـاتِ فَـمِـنْ دُونِـهَـا رُبَـىً وَدُحُـولُ[1]
كَـمْ أَتَـاهَـا قَـوْمٌ عَـلَـى غِـرَّةٍ مِـنْـهَـا وَرَامُـوا أَمْـرَاً فَـعَـزَّ الـوُصُـولُ
وَقَـفُـوا شَـاخِـصِـيـنَ حَـتَّـى إِذَا مَـا لاحَ لِـلْـوَصْـلِ غُـرَّةٌ وَحُـجُـولُ[2]
وَبَـدَتْ رَايَـةُ الْـوَفَـا بِـيَـدِ الْـوَجْـدِ وَنَـادَى: أَهْـلَ الْـحَـقَـائِـقِ جُـولُـوا
أَيـنَ مَـنْ كَـانَ يَـدَّعِـيـنَـا فَـهَـذَا الْـيَـوْمَ فِـيـهِ صِـبْـغُ الـدَّعَـاوَى يَـحُـولُ
حَـمَـلُـوا حَـمْـلَـةَ الْـفُـحُـولِ وَلا يَـصْـدَعُ يَـوْمَ الْـلِـقَـاءِ إِلاَّ الْـفُـحُـولُ
بَذَلُوا أَنفُسَاً سَخَتْ حِينَ شَحَّتْ بِـوِصَـالٍ وَاسْـتُـصْـغِـرَ الْـمَـبْـذُولُ
ثُمَّ غَابُوا مِنْ بَعْدِمَا اقْتَحَمُوهَا بَـيْـنَ أَمْـوَاجِـهَـا وَجَـاءَتْ سُـيُـولُ
قَـذَفَـتْـهُـمْ إِلَـى الـرُّسُـومِ فَـكُـلٌّ دَمُـهُ فِـي طُـلُـولِـهَـا مَـطْـلُـولُ
نَـارُنَـا هَـذِهِ تُـضِـيءُ لِـمَـنْ يَـسْـرِي بِـلَـيْـلٍ لَـكِـنَّـهَـا لا تُـنِـيـلُ
مُـنْـتَـهَـى الْـحَـظِّ مَـا تَـزَوَّدَ مِـنْـهُ الـلَّـحْـظُ وَالْـمُـدْرِكُـونَ ذَاكَ قَـلِـيـلُ
جَاءَهَا مَنْ عَرَفْتَ يَبْغِي اقْتِبَاسَاً وَلَـهُ الْـبَـسْـطُ عِـنْـدَنَـا وَالـسُّـوْلُ
فَـتَـعَـالَـتْ عَـنِ الْـمَـنَـالِ وَعَـزَّتْ عَـنْ دُنُـوٍّ إِلَـيْـهِ وَهْـوَ رَسُـولُ
فَـوَقَـفْـنَـا كَـمَـا عَـهِـدْتَ حَـيَـارَى كُـلُّ عَـزْمٍ مِـنْ دُونِـهَـا مَـخْـذُولُ
نَـدْفَـعُ الْـوَقْـتَ بِـالـرَّجَـاءِ وَنَـاهِـيـكَ بِـقَـلْـبٍ غِـذَاؤُهُ الـتَّـعْـلِـيـلُ
كُـلَّـمَـا ذَاقَ كَـأْسَ يَـأْسٍ مَـرِيـرٍ جَـاءَ كَـأْسٌ مِـنَ الـرَّجَـا مَـعْـسُـولُ
فَـإِذَا سَـوَّلَـتْ لَـهُ الـنَّـفْـسُ أَمْـرَاً حِـيـدَ عَـنْـهُ وَقِـيـلَ: صَـبْـرٌ جَـمِـيـلُ
هَـذِهِ حَـالُـنَـا وَمَـا وَصَـلَ الْـعِـلْـمُ إِلَـيْـهِ وَكُـلُّ حَـالٍ تَـحُـولُ

---

(١) الدُّحُول: الْحُفَرُ الغامضة، وتكون ضيقة من الأعلى لكنها عميقة وواسعة من الأسفل.
(٢) الغرَّة: بياض في الجبهة والحجول: بياض في أسفل السَّاق.

الأَرْبِلِي الْبَحْرَانِيُّ

السُّطورُ الْمَمْحُوَّةُ

يَحْمِلُ هَذَا الشَّاعِرُ لَقَباً مُرَكَّباً مِنْ مَكَانَيْنِ: أَرْبِيْلَ فِي أَقْصَى شَمَالِ الْعِرَاقِ، وَالْبَحْرَيْنِ فِي أَدْنَى الْجَنُوْبِ، فَهُوَ يَنْحَدِرُ مِنْ أَرْبِيْلَ، وَقَدْ وَلِدَ فِي الْبَحْرَيْنِ، حَيْثُ كَانَ وَالِدُهُ يَعْمَلُ فِي تِجَارَةِ اللُّؤْلُؤِ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالْبَحْرَيْنِ.

وَفِي تَرْجَمَةِ ابْنِ خِلِّكَانَ لِلشَّاعِرِ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ يُوْسُفَ بنُ مُحَمَّدِ بنُ قَائِدٍ، الملقب موفق الدين الإربلي أصلاً ومنشأ البحراني مولداً الشاعر المشهور؛ وَكَانَ مُقَدَّماً فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، مُفَنَّناً فِي أَنْوَاعِ الشِّعْرِ، وَمِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْعَرَوْضِ وَالْقَوَافِيْ وَأَحْذَقِهِمْ بِنَقْدِ الشِّعْرِ وَأَعْرَفِهِمْ بِجَيِّدِهِ مِنْ رَدِيْئِهِ وَأَدَقِّهِمْ نَظَراً فِي اخْتِيَارِهِ، وَاشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنْ عُلُوْمِ الأَوَائِلِ، وَحَلَّ كِتَابَ إِقْلِيْدِسَ، وَبَدَأَ يَنْظِمُ الشِّعْرَ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيْرٌ بِالْبَحْرَيْنِ جرياً، وَهُوَ شَيْخُ ابْنِ الْمُسْتَوْفِي صَاحِبِ «تاريخ إربل»

لَيْسَتْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ وَقُوْفاً نَمَطِيّاً عَلَى أَطْلالٍ قَدِيْمَةٍ، كَمَا قَدْ يُوْحِيْ مَطْلَعُهَا وَظَاهِرُ نَسِيْجِهَا الْخَارِجِيِّ، وَهِيَ، وَإِنْ كَانَتْ فِي شَكْلِهَا الْعَامِ

تَبْدُوْ كَذَلِكَ، لَكِنَّهَا فِي الْوَاقِعِ تُحَاوِرُ أَطْلالاً مِنْ نَوْعٍ آخَرَ فِيْ زَمَنٍ مُخْتَلِفٍ، فَهَذِهِ الْقَصِيْدَةُ كُتِبَتْ فِي فَتْرَةِ الْحُرُوْبِ الصَّلِيْبِيَّةِ، وَكَتَبهَا الشَّاعِرُ قَبْلَ تَحْرِيْرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِقَلِيْلٍ، فِي عَهْدِ صَلاحِ الدِّيْنَ، وَلِذَلِكَ ففيها نَعْيٌ لِمَجْدٍ غَابِرٍ وزَمَنٍ ذَهَبِيٍّ، وَالدِّيَارُ الَّتِي يَبْكِيْهَا الشَّاعِرُ وَيَتَفَجَّعُ عَلَيْهَا، هِيَ فِي الْوَاقِعِ، تَعْبِيْرٌ عَنْ حَالَةِ إِحْبَاطٍ جَمَاعِيٍّ سَادَتْ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةَ. وَبِذَلِكَ أَخَذَ الْوُقُوْفُ عَلَى الأَطْلالِ وَالدِّيَارِ فِي هَذِهِ الْقَصِيْدَة شَكْلاً رَمْزِيّاً لِتَجْسِيْدِ حَالَةِ زَوَالٍ حَضَارِيٍّ كَامِلٍ، وَغُرُوْبٍ نَفْسِيٍّ لأُمَّةٍ.

وَقَدْ يَكُوْنُ مِنَ اللافِتِ إِنَّ الْقَصِيْدَةَ كَمَا يَذْكُرُ ابْنُ خِلِّكَانَ كَانَتْ فِيْ مَدْحِ وَالِيْ أَرْبِيْلَ، لَكِنَّنا نِجِدهُ وَقَدْ قَطَعَهَا عِنْدَ أَوَّلِ بَيْتٍ يَبْدَأُ فِيْهِ الْمَدْحُ، وَهَكَذَا تَمَّ إِقْصَاءِ الْمَدِيْحِ، لِصَالِحِ التَّفَجُّعِ وبَقِيْتَ هَذِهِ الأَبْيَاتُ مِنْ تِلْكَ السُّطُوْرِ الْقَلِيْلَةِ الَّتِي «سَمَحَ بِهَا الدَّهْرُ للدِّيَارِ» كَمَا يَقُوْلُ الشَّاعِرُ.

رُبَّ دَارٍ بِالْغَضَا طَالَ بِلاهَا
عَكَفَ الرَّكْبُ عَلَيْهَا فَبَكَاهَا

دَرَسَتْ إلاّ بَقَايَا أَسْطُرٍ
سَمَحَ الدَّهْرُ بِهَا ثُمَّ مَحَاهَا

كَانَ لِيْ فِيْهَا زَمَانٌ وَانْقَضَى
فَسَقَى اللَّهُ زَمَانِيْ وَسَقَاهَا

وَقَفَتْ فِيْهَا الْغَوَادِيْ وَقْفَةً
أَلْصَقَتْ حَرَّ ثَرَاهَا بِحَشَاهَا

وَبَكَتْ أَطْلالُهَا نَائِبَةً
عَنْ جُفُوْنِيْ، أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاهَا

قُــلْ لِــجِــيــرَانٍ مَــوَاثِــيــقُــهُــمُ
كُــلَّــمَــا أَحْــكَــمْــتُــهَــا رَثَّــتْ قِــوَاهَــا
كُــنْــتُ مَــشْــغُــوفَــاً بِــكُــمْ إِذْ كُــنْــتُــمُ
شَــجَــراً لاَ يَــبْــلُــغُ الــطَّــيْــرُ ذُرَاهَــا
لاَ تَــبِــيــتُ الــلَّــيْــلَ إِلاَّ حَــوْلَــهَــا
حَــرَسٌ تَــرْشَــحُ بِــالْــمَــوْتِ ظُــبَــاهَــا[1]
وَإِذَا مُــدَّتْ إِلَــى أَغْــصَــانِــهَــا
كَــفُّ جَــانٍ قُــطِــعَــتْ دُونَ جَــنَــاهَــا
فَــتَــرَاخَــى الأَمْــرُ حَــتَّــى أَصْــبَــحَــتْ
هَــمَــلاً يَــطْــمَــعُ فِــيــهَــا مَــنْ رَآهَــا[2]
تُــخْــصِــبُ الأَرْضُ فَــلاَ أَقْــرَبُــهَــا
رَائِــداً إِلاَّ إِذَا عَــزَّ حِــمَــاهَــا
لاَ يَــرَانِــي الــلَّــهُ أَرْعَــى رَوْضَــةً
سَــهْــلَــةَ الأَكْــنَــافِ مَــنْ شَــاءَ رَعَــاهَــا[3]
وَإِذَا مَــا طَــمَــعٌ أَغْــرَى بِــكُــمْ
عَــرَضَ الْــيَــأْسُ لِــنَــفْــسِــي فَــثَــنَــاهَــا
نَــصَــبَــابَــاتُ الْــهَــوَى أَوَّلُــهَــا
طَــمَــعُ الــنَّــفْــسِ وَهَــذَا مُــنْــتَــهَــاهَــا

---

(١) الظُّبى: جَمْعُ ظُبَّة، وَهِيَ حدُّ السَّيْف.

(٢) هملاً: تركت سدى بلا راعٍ ولا حامٍ.

(٣) الأكناف: الجوانب والنواحي، يريد سهلة الحدود والحمى.

لا تَظُنُّوا لِي إِلَيْكُمْ رَجْعَةً
كَشَفَ التَّجْرِيبُ عَنْ عَيْنِي عَمَاهَا
إِنَّ زَيْنَ الدِّينِ أَوْلانِي يَداً
لَمْ تَدَعْ لِي رَغْبَةً فِيمَا سِوَاهَا

ابْنُ أبِي الْيُسْر

طَلَلِيَّةُ بَغْدَادَ

لَعَلَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ مِنْ أَشْهَرِ الْمَرَاثِي الَّتِي قِيْلَتْ بَعْدَ سُقُوْطِ بَغْدَادَ بِيَدِ جَيْشِ هُوْلاكُو، وَعَلَى قِلَّةِ تِلْكَ الْمَرَاثِي وَنُدْرَتِهَا فَإِنَّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ تَنْدَرِجُ فِي سِيَاقِ مَا يُعْرَفُ بِرِثَاءِ الْمُدُنِ، فَهُوَ وُقُوْفٌ آخَرٌ عَلَى الأَطْلالِ، وَإِنْ عبَّرَ عَنْ مَرْحَلَةٍ مَدَنِيَّةٍ جَمْعِيَّةٍ مُتَبَايِنَةٍ عَنْ تِلْكَ الْبُكَائِيَّاتِ الصَّحْرَاوِيَّةِ الْقَدِيْمَةِ ذَاتِ الْبُعْدِ الشَّخْصِيِّ. والْقَصِيْدَةُ مِنْ سِتَّةٍ وَسِتِّيْنَ بَيْتاً كَمَا ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِيْ «تَارِيْخِ الإِسْلامِ» وَأَيَّدَهُ ابْنُ تَغْرِيْ بَرَدِي فِي «النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ» وَهُنَا إِثْنَانِ وَعُشْرُوْنَ بَيْتاً هِيَ مَجْمُوْعُ مَا ثَبَّتَاهُ فِي كِتَابَيْهِمَا.

لِسَائِلِ الدَّمْعِ عَنْ بَغْدَادَ أَخْبَارُ
فَمَا وُقُوْفُكَ وَالأَحْبَابُ قَدْ سَارُوا؟

يَا زَائِرِيْنَ إِلَى الزَّوْرَاءِ لاَ تَفِدُوا
فَمَا بِذَاكَ الْحِمَى وَالدَّارِ دَيَّارُ[1]

---

(١) الديار: ساكن الدار.

تَاجُ الخِلافَةِ وَالرَّبعِ الَّذِي شَرُفَتْ
بِهِ المَعَالِمُ قَدْ عَفَّاهُ إِقْفَارُ
أَضْحَىٰ لِعَصْفِ البِلَىٰ فِي رَبْعِهِ أَثَرٌ
وَلِلدُّمُوعِ عَلَىٰ الآثَارِ آثَارُ
يَا نَارَ قَلْبِيَ مِنْ نَارٍ لِحَرْبِ وَغَىً
شَبَّتْ عَلَيْهِ وَوَافَىٰ الرَّبْعَ إِعْصَارُ
عَلا الصَّلِيبُ عَلَىٰ أَعْلَىٰ مَنَابِرِهَا
وَقَامَ بِالأَمْرِ مَنْ يَحْوِيهِ زُنَّارُ
وَكَمْ حَرِيمٍ سَبَتْهُ التُّرْكُ غَاصِبَةً
وَكَانَ مِنْ دُونِ ذَاكَ السِّتْرِ أَسْتَارُ
وَكَمْ بُدُورٍ عَلَىٰ البَدْرِيَّةِ انْخَسَفَتْ
وَلَمْ يَعُدْ لِبُدُورٍ مِنْهُ إِبْدَارُ
وَكَمْ ذَخَائِرَ أَضْحَتْ وَهِيَ شَائِعَةٌ
مِنَ النِّهَابِ وَقَدْ حَازَتْهُ كُفَّارُ
وَكَمْ حُدُودٍ أُقِيمَتْ مِنْ سُيُوفِهِمُ
عَلَىٰ الرِّقَابِ وَحُطَّتْ فِيهِ أَوْزَارُ
نَادَيْتُ وَالسَّبْيُ مَهْتُوكٌ يَجُرُّهُمُ
إِلَىٰ السِّفَاحِ مِنَ الأَعْدَاءِ دُعَّارُ
وَهُمْ يُسَاقُونَ لِلْمَوْتِ الَّذِي شَهِدُوا
النَّارُ يَا رَبِّ مِنْ هَذَا وَلاَ العَارُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ القَوْمَ أَغْفَلَهُمْ
مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ فِيهِنَّ إِكْثَارُ

فَأَهْمَلُوا جَانِبَ الْجَبَّارِ إِذْ غَفَلُوا
فَجَاءَهُمْ مِنْ جُنُودِ الْكُفْرِ جَبَّارُ

يَا لَلرِّجَالِ بِأَحْدَاثٍ تُحَدِّثُنَا
بِمَا غَدًا فِيهِ إِعْذَارٌ وَإِنْذَارُ

مِنْ بَعْدِ أَسْرِ بَنِي الْعَبَّاسِ كُلِّهِمُ
فَلاَ أَنَارَ لِوَجْهِ الصُّبْحِ إِسْفَارُ

مَا رَاقَ لِي قَطُّ شَيْءٌ بَعْدَ بَيْنِهِمُ
إِلاَّ أَحَادِيثُ أَرْوِيهَا وَآثَارُ

لَمْ يَبْقَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا
سُوقٌ لِمَجْدٍ وَقَدْ بَانُوا وَقَدْ بَارُوا

إِنَّ الْقِيَامَةَ فِي بَغْدَادَ قَدْ وُجِدَتْ
وَحَدُّهَا حِينَ لِلإِقْبَالِ إِدْبَارُ

آلُ النَّبِيِّ وَأَهْلُ الْعِلْمِ قَدْ سُبِيُوا
فَمَنْ تُرَى بَعْدَهُمْ تَحْوِيهِ أَمْصَارُ؟

مَا كُنْتُ آمُلُ أَنْ أَبْقَى وَقَدْ ذَهَبُوا
لَكِنْ أَتَتْ دُونَ مَا أَخْتَارُ أَقْدَارُ

إِلَيْكَ يَا رَبَّنَا الشَّكْوَى فَأَنْتَ تَرَى
مَا حَلَّ بِالدِّينِ وَالْبَاغُونَ فُجَّارُ

السَّهْرَوَرْدِيُّ الْمَقْتُوْلُ

الْقَصِيْدَةُ الإِشْرَاقِيَّةُ

شَاعِرُ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ قُتِلَ فِي حَلَبَ وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ وَالثَّلاثِيْنَ مِنْ عُمْرِهِ، بِتُهْمَةِ التَّخْلِيْطِ فِي الْعَقِيْدَةِ، عَلَى يَدِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بِنِ السُّلْطَانِ صَلاحِ الدِّيْنِ الأَيُّوْبِيِّ، وَبِفَتْوَىْ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّيْنِ فِي حَلَبَ. لَهُ شِعْرٌ قَلِيْلٌ فِي التَّصَوُّفِ، وَكُتُبٌ كَثِيْرَةٌ فِي الإِشْرَاقِ وَالنَّفْسِ، كَانَ مُفْرِطَ الذَّكَاءِ فَصِيْحَ الْعِبَارَةِ، وَكَانَ يُرَدِّدُ: لا بُدَّ أَنْ أَمْلُكَ الأَرْضَ، وَحِيْنَ يُسْأَلُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا، يُجِيْبُ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ إِنِّي شَرِبْتُ مَاءَ الْبَحْرِ!

وَيَذْكُرُ الْمُؤَرِّخُوْنَ أَنَّهُ لَمَّا تَحَقَّقَ مِنْ قَتْلِهِ، كَانَ كَثِيْراً مَا يُنْشِدُ:

أَرَىْ قَدَمِيْ أَرَاقَ دَمِيْ وَهَانَ دَمِيْ فَهَا نَدَمِيْ

وَهُوَ تَكْثِيْفٌ لِبَيْتَيْنِ لأَبِي الْفَتْحِ الْبَسْتِيِّ، وَيُنْسَبَانِ كَذَلِكَ لِلْحَلاجِ. وَهُمَا:

إِلَى حَتْفِيْ سَعَى قَدَمِيْ أَرَىْ قَدَمِيْ، أَرَاقَ دَمِيْ

فَمَا أَنْفَكُّ مِنْ نَدَمٍ وَهَانَ دَمِيْ فَهَا، نَدَمِيْ

قَالَ يَاقُوْتُ الْحَمَوِيُّ عَنْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ»: إِنَّهَا أَجْوَدُ

مَا قَالَهُ السَّهرَوَرْدِيُّ الْمَقْتُوْلِ مِنْ شِعْرَ.

أَبَداً تَحِنُّ إِلَيْكُمُ الأَرْوَاحُ وَوِصَالُكُمْ رَيْحَانُهَا وَالرَّاحُ
وَقُلُوبُ أَهْلِ وِدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ وَإِلَىٰ لَذِيذِ لِقَائِكُمْ تَرْتَاحُ
وَا رَحْمَةً لِلْعَاشِقِينَ تَكَلَّفُوا سِرَّ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَىٰ فَضَّاحُ
بِالسِرِّ إِنْ بَاحُوا تُبَاحُ دِمَاؤُهُمْ وَكَذَا دِمَاءُ الْعَاشِقِينَ تُبَاحُ
وَإِذَا هُمْ كَتَمُوا تَحَدَّثَ عَنهُمْ عِنْدَ الْوِشَاةِ الْمَدْمَعُ السَّفَّاحُ
أَحْبَابَنَا، مَاذَا الَّذِيْ أَفْسَدْتُمُ بِجَفَائِكُمْ؟ غَيْرَ الْفَسَادِ صَلاحُ
خَفضَ الْجَنَاحَ لَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمُ لِلصَبِّ فِي خَفْضِ الْجَنَاحِ جُنَاحُ
وَبَدَتْ شَوَاهِدُ لِلسَّقَامِ عَلَيهِمُ فِيهَا لِمُشْكِلِ أَمْرِهِمْ إِيْضَاحُ
فَإِلَى لِقَاكُمْ نَفْسهُ مُرْتَاحَةٌ وَإِلَى رِضَاكُمْ طَرْفُهُ طَمَّاحُ
عُوْدُوا بِنُوْرِ الوَصْلِ مِنْ غَسَقِ الدُّجَىٰ فَالْهَجْرُ لَيْلٌ وَالوِصَالُ صَبَاحُ
صَافَاهُمُ فَصَفَوا لَهُ فَقُلُوبُهُمْ فِيْ نُوْرِهَا الْمِشْكَاةُ وَالْمِصْبَاحُ
وَتَمَتَّعُوا فَالْوَقْتُ طَابَ لِقُرْبِكُمْ رَاقَ الشَّرَابُ وَرَقَّتِ الأَقْدَاحُ
يَا صَاحِ لَيسَ عَلى الْمُحبِّ مَلامَةٌ إِنْ لاحَ فِيْ أُفْقِ الوِصَالِ صَبَاحُ
لا ذَنْبَ لِلعُشَّاقِ إِنْ غَلَبَ الْهَوَىٰ كِتْمَانَهُمْ فَنَمَا الْغَرَامُ فَبَاحُوا
سَمَحُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا بَخِلوا بِهَا لَمَّا دَرَوا أَنَّ السَّمَاحَ رَبَاحُ
وَدَعَاهُمُ دَاعِي الْحَقَائِقِ دَعْوَةً فَغَدوا بِهَا مُسْتَأْنِسِينَ وَرَاحُوا
رَكِبوا عَلىٰ سَنَنِ الْوَفَا وَدُمُوْعُهُمْ بَحْرٌ وَشِدَّةُ شَوْقِهِم مَلاَّحُ
وَاللَّهِ ما طَلَبوا الوُقوفَ بِبابِهِ حَتَّى دَعَوا فَأَتَاهُمُ الْمِفْتَاحُ
لا يَطْرَبُوْنَ بِغَيرِ ذِكْرِ حَبِيبِهِمْ أَبَداً فَكُلُّ زَمَانِهِمْ أَفْرَاحُ
حَضَرُوا وَقَدْ غَابَتْ شَوَاهِدُ ذَاتِهِمْ فَتَهَتَّكوا لَمَّا رَأَوْهُ وَصَاحُوا

أَفْنَاهُمُ عَنْهُمْ وَقَدْ كُشِفَتْ لَهُمْ حُجُبُ الْبَقَا فَتَلاشَتِ الأَرْوَاحُ

فَتَشَبَّهوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكِرَام فَلاحُ

قُمْ يَا نَدِيمُ إِلَى الْمُدَام فَهَاتِهَا فِي كَأْسِهَا قَدْ دَارَتِ الأَقْدَاحُ

مِنْ كَرْم أَكْرَام بِدَنِّ دِيَانَةٍ لا خَمْرَةَ قَدْ دَاسَهَا الفَلَّاحُ

هِيَ خَمْرَةُ الْحُبِّ الْقَدِيم وَمُنْتَهَى غَرَضِ النَّدِيم فَنِعْمَ ذَاكَ الرَّاحُ

وَكَذَاكَ نُوحٌ فِي السَّفِينَةِ أَسْكَرَتْ وَلَهُ بِذَلِكَ رَنَّةٌ وَنِيَاحُ

وَصَبَتْ إِلَىٰ مَلَكُوتِهِ الأَرْوَاحُ وَإِلَى لِقَاءِ سِوَاهُ مَا يَرْتَاحُ

وَكَأَنَّمَا أَجْسَامُهُمْ وَقُلُوبُهُم فِي ضَوْئِهَا، الْمِشْكَاةُ وَالْمِصْبَاحُ

مَنْ بَاحَ بَيْنَهُمُ بِذِكْرِ حَبِيبِهِ دَمُهُ حَلالٌ لِلسُّيُوفِ مُبَاحُ

أَبُو الْبَقَاءِ الرَّنْدِيّ

مَرْثِيَةِ الأَنْدَلُس

سَمَّاهَا الْمَقَّرِيُّ فِي «نَفْحِ الطِّيْبِ مِنْ غُصْنِ الأَنْدَلُسِ الرَّطِيْبِ»: «الْقَصِيْدَةَ الْفَرِيْدَةَ» وَلَكِنَّهُ يُشِيْرُ إِلَى زِيَادَاتٍ أُلْحِقَتْ بِالْقَصِيْدَةِ لِشِدَّةِ إِعْجَابِ النَّاسِ بِهَا «يُوْجَدُ بِأَيْدِي النَّاسِ زِيَادَاتٌ فِيْهَا ذِكْرُ غَرْنَاطَةَ وَبَسْطَةَ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا أُخِذَ مِنَ الْبِلادِ بَعْدَ مَوْتِ الرَّنْدِيِّ، إِذْ كَانَ أَهْلُهَا يَسْتَنْهِضُوْنَ هِمَمَ الْمُلُوْكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» والرَّنْدِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى «رَنْدَة» وَهِيَ مِنْ بَلْدَاتِ مَدِيْنَةَ «مَلَقَا» فِي الأَنْدَلُس. وَهَذِهِ الْقَصِيْدَةُ تَقْتَرِبُ فِي الْوَاقِعِ مِنْ نَمُوْذَجٍ شِعْرِيٍّ سَابِقٍ لَهَا هُوَ قَصِيْدَةُ ابْنِ عَبْدُوْنَ وَهُوَ شَاعِرٌ أَنْدَلُسِيٌّ كَذَلِكَ سَبَقَ الرَّنْدِيَّ بِأَكْثرِ مِنْ قَرْنٍ وَهِيَ الْقَصِيْدَةُ الْمَعْرُوْفَةُ بـ «الْبَسَّامَةِ» فِي رِثَاءِ دَوْلَةِ بَنِيْ الأَفْطَسِ مِنْ مُلُوْكِ الطَّوَائِفِ فِي الأَنْدَلُسِ، الَّتِي تَقَعُ فِي أَكْثَرِ مِنْ سَبْعِيْنَ بَيْتاً وَيَقُوْلُ فِي مَطْلَعِهَا:

«الدَّهْرُ يُفْجِعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالأَثَرِ   فَمَا الْبُكَاءُ عَلى الأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ»

وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ قَصِيْدَةَ الرَّنْدِيِّ قِيْلَتْ بَعْدَ سُقُوْطِ إِشْبِيْلِيَّةَ إِلا أَنَّهَا قُرِئَتْ عَلَى أَنَّهَا «مَرْثِيَةُ الأَنْدَلُسِ» مَعَ أَنَّ غَرْنَاطَة لَمْ تَسْقُطْ إِلا بَعْدَ وَفَاةِ الرَّنْدِيِّ بِأَكْثرِ مِنْ قَرْنَيْنِ.

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ
فَلاَ يُغَرُّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

وَهَذِهِ الدَّارُ لاَ تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ
وَلاَ يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ

يُمَزِّقُ الدَّهرُ حَتْماً كُلَّ سَابِغَةٍ
إِذَا نَبَتْ مَشْرَفِيَّاتٌ وَخُرْصَانُ[1]

وَيَنْتَضِي كُلَّ سَيفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ
كَانَ ابنَ ذِي يَزَنٍ وَالْغِمْدُ غِمْدَانُ

أَيْنَ الْمُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ
وَأَيْنَ مِنهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَانُ؟

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَمٍ
وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرسِ سَاسَانُ؟

وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ
وَأَينَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحْطَانُ؟

أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لا مَرَدَّ لَهُ
حَتَّى قَضَوا فَكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُوا

وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ
كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيفِ وَسْنَانُ

---

(١) الخرصان: الرِّمَاح.

دَارَ الزَّمَانُ عَلَى دَارًا وَقَاتِلِهِ
وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيوَانُ

كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ
يَوْمًا وَلَا مَلَكَ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ
وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ

وَلِلْحَوَادِثِ سُلْوَانٌ يُهَوِّنُهَا
وَمَا لِمَا حَلَّ بِالإِسْلَامِ سُلْوَانُ

دَهَى الْجَزِيرَةَ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَانْهَدَّ ثَهْلَانُ[١]

أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الإِسْلَامِ فَارْتَزَأَتْ
حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارٌ وَبُلْدَانُ

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةً مَا شَأْنُ مُرْسِيَةٍ
وَأَيْنَ شَاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ

وَأَيْنَ قُرْطُبَةٌ دَارُ الْعُلُومِ فَكَمْ
مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَأْنُ

وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزَهٍ
وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَّاضٌ وَمَلْآنُ

قَوَاعِدٌ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا
عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ

---

(١) ثَهْلانُ: اسم جبلٍ بالبادية معروف، ومنه المَثَل السَّائر يُضرَب للرَّجل الرَّزين الوَقور فيقال: «ثهلان ذو الهَضَبات ما يَتَحَلْحَلُ»

تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ
كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الإِسْلامِ خَالِيَةٍ
قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكُفْرِ عُمْرَانُ
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا
فِيهِنَّ إِلاَّ نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ
حَتَّى الْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهْيَ جَامِدَةٌ
حَتَّى الْمَنَابِرُ تَبْكِي وَهْيَ عِيدَانُ
يَا غَافِلاً وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ
إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ
وَمَاشِياً مَرِحاً يُلْهِيهِ مَوْطِنُهُ
أَبَعْدَ حِمْصَ تَغُرُّ الْمَرْءَ أَوْطَانُ[1]؟
تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا
وَمَا لَهَا مِنْ طِوَالِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَيْضَاءُ رايَتُهُ
أَدْرِكْ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْرِ لا كَانُوا
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً
كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ

---

(١) حمصُ هنا ليست حمص الشام، وإنما حمص الأندلس: اشبيلية، يقول ياقوت في معجم البلدان: وهم يسمون مدينة إشبيلية حمص وذلك أن بني أمية لما حلوا بالأندلس وملكوها سموا عدة مدن بها بأسماء مدن الشام، ولما دخل جند من جنود حمص إلى الأندلس سكنوا إشبيلية فسميت بهم.

وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً
كَأَنَّهَا فِي ظَلامِ النَّقْعِ نِيرَانُ

وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دِعَةٍ
لَهُمْ بِأَوطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ

أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أَنْدَلُسٍ
فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ

كَمْ يَسْتَغِيثُ بِنَا الْمُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ
قَتْلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ

مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الإِسْلامِ بَيْنَكُمُ
وَأَنْتُمُ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ؟

أَلا نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَمٌ
أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ؟

يَا مَنْ لِذِلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزَّتِهِمْ
أَحَالَ حَالَهُمُ كُفْرٌ وَطُغْيَانُ

بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكاً فِي مَنَازِلِهِمْ
وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ

فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لا دَلِيلَ لَهُمْ
عَلَيْهِمُ مِنْ ثِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ

وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمُ
لَهَالَكَ الأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ

يَا رُبَّ أُمٍّ وَطِفْلٍ حِيلَ بَيْنَهُمَا
كَمَا تُفَرَّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ

وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ بَرَزَتْ
كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ

يَقُودُهَا العِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً
وَالعَيْنُ بَاكِيَةٌ وَالقَلْبُ حَيْرَانُ

لِمِثْلِ هَذَا يَبْكِي القَلْبُ مِنْ كَمَدٍ
إِنْ كَانَ فِي القَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

هَاشِمُ الرفَاعيُّ

رِسَالَةٌ فِي لَيْلَةِ التَّنْفِيْذِ

شَاعِرٌ مِصْرِيٌّ، اسْمُهُ الْحَقِيْقِيُّ: «سَيِّدُ بنُ جَامِع» مِنْ مَوَالِيْدِ مُحَافَظَةِ الشَّرْقِيَّةِ عامَ ١٩٣٥ وَلَقِيَ مَصْرَعَهُ فِي الْعَامِ ١٩٥٩ وَهْوَ فِي الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِيْنَ مِنْ عُمُرِهِ.

وَإِذَا كَانَ اسْمُهُ الْحَقِيْقِيُّ قَدْ غَابَ خَلْفَ الاسْمِ الْجَدِيْدِ، فَإِنَّ كُلَّ مَا كَتَبَهُ مِنْ شِعْرٍ، وَهْوِ لَيْسَ بِقَلِيْلٍ قِيَاساً بِتَجْرِبَتِهِ وَعُمُرِهِ، انْطَوَى تَقْرِيْباً، وَرُبَّمَا احْتَرَقَ، تَحْتَ الأَضْوَاءِ الْكَثِيْفَةِ لِهَذِهِ الْقَصِيْدَةِ الْمَشْهُوْرَةِ.

حَتَّى أنَّ الَّذِيْنَ قَرَأُوا هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ أُصِيْبُوْا بِالصَّدْمَةِ بَعْدَ ظُهُوْرِ دِيْوَانِ الرِّفَاعِيِّ فَقَدْ كَانُوْا يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَبْقَى هَذَا الشَّاعِرُ وَلَيْسَ عِنْدَهُ سِوَى «رِسَالَةٍ فِيْ لَيْلَةِ التَّنْفِيْذِ»[1]

كُتِبَتْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ عَلَى لِسَانِ شَابٍّ إِلَىْ وَالِدِهِ فِيْ لَيْلَةِ تَنْفِيْذِ حَكْمِ الإِعْدَامِ بِهِ، فَهَلْ كَانَ الرِّفَاعِيُّ هُوَ ذَلِكَ الشَّابَ؟ لَقَدِ الْتَبَسَ الأَمْرُ عَلَى

---

(١) ديوان هاشم الرفاعيّ «جمع وتحقيق محمد حسن بريغش: دار المنار الأردن ١٩٨٥»

الكَثِيرِيْنَ، وَفِيْهِ مَا يَدْعُو إلَى الالْتِبَاسِ حَقّاً، إِذْ تَحَكَّمَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ الْمُفْتَرَضَةُ، بِمَصِيْرِ الشَّاعِرِ إلَى حَدٍّ بَعِيْدٍ.

فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ مِنْ أَوَاخِرِ نِتَاجَاتِ الشَّاعِرِ، وَسُرْعَانَ مَا ذَاعَتْ شُهْرَتُهَا خَارِجَ مِصْرَ حِيْنَ أَلْقَاهَا فِي مِهْرَجَانِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ فِي دِمَشْقَ خِلالَ فَتْرَةِ الوَحْدَةِ بَيْنَ الْبَلَدَيْنِ وَتَحْدِيْداً فِي الْعَامِ ١٩٥٩، وَتَضَاعَفَتْ شُهْرَتُهَا بَعْدَ أَقَلَّ مِنْ شَهْرَيْنِ عِنْدَمَا لَقِيَ شَاعِرُهَا مَصْرَعَهُ طَعْناً بِالسِّكِّيْنِ عَلَى يَدِ بَعْضِ مُنَافِسِيْهِ عَلَى رِئَاسِةِ أَحَدِ الأَنْدِيَةِ الثَّقَافِيَّةِ الْمَحَلِيَّةِ. وَلَعَلَّ هَذِهِ الْحَادِثَةَ تُلَخِّصُ وَجْهاً مِنْ وُجُوْهِ الصِّرَاعِ بَيْنَ الشُّيُوْعِيِّيْنَ وَالإِسْلامِيِّيْنَ فِي مِصْرَ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ خَاصَّةً وَأَنَّ الرِّفَاعِيَّ يُمَثِّلُ التَّيَّارَ الدِّيْنِيَّ فِيْمَا كَانَ مُنَافِسُوْهُ مِنَ الشُّيُوْعِيِّيْنَ، لِتَكُوْنَ قَصِيْدَتُهُ قِرَاءَةً مُبَكِّرَةً وَاسْتِبَاقِيَّةً لِمَصِيْرِ شَاعِرٍ جَرَى إِعْدَامُهُ فِي الشَّارِعِ هَذِهِ الْمَرَّةَ لا فِي الزِّنْزَانَةِ.

حَتَّى ظَنَّ الْكَثِيْرُوْنَ وَبَعْضُهُمْ دَوَّنَ ذَلِكَ فِي الْكُتُبِ، أَنَّ الرِّفَاعِيَّ كَتَبَ قَصِيْدَتَهُ تِلْكَ مِنْ سِجْنِهِ قَبْلَ أَنْ يُنَفَّذَ بِهِ حُكْمُ الإِعْدَامِ، فَيْمَا الْوَاقِعُ يَقُوْلُ: أَنَّ الرِّفَاعِيَّ لَمْ يُعْتَقَلْ طِوَالَ حَيَاتِهِ الوَجِيْزَة.

أَبَتَاهُ مَاذَا قَدْ يَخُطُّ بَنَانِي
وَالْحَبْلُ وَالْجَلَّادُ يَنْتَظِرَانِي؟
هَذَا الْكِتَابُ إِلَيْكَ مِنْ زِنْزَانَةٍ
مَقْرُوْرَةٍ صَخْرِيَّةِ الْجُدْرَانِ
لَمْ تَبْقَ إلَّا لَيْلَةٌ أَحْيَا بِهَا
وأُحِسُّ أَنَّ ظَلامَهَا أَكْفَانِي

سَتَمُرُّ يَا أَبَتَاهُ، لَسْتُ أَشُكُّ فِي
هَذَا وَتَحْمِلُ بَعْدَهَا جُثْمَانِي

* * *

اللَّيْلُ مِنْ حَوْلِي هُدُوءٌ قَاتِلٌ
وَالذِّكْرَيَاتُ تَمُورُ فِي وِجْدَانِي
وَيَهُدُّنِي أَلَمِي فَأَنْشُدُ رَاحَتِي
فِي بِضْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ
وَالنَّفْسُ بَيْنَ جَوَانِحِي شَفَّافَةٌ
دَبَّ الْخُشُوعُ بِهَا فَهَزَّ كِيَانِي
قَدْ عِشْتُ أُومِنُ بِالإِلَهِ وَلَمْ أَذُقْ
إِلاَّ أَخِيراً لَذَّةَ الإِيمَانِ
شُكْراً لَهُمْ، أَنَا لا أُرِيدُ طَعَامَهُمْ
فَلْيَرْفَعُوهُ فَلَسْتُ بِالْجَوْعَانِ
هَذَا الطَّعَامُ الْمُرُّ مَا صَنَعَتْهُ لِي
أُمِّي وَلا وَضَعُوهُ فَوْقَ خِوَانِ[1]
كَلا وَلَمْ يَشْهَدْهُ يَا أُبَتِي مَعِي
أَخَوَانِ جَاءَاهُ يَسْتَبِقَانِ
مَدُّوا إِلَيَّ بِهِ يَداً مَصْبُوغَةً
بِدَمِي وَهَذِي غَايَةُ الإِحْسَانِ

---

(١) الخوان: المائدة.

وَالصَّمتُ يَقْطَعُهُ رَنِينُ سَلاسِلٍ
عَبَثَتْ بِهِنَّ أَصَابِعُ السَّجَّانِ
ما بَيْنَ آوِنَةٍ تَمُرُّ وَأُخْتِهَا
يَرْنُو إِلَيَّ بِمُقْلَتَيْ شَيْطَانِ
مِنْ كُوَّةٍ بِالبابِ يَرْقُبُ صَيْدَهُ
وَيَعُودُ فِي أَمْنٍ إِلَى الدَّوَرَانِ
أَنَا لا أُحِسُّ بِأَيِّ حِقْدٍ نَحْوَهُ
مَاذَا جَنَى فَتَمَسُّهُ أَضْغَانِي؟
هُوَ طيِّبُ الأَخلاقِ مِثْلُكَ يَا أَبِي
لَمْ يَبْدُ فِي ظَمَأٍ إِلَى العُدْوَانِ
لَكِنَّهُ إِنْ نَامَ عَنِّي لَحْظَةً
ذَاقَ الْعِيَالُ مَرَارَةَ الْحِرْمَانِ
فَلَرُبَّمَا وهُوَ الْمُرَوَّعُ سَحْنَةً
لَوْ كَانَ مِثْلِي شَاعِراً لَرَثَانِي
أَوْ عَادَ - مَنْ يَدْرِي - إِلَى أَوْلادِهِ
يَوْمَاً وَذُكِّرَ صُورَتِي، لَبَكَانِي
وَعلَى الْجِدَارِ الصُّلْبِ نَافِذَةٌ بِهَا
مَعْنَى الْحَيَاةِ غَلِيظَةُ الْقُضْبَانِ
قَدْ طَالَمَا شَارَفْتُهَا مُتَأَمِّلاً
فِي الثَّائِرِينَ عَلَى الأَسَى الْيَقْظَانِ
فَأَرَى وُجُومَاً كَالضَّبابِ مُصَوِّراً
مَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ غَلَيَانِ

نَفَسُ الشُّعورِ لَدَى الْجَمِيعِ وَإِنْ هُمُ
كَتَمُوا وَكَانَ الْمَوْتُ فِي إِعْلانِي
وَيَدُورُ هَمْسٌ فِي الْجَوَانِحِ مَا الَّذي
بِالثَّوْرَةِ الْحَمْقَاءِ قَدْ أَغْرَانِي؟
أَوَ لَمْ يَكُنْ خَيْراً لِنَفْسِيَ أَنْ أُرَى
مِثْلَ الْجُمُوعِ أَسِيرُ فِي إِذْعَانِ؟
مَا ضَرَّنِي لَوْ قَدْ سَكَتُّ وَكُلَّمَا
غَلَبَ الأَسَى بِالَغْتُ فِي الْكِتْمَانِ؟
هذا دَمِي سَيَسِيلُ يَجْرِي مُطْفِئاً
مَا ثَارَ فِي جَنْبَيَّ مِنْ نِيرَانِ
وَفُؤادِيَ الْمَوَّارُ فِي نَبَضَاتِهِ
سَيَكُفُّ فِي غَدِهِ عَنِ الْخَفَقَانِ
وَالظُّلْمُ بَاقٍ لَنْ يُحَطِّمَ قَيْدَهُ
مَوْتِي وَلَنْ يُودِي بِهِ قُرْبَانِي
وَيَسِيرُ رَكْبُ الْبَغْيِ لَيْسَ يَضِيرُهُ
شَاةٌ إِذَا اجْتُثَّتْ مِنَ الْقِطْعَانِ
هذا حَدِيثُ النَّفْسِ حِينَ تَشُفُّ عَنْ
بَشَرِيَّتِي وَتَمُورُ بَعْدَ ثَوَانِ
وتَقُولُ لِي: إِنَّ الْحَيَاةَ لِغَايَةٍ
أَسْمَى مِنَ التَّصْفِيقِ لِلطُّغْيَانِ
أَنْفَاسُكَ الْحَرَّى وَإِنْ هِيَ أُخْمِدَتْ
سَتَظَلُّ تَغْمُرُ أُفْقَهُمْ بِدُخَانِ

وقُرُوحُ جِسْمِكَ وَهُوَ تحْتَ سِياطِهِمْ
قَسَمَاتُ صُبْحٍ يَتَّقِيهِ الْجَانِي

دَمْعُ السَّجِينِ هُنَاكَ فِي أَغْلالِهِ
وَدَمُ الشَّهِيدِ هُنَا سَيَلْتَقِيَانِ

حَتَّى إِذَا مَا أُنْعِمَتْ بِهِمَا الرُّبا
لَمْ يَبْقَ غَيرُ تَمَرُّدِ الْفَيَضَانِ

ومَنِ الْعَواصِفِ مَا يَكُونُ هُبُوبُهَا
بَعْدَ الْهُدُوءِ وَرَاحَةِ الرُّبَّانِ

إِنَّ احْتِدامَ النَّارِ فِي جَوْفِ الثَّرَى
أَمْرٌ يُثِيرُ حَفِيظَةَ الْبُرْكَانِ

وتَتَابُعُ القَطَراتِ يَنْزِلُ بَعْدَهُ
سَيْلٌ يَلِيهِ تَدَفُّقُ الطُّوفَانِ

فَيَمُوجُ يقتلِعُ الطُّغاةَ مُزَمْجِراً
أَقْوى مِنَ الْجَبَرُوتِ وَالسُّلْطَانِ

أَنا لَسْتُ أَدرِي هَلْ سَتُذْكَرُ قِصَّتِي
أَمْ سَوْفَ يَغْرُوْهَا دُجَى النِّسْيَانِ؟

أَمْ أَنَّنِي سَأَكُونُ فِي تَارِيخِنَا
مُتَآمِراً أَمْ هَادِمَ الأَوْثَانِ؟

كُلُّ الَّذِي أَدرِيهِ أَنَّ تَجَرُّعِي
كَأْسَ الْمَذَلَّةِ لَيسَ فِي إِمْكَانِي

لَوْ لَمْ أَكُنْ فِي ثَوْرَتِي مُتَطَلِّباً
غَيرَ الضِّيَاءِ لأُمَّتِي لَكَفَانِي

أَهْـوَى الْـحَـيَـاةَ كَـرِيـمَـةً لا قَـيْـدَ، لاْ

إِرْهَـابَ لا أَسْـتِـخْـفَـافَ بِـالإِنْـسَـانِ

فَـإِذَا سَـقَـطْـتُ سَـقَـطْـتُ أَحْـمِـلُ عِـزَّتِـي

يَـغْـلِـي دَمُ الأَحْـرَارِ فِـي شِـرْيَـانِـي

***

أَبَـتَـاهُ إِنْ طَـلَـعَ الـصَّـبَـاحُ عَـلَـى الـدُّنَـى

وَأَضَـاءَ نُـورُ الـشَّـمْـسِ كُـلَّ مَـكَـانِ

وَاسْـتَـقْـبَـلُ الْـعُـصْـفُـورُ بَـيْـنَ غُـصُـونِـهِ

يَـوْمَـاً جَـدِيـدَاً مُـشْـرِقَ الأَلْـوَانِ

وَسَـمِـعْـتَ أَنْـغَـامَ الـتَّـفَـاؤُلِ ثَـرَّةً

تَـجْـرِي عَـلَـى فَـمِ بَـائِـعِ الأَلْـبَـانِ

وَأَتَـى يَـدُقُّ ـ كَـمَـا تَـعَـوَّدَ ـ بَـابَـنَـا

سَـيَـدُقُّ بَـابَ الـسِّـجْـنِ جَـلاَّدَانِ

وَأَكُـونُ بَـعْـدَ هُـنَـيْـهَـةٍ مُـتَـأَرْجِـحَـاً

فِـي الْـحَـبْـلِ مَـشْـدُوداً إِلَـى الـعِـيـدَانِ

لِـيَـكُـنْ عَـزَاؤُكَ أَنَّ هَـذَا الْـحَـبْـلَ مَـا

صَـنَـعَـتْـهُ فِـي هِـذِي الـرُّبُـوعِ يَـدَانِ

نَـسَـجُـوهُ فِـي بَـلَـدٍ يَـشُـعُّ حَـضَـارَةً

وَتُـضَـاءُ مِـنْـهُ مَـشَـاعِـلُ الْـعِـرْفَـانِ

أَوْ هَـكَـذَا زَعَـمُـوا! وَجِـيءَ بِـهِ إِلَـى

بَـلَـدِي الْـجَـرِيـحِ عَـلَـى يَـدِ الأَعْـوَانِ

أَنـا لا أُرِيـدُكَ أَنْ تَـعِـيـشَ مُـحَـطَّـمـاً

فـي زَحْـمَـةِ الآلامِ وَالأَشْـجَـانِ

إِنَّ ابْـنَـكَ الْـمَـصْـفُـوْدَ فِـي أَغْـلالِـهِ

قَـدْ سِـيْـقَ نَـحْـوَ الْـمَـوْتِ غَـيْـرَ مُـدَانِ

فَـاذْكُـرْ حِـكَـايَـاتٍ بِـأَيَّـام الـصِّـبَـا

قَـدْ قُـلْـتَـهـا لِـي عَـنْ هَـوَى الأَوْطَـانِ

وَإِذا سَـمِـعْـتَ نَـحِـيْـبَ أُمِّـيَ فِـي الـدُّجـى

تَـبْـكـي شَـبَـابَـاً ضَـاعَ فِـي الـرَّيْـعَـانِ

وتُـكَـتِّـمُ الْـحَـسَـرَاتِ فِـي أَعْـمـاقِـهَـا

أَلَـمَـاً تُـوارِيْـهِ عَـنِ الْـجِـيْـرَانِ

فَـاطْـلُـبْ إِلَـيْـهَـا الـصَّـفْـحَ عَـنِّـي إِنَّـنِـي

لا أَبْـتَـغـي مِـنْـهـا سِـوَى الْـغُـفْـرَانِ

مَـازَالَ فِـي سَـمْـعِـي رَنِـيْـنُ حَـدِيْـثِـهَـا

وَمَـقَـالِـهَـا فِـي رَحْـمَـةٍ وَحَـنَـانِ

أَبُـنَـيَّ: إِنِّـي قَـدْ غَـدَوْتُ عَـلِـيْـلَـةً

لَـمْ يَـبْـقَ لِـي جَـلَـدٌ عَـلـى الأَحْـزَانِ

فَـأَذِقْ فُـؤادِيَ فَـرْحَـةً بِـالْـبَـحْـثِ عَـنْ

بِـنْـتِ الْـحَـلالِ وَدَعْـكَ مِـنْ عِـصْـيَـانِـي

كَـانَـتْ لَـهَـا أُمْـنِـيَّـةٌ رَيَّـانَـةٌ

يَـا حُـسْـنَ آمـالٍ لَـهَـا وَأَمـانِـي

وَالآنَ . لا أدري بِـــأَيِّ جَـــوَانِـــحِ

سَـتَـبِـيـتُ بَـعْـدِي أَمْ بِـأَيِّ جِـنَـانِ

* * *

هَـذا الَّـذِي سَـطَـرْتُـهُ لَـكَ يَـا أَبِـي

بَـعْـضُ الَّـذِي يَـجْـرِي بِـفِـكْـرٍ عَـانِ

لَـكِـنْ إذَا انْـتَـصَـرَ الـضِّـيَـاءُ وَمُـزِّقَـتْ

بِـيَـدِ الْـجُـمُـوعِ شَـرِيـعَـةُ الْـقُـرْصَـانِ

فَـلَـسَـوْفَ يَـذْكُـرُنِـي وَيُـكْـبِـرُ هِـمَّـتِـي

مَـنْ كَـانَ فِـي بَـلَـدِي حَـلِـيـفَ هَـوَانِ

وَإلَـى لِـقَـاءٍ تَـحْـتَ ظِـلِّ عَـدَالَـةٍ

قُـدْسِـيَّـةِ الأَحْـكَـامِ والْـمِـيـزَانِ

عَبْدُ الأمِيْرِ الْحُصَيْرِي

شَرِيْدُ الْقَلَقِ

وُلِدَ الْحُصَيْرِيُّ، وَاسْمُهُ الْحَقِيْقِيُّ «عَبْدُ الْمُوَيِّر عَبُّوْد مَهْدِيْ» فِي مَدِيْنَةِ «النَّجَفِ» عَامَ ١٩٤٢، وَتُوُفِّيَ فِي بَغْدَادَ عَامَ ١٩٧٨

شَاعِرٌ رَجِيْمٌ شَرِيْدٌ يَفِيْضُ شِعْرَاً وَذُهُوْلاً، صُعْلُوْكٌ، سِكِّيْرٌ، عَاطِلٌ، نَجَفِيٌّ مُتَمَرِّدٌ عَلَىٰ بِيْئَتِهِ، مَاتَ فِي بَغْدَادَ وَحِيْدَاً شَرِيْدَاً، مَخْمُوْرَاً. تَتَزَاحَمُ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِي شَخْصِهِ كَمَا تَتَدَافَعُ الصُّوَرُ الْمُبْتَكَرَةُ فِي قَصِيْدَتِهِ، فَهُوَ شَاعِرٌ مُبْتَكِرٌ دَاخِلَ الشَّكْلِ الْعَمُوْدِيِّ.

فِيْ قَصِيْدَتِهِ هَذِهِ شَرَاسَةٌ فِي الصُّوَرَةُ وَعَرْبَدَةٌ فِي الْبَلاغَةِ وفِيْ الْعَلاقَاتِ بَيْنَ الْمُفْرَدَاتِ تُنَاسِبُ شَخْصِيَّتَهُ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ مُحَاوَلَةِ تَخَفِّيْهِ وَرَاءَ سِيْرَةِ عُرْوَةَ بِنِ الْوَرْدِ، فِيْ أَحَدِ دَوَاوِيْنِهِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ مُطَوَّلاتِهِ وَقَصَائِدِهِ الضَّائِعَةِ وَهْيَ كَثِيْرَةٌ، فَقَدْ بَقِيْتَ هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ الصُّوْرَةَ الأَخِيْرَةَ الرَّاسِخَةَ وَالتَّامَّةَ لِلَشَّاعِرِ، يَلْتَقِطُهَا لِنَفْسِهِ فِي شَوَارِعِ بَغْدَادَ وَفِي الْمَقَاهِي وَالْحَانَاتِ وَكَوَابِيْسِ الْوَحْشَةِ، وَقَبْلِ ذَلِكَ فِي صَمِيْمِ الْقَلَقِ الَّذِيْ يُحَاوِرُهُ الْحُصَيْرِيُّ بِصُوْرَةٍ لافِتَةٍ.

وَمُنْذُ عَامَ ١٩٧٠، حِيْنَ صَدَرَت ضِمْنَ مَجْمَوْعَةِ «أنَا الشَّرِيْدُ» وَإِلَى الْيَوْمِ، تُعَدُّ هَذِهِ الْقَصِيْدَةُ، أُنْشُوْدَةَ الصَّعالِيْكِ فِي الْعِرَاقِ تَحْدِيْدَاً، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَعْرُوْفَةٍ كَثِيْرَاً فِي الْبُلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ الأُخْرَىٰ. وَلَعَلَّهَا تَغْدُو الْيَوْمَ كَذَلِكَ.

نَنْتَقِيْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ لَيْسَ لأنَّها وَحِيْدَتُهُ، وَإِنَّمَا لأنَّها الأشْهَرُ مِنْ سَائِرِ شِعْرِهِ.

أَجَـائِـعٌ؟ أَيُّ شَـيءٍ ثَـمَّ يَـا قَـلَـقُ؟
أَمِـنْ حُـطَـامِـيَ هَـذَا يُـمْـطِـرُ الْـعَـبَـقُ؟
إِذَا تَـصَـبَّـبْـتُ رُوْحِـي دُوْنَـمَـا تَـعَـبِ
يُـطْـفِـي تَـلَـظِّـي هَـوَاكَ، الْـقَـائِـمُ الْـخَـفِـقُ
إِنْ كُـنْـتَ تَـحْـلُـمُ فِـي قَـلْـبِـي فَـإِنَّ دَمِـي
مِـنْ جُـوْعِـهِ بَـاتَ فِـيـهِ الْـجُـوْعُ يَـحْـتَـرِقُ
أَلَـمْ يُـشَـرِّدْكَ تَـشْـرِيـدٌ يُـمَـزِّقُـنِـي
عَـيْـنَـايَ أَظْـفَـارُهُ الْـعَـمْـيَـاءُ تَـأْتَـلِـقُ
قَـلْـبِـي الْـجَـحِـيْـمُ أَثِـيْـمَـاتُ الـشُّـرُوْرِ بِـهِ
مُـعَـذَّبَـاتٌ، فَـمَـا أَذْنَـبْـتَ يَـا قَـلَـقُ؟
أَخْـشَـى عَـلَـيْـكَ دَمِـي الْـوَارِي وَإِنْ يَـكُ فِـي
إِحْـرَاقِـهِ حُـلْـمُـكَ الـرَّيَّـانُ يَـنْـسَـحِـقُ[1]
مَـا زِلْـتَ طِـفْـلاً غَـرِيـرَاً كَـيْـفَ تَـقْـرَبُـنِـي؟
أَنَـا الـتَّـشَـرُّدُ وَالْـحِـرْمَـانُ وَالأَرَقُ

(١) الواري: الكثير والدسم.

أَنَـا الـشَّـرِيـدُ لِـمَـاذَا الـنَّـاسُ تُـذْعَـرُ مِـنْ
وَجْـهِـيَ، وَتَـهْـرُبُ مِـنْ أَقْـدَامِـيَ الـطُّـرُقُ؟
وَكُـنْـتُ أَفْـزَعُ لِـلْـحَـانَـاتِ، تَـشْـرَبُـنِـي
وَالْـيَـوْمَ! لَـوْ لَـمَـحَـتْ عَـيْـنَـيَّ تَـخْـتَـنِـقُ
قَـدْ بِـتُّ أَمْـضَـغُ أَعْـرَاقِـيَ وَأَوْرِدَتِـي
وَأَرْتَـوِي مِـنْ جِـرَاحَـاتِـي، وَأَنْـسَـحِـقُ
شَـنَـقْـتُ قَـلْـبِـي عَـلَـى أَحْـلامِـهِ، فَـإِذَا
بِـهَـا، وَضِـحْـكَـتُـهَـا الْـخَـضْـرَاءُ تَـنْـشَـنِـقُ
وَجُبْتُ حَتَّى زَوَايَا الْغَيْبِ! لَيْسَ صَدَىً
فِـيـهَـا، يُـرَوِّي صَـدَى نَـفْـسِـي، وَلا أَلَـقُ
زَرَعْتُ حتَّى اضطِخَابَ الْمَوْجِ فِي شَفَتِي
ضَـحْـكـاً، وَلَـمْ يَـبْـتَـسِـمْ خَـفَّـاقِـي الأَرِقُ
الْـعُـرْيُ أَذْهَـلَـهُ شَـأْنِـي، فَـجُـنَّ عَـلَـى
شِـفَـاهِـهِ أَلْـفُ سُـؤْلٍ، كَـيْـفَ يَـنْـطَـلِـقُ؟[1]
عَـرْيَـانُ، يَـكْـسُـو الـدُّنَـى بِـالـنَّـجْـمِ أَلْـبِـسَـةً
عَـطْـشَـانُ، فِـي رَاحَـتَـيْـهِ الْـكَـوْثَـرُ الْـعَـبِـقُ
فَـهَـلْ كَـسَـوْتَ جُـفُـونَ الـنَّـاسِ أَلْـفَ دُجَـىً؟
أَمْ هَـلْ تَـبَـسَّـمَ فِـي أَحْـدَاقِـهِ الْـغَـسَـقُ؟
الـدَّارُ تَـسْـكُـنُ أَحْـلامِـيَ! وَمَـا اكْـتَـحَـلَـتْ
بِـالـشَّـمْـسِ، وَالـشَّـمْـسُ مِـنْ كَـفَّـيَّ تَـنْـبَـثِـقُ

---

(١) السُّؤل: السُّؤال، جاء في سورة طه الآية ٣٦: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾.

وَالْكَأْسُ تَشْرَبُ أَشْوَاقِي، وَلَهْفَتُهَا
دَمٌ يَمُصُّ شَرَايِينِي، وَيَحْتَرِقُ

لا تَسْخَرُوا، وَاسْخَرُوا مِمَّنْ يُقَيِّدُهُ
مِنْ نَفْسِهِ الْجَهْلُ وَالإِذْلالُ وَالْحَمَقُ

الْجُوعُ يَعْذُبُ. ! لا لَيْلاً وَلا سُحُباً
مَا دَامَ يُنْجِدُنِي فِي صُبْحِهِ الْعَرَقُ

تَمُوتُ فِي رَقَصَاتِ الْكَأْسِ صَاخِبَةً
أَنْغَامُ مَنْ فِي نَشِيجِ الْمَوْتِ قَدْ غَرِقُوا

أَحْجَارُ مَقْبَرَةٍ. لَمْ تَجْرِ أَغْرُقُهُمْ
إلا بِخَوْفٍ لَهِيبٍ سَوْفَ يَنْعَتِقُ

هُنَا الْجِنَانُ! فَلا يَشْرَبْ عُيُونَكُمْ
طَيْفٌ عَلَى أَعْظُمٍ نَخْرَاءَ يَتَّسِقُ

فَاللَّهْوُ، وَالْحُورُ، وَالشَّهَوَاتِ، لا أَلَمٌ
زَاهٍ وَلا الْحُلُمُ الْمِعْطَارُ يُسْتَرَقُ

وَالابْتِسَامَاتُ وَالأَضْوَاءُ نَاعِسَةٌ
وَالْعِطْرُ مُسْتَعِرُ الأَنَاءِ يُنْتَشَقُ[1]

النَّجْمُ يَرْقُصُ مِنْ حَوْلِي، وَفِي قَدَحِي
يُلأْلِئُ الْقَمَرُ السَّكْرَانُ وَالأُفُقُ

---

(١) الأنَاء: من آنٍ: أي شديدُ السُّخونة، حان وقتُ نُضجه. جاء في القرآن في سورة الرَّحمن آية ٤٤ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ وكذلك في سورة الأحزاب آية ٥٣ ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ أي نُضجه.

أَنَا الإِلَهُ وَنُدْمَانِي مَلائِكَةٌ
وَالْحَانَةُ الْكَوْنُ وَالْجُلاَّسُ مَنْ خُلِقُوا
وَالنَّادِلُونَ وَقَدْ غَنَّتْ كُؤُوسُهُمُ
كَالأَنْبِيَاءِ بِنُورِ الْخَمْرِ قَدْ عَبَقُوا
وَالْحُورُ أَحْلامِيَ السَّكْرَى تُغَازِلُنِي
حِيناً وَتَمْرَحُ أَحْيَاناً، فَتَأْتَبِقُ[1]
هُنَّ الْحَيَاةُ الَّتِي لَوْلا تَأَلُّقُهَا
لَمَا تَغَنَّى بِهَا نَاسٌ وَلا عَشِقُوا
أَجْسَادُهُنَّ مَرَايَا! يَنْبُضُ الْعَبَقُ
فِيهَا، وَيَضْحَكُ مِنْ نَظْرَاتِهَا الْوَرَقُ
سَكْرَى، يَكَادُ عَلَيْهَا رَغْمَ مَلْبَسِهَا
مِنَ النُّعُومَةِ حَتَّى الضَّوْءُ يَنْزَلِقُ
أَمَّا النُّهُودَ! فَلا تَذْكُرْ تَدَلُّلَهَا
إلاَّ إِذَا ضِقْتَ فِي دُنْيَاكَ يَا خَفَقُ
كُفُّوا عَنِ اللَّوْمِ يَا صَحْبِي فَمَا سَلِمَتْ
لِيَ الأَصَائِلُ لَوْلا ذَلِكَ الْغَرَقُ
قَدْ جِئْتُ لِلْكَوْنِ عُرْيَاناً. لَو انَّ شَذَا
الإِحْسَاسِ عَنْ جِسْمِيَ الْمَحْمُومِ مُنْعَتِقُ
وَالْحُبُّ يَأْكُلُ أَضْلاعِي، وَيَسْحَقُنِي
شَوْقٌ بِأَحْدَاقِهِ الأَنْدَاءُ وَالشَّبَقُ

---

(١) تأتبق: تستتر وتذهب.

لِمْ لا تَكُفُونَ؟ أَنتُمْ مَنْ رَأَى كَمَدِي

فَمَا يَقُولُ بِلَوْمِي الْعَابِرِ النَّزِقُ

الْخَيْرُ أَنْ تَسْكَرُوا حَوْلِي وَتَبْتَسِمُوا

وَتَكْسِرُوا الشَّجَنَ الْقَاسِيَ وَتَنْطَلِقُوا

دُقُّوا الْكُؤُوسَ بِكَأْسِي غَيْرَ صَاحِيَةٍ

صُبْحاً، وَلا تَذْكُرُوا الأَيَّامَ، وَاغْتَبِقُوا

لا تَحْلَمُوا أَنْ تَنَامَ الْكَأْسُ ذَابِلَةً

فَمَا بِيَنْبُوعِهَا الزَّاهِي قَذَى رَنِقُ

عَيْنَايَ مِنْ قَدَحَاتِ الْخَمْرِ لامِعَةٌ

وَذِي الدِّمَاءُ مِنَ الأَعْنَابِ تَنْدَفِقُ

دَمِي عَلَى الْهَجْرِ مَشْنُوقٌ، لَكُمْ قَسَمٌ

إِذَا لِغَيْرِي، بِذِي الدُّنْيَا، دَمٌ يَقَقُ(١)

---

(١) اليَقَقُ: الأبيضُ الخالص، وهو هنا كناية عن العَرَق، أي صار لونُ دَمِه أبيضَ لِكَثْرَةِ شُربه العَرَق.

الفهرس

هذا الكتاب

أغلب أصحاب الواحدة، من هوامش الناس، فهم خوارج وصعاليك ومتصوّفة ولصوصٌ ومجانين ومنفيون، وشعراء مغمورون، ومغامرون ومنبوذون، وعشاق مقهورون، ومن عوام الناس في عصرهم.

هم ليسوا بشعراء «بلاطيين» ليذهب شعرهم في البلدان بفعل مدائح جرت بها ألسنتهم فجرت معها شهرتهم في الآفاق.

من هنا نجد أنّ ظروف حياتهم التي عاشوها بما تحمله من تراجيديا، من موت مبكر، ونفي وابتعاد عن ثقافة المركز، هي السمة المميزة التي جعلت من أخبارهم قليلةً وأسهمت في ندرة أشعارهم.

ولعلّ هذا الحصار المركب الذي اتسمت به حياة هؤلاء هو الذي جعل قصائدهم نماذج «فذّة» في الحب والحرب والموت ورثاء المدن وفي استبطان الذات ووحشتها وأسئلتها العميقة.

